بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر

كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

الدراسات العليا

قسم التفسير وعلوم القرآن

التفسير وأصوله عند المعتزلة

رسالة جامعية مقدمة إلي قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية لنيل درجة العالمية (الدكتوراه)

إعداد

محمد سليمان ربيع

إشراف الأستاذ الدكتور

مجاهد محمد هريدي

إستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وفوق كل ذي علم عليم

صدق الله العظيم

إهـــداء

وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً

إلى روح والـــدىّ الكريمين – رحمهما الله تعـــالى – وطيـــب ثراهما ، وجعل الجنة مأواهما

إلى الذَيْـــنِ ربيـــانى صغيراً ، ووهبانى للأزهـــر الشريف رغبةً منهما أن أكون أحد ابنائه .

أهـــدى إليهما ثواب هذا العمل اعترافاً لهما بالعرفان والجميل والفضل العظيم داعياً المولى أن يتغمدهما برحمته وأن يســـكنهما فســـيح جنـــته وأن يجمعنى وإياهمـــا فى مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً

إنه نعم المولى ونعم النصير

حمد وشكر وتقدير

حمد وشكر وتقدير

الحمد لله تعالى المستحق للحمد كله أن وفقنى لإعداد هذا البحث . شاكراً لـــه عز وجل موفور نعمه التى انعم بها علىَّ ومن أهمها نعمتا الدين والعلم . واســـتناداً إلى ما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة – رضى الله عنه – ان رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قال : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " [1] – يكون لزاماً علىَّ أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى صاحب الخلق النبيل والعـــلم الغزيـــر استاذى الدكتور مجاهد محمد هريدى الذى تفضل مشكورا بالإشـــراف على هذه الرسالة ولقد لمست فى استاذى الجليل صفات الأتقياء وتواضع العلماء – وكانت لتوجيهاته الدقيقة السديدة أكبر الأثر وأعظم الفائدة وليـــس هـــذا مدحاً أو ثناءً بقدر ما هو إسناد الفضل لآهله وذويه . والله هو الكفيـــل بمكافئـــته عـــلى ما أعطى وأحسن وفتح بيته لطلاب العلم أناء الليل وأطراف النهار بغير ملل ولا كلل .. ولكن عطاء متواصل .. وكرم دائم ... فـــالله أســـأل أن يبارك له فى وقته وماله وبنيه ، وأن يمتعه بالصحة والعافية وأن يحشره مع الصالحين يوم يقوم الناس لرب العالمين ..

كما إننى اتقدم بخالص الشكر إلى استاذى وشيخى الدكتور أحمد محرم الشيخ ناجى الذى كان اهتمامه بى بالغاً وسؤاله عنى دائماً كما أتقدم بخالص الشكر إلى استاذى الدكتور على فراج الذى غمرنى بوصاياه وتشجيعه الدائم ووقف معى كثيراً فجزاه الله خيراً فى الدارين ...

كمـــا أتقدم بخالص الشكر لإستاذى الدكتور رمضان عسيرى على ما قدم لى من خدمات جليلة .

---

[1] رواه الترمذى حـــ٦/ صـــ٧٥ :٧٦ ك البر والصلة ب ما جاء فى الشكر لمن أحسن إليك حديث رقم : ١٩٥٤ وقال حسن صحيح .

كمـــا أتقدم بخالص الشكر إلى أخى وصديقى الدكتور أمير محمد أحمد على مجهوداته القيمة وخدماته المتعددة ..

وإنى أشكر كل من قدم يد المساعدة فى إعداد بحثى هذا سواءً كان ناصحاً أو أهـــدى إلىَّ مرجعاً أو نبهنى إلى خطأ ما أو موظفاً قدم لى يد المساعدة أو من دعا لى بالتوفيق ....

وأخيـــراً فـــإنى أشـــكر كل من له أثر فى إعداد هذا البحث كما اشكر لجنة المناقشـــة التى تجشمت المصاعب فى قراءة هذا البحث والحضور إلى مكان المناقشة والله أسأل أن ينال بحثى الرضا والقبول لدى اللجنة الموقرة ..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمـــد للهَّ نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . إنه من يهد الله فلا مضل له . ومن يضلل الله فلا هادى له . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله :

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون"

" يـــا أيهـــا الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبـــث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام أن الله كان عليكم رقيباً " .

" يـــا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً " .

ثـــم أمـــا بعد : فإن أحسن الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى سيدنا محمـــد " صلى الله عليه وسلم " وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار " .

" من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين " اللهم فقهنا فى الدين وعلمنا التأويل يا رب العالمين ، " ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين " .

إن القـــرآن الكريم خير كتاب أنزله الله على خيرالرسل الذى أرسله إلى خير أمـــة اخـــرجت للـــناس .. فإنه حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، وهو الذى لا يشبع منه العلماء ، ولا تزيغ به الأهواء ..

وقـــد بذل العلماء جهداً وافراً نحو كتاب ربهم فى علوم متفرقة تتعلق بالقرآن الكريم ، وأعظم هذه العلوم علم التفسير ، لأنه علم له أهميتة ، فى حياة البشر فالقـــرآن قد تضمن بين دفتيه جميع ما يحتاجه البشر فى أمور دينهم ودنياهم مـــن عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بتفسير القرآن واستخراج ما فيه من كنوز ودرر تنفع المسلمين فى حاضرهم

ومستقبلهم لذا كان الصحابة يسألون رسول الله " صلى الله عليه وسلم " عما خفى عليهم فهمه وتعذر عليهم استيعابه فبينّ لهم الرسول عليه الصلاة والسلام ما غاب عنهم ووضح لهم ما لم يمكنهم إدراكه امتثالاً لقوله تعالى :-

" وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون " [1]

ثم كانت جهود الصحابة والتابعين فى التفسير .. ووِجدت بعد ذلك فرق وجماعات نتيجة لاختلاف المسلمين

وانتشر المسلمون بعد ذلك فى أنحاء متعددة من الأرض نتيجة للفتوحات الإسلامية التى دخل على اثرها المسلمون

ونتيجة لذلك اختلط العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى التى لا تتكلم العربية وكان لهؤلاء وأولئك جهود ملحوظة فى التعامل مع كتاب الله تعالى فى تفسيره وفهمه وإدراك معانيه ..

ونظراً للإختلاف الموجود بين هذه الطوائف وُجِدَ ما يسمى بالفرق الإسلامية وكان لكل فرقة اتجاهاالذى سارت عليه وكان لهذه الإختلافات أسباب سياسية وعقدية واجتماعية فانتحلت كل فرقة سبيلاً معينا ، وكان لها منهجاً فى تفسير كتاب الله تعالى ..

ومن هذه الفرق " فرقة المعتزلة " التى كانت من أشهر هذه الفرق الإسلامية فسارت فى تفسيرها لكتاب الله تعالى على أسس اعتمدتها ، وأصول ارتكزت عليها ، وبناء على هذه الأسس وتلك الأصول وقعت منها بعض المخالفات التى تتعارض مع المنهج الإسلامى القويم .

ولما أراد الله بى خيراً وكنت من أبناء الأزهر الشريف وتدرجت فى مراحله المختلفة حتى حصلت بعون الله تعالى على درجة التخصص " الماجستير"

---

[1] سورة النحل من الأية : ٤٤

فى التفسير وعلوم القرآن بدأت أبحث عن موضوع اكتب فيه لنيل درجة العالمية " الدكتوراة " فاستخرت الله أولاً وبذلت بعض الجهد واستشرت بعض أساتذتى الأجلاء فى اختيار موضوع يتعلق بالتفسير فوقع اختيارى بعون الله تعالى على الكتابة فى تفسير المعتزلة محاولاً إماطة اللثام عن بعض تلك المخالفات التى وقعت فيها هذه الفرقة مقارناً ذلك بما عليه أهل السنة والجماعة حتى أصحح بعض هذه الأفكار وأقوم ما أعوّج منها .. وأسأل الله عز وجل أن يوفقنى إلى ما أقصد إليه إنه على ما يشاء قدير ..

وقد سميت هذا البحث " التفسير وأصوله عند المعتزلة "

- ومن الأسباب التى دفعتنى إلى اختيار هذا الموضوع - إلى جانب ما ذكرته أنفاً أن المعتزلة تحتل مكاناً مرموقاً فى التراث الإسلامى بما أبدعت من فكر كان له أثره الذى لا ينكر فى بناء فلسفة إسلامية استطاعت بها أن تواجه التيارات المخالفة للإسلام والمعادية له ، وبناءً على هذه الشهرة اغتر بها من لم ينتبه إلى المخالفات التى وقعت فيها هذه الفرقة فأردت بكتابتى هذه أن أنبه إلى تلك المخالفات حتى يكون المسلمون على علم بها .

-المعلوم أن للعقل شططه وبعده عن جادة الصواب أحياناً إذا لم يهتد بالسير على منهج الشرع ، وكان لتحكيم العقل عند المعتزلة أثاره السيئة التى انحرفوا بها عن جادة الصواب ، فأردت أن أبرز تلك المخالفات العقلية ، وأقوم بالرد عليها ما استطعت إلى ذلك سبيلا مبيناً أن الدين لا يؤخذ بالرأى فيما ثبت فيه النص

-أردت أن أسهم إلى أُرفف المكتبة الإسلامية بموضوع لعله من الموضوعات المهمة - ولعل الله ينفع قارءه . ويثيب كاتبه ..

وهناك اسباب أخرى ستتضح من خلال كتابتى .

وأسأل الله أن ييسر لى أمرى ويحقق لى قصدى إنه على كل شئ قدير ، وبالإجابة جدير وإنه نعم المولى ونعم النصير .. ..

منهجى فى البحث

١- اعـــتمد إعـــتماداً كلياً على الأيات القرآنية التى أبطلت مزاعم المعتزلة فهى الأصل فيما أكتب .

٢- دعمت ما توصلت إليه من أبحاث من خلال القرآن بالأحاديث النبوية الصحيحة .

٣- اســـتعنت فى إعـــداد هذا البحث بأمهات كتب التفسير المعتمدة وكذالك كتب الأحاديث المعتمدة وعلى شروح السنة المعتبرة . واستعنت ببعض كتب السيرة والتاريخ .

٤- اســـتعنت فى إعداد هذا البحث بما كتبه الباحثون المحدثون فى بعض الفرق الإسلامية .

٥- قمـــت بعـــزو النصوص إلى مصادرها والأيات إلى سورها مبيناً رقم الصفحة والجزء والطبعة – ذاكراً اسم السورة ورقم الأية .

٦- قمت بتشكيل وضبط الأيات القرآنية .

٧- قمـــت بعـــزو الأحاديث إلى مصادرها ذاكراً اسم الكتاب والباب ورقم الحديث – عدا الأحاديث التى رواها الإمام مسلم فإن النسخة التى بين يدى غير مرقمة أحاديثها – كما ذكرت صحة الحديث والحكم عليه ... فما رواه الترمذى ذكرت حكمه من حيث إنه صحيح أو حسن أو حسن صحيح إلى غير ذلك من المصطلحات التى أطلقها الترمذى والتى هى معروفة عند علماء الحديث وما سكت عنه ابو داود عزوته إليه مطمئناً أنـــه حديـــث صالح حيث معروف لدى المحدثين أن ما سكت عنه ابو داود فهو صالح وما كان فيه وهن شديد أو لا يصلح سنده بينه .. وما سكت عنه الترمذى ذكرت أنه سكت عنه ..

وما تحدث عنه النسائى ذكرت حديثه وهكذا ..

أما ما رواه الشيخان فإنى اكتفيت بعزو الحديث إلى أحد هما أو كلاهما –

حســـب ما يقتضى الحديث – دون حكم عليه إذا جمعت الأمة على صحة ما فى الصحيحين .. ..

خطتى فى البحث

جاءت خطة هذا البحث مكونة من :-

مقدمة – وتمهيد وستة فصول بعضها مقسم إلى مباحث وخاتمة :

أما المقدمة فإنى ذكرت فيها الأسباب التى دفعتنى إلى اختيار هذا الموضوع – والمنهج الذى سرت عليه ...

وأمـــا التمهيد فإنى ذكرت فيه نبذة صغيرة عن حياة العرب قبل الإسلام – ثم عن معايشة الصحابة رسول الله " صلى الله عليه وسلم " وعن بعض ما كانوا يســألون عــنه ومــا لا يسألون ... ثم ذكرت تدرج الخلاف ونموه بعد حياة الصحابة حتى كانت الفرق الإسلامية .. والتى منها فرقة المعتزلة ...

الفصل الأول :- (نشأة المعتزلة) وقد جعلته مبحثين .

المبحث الأول : نشأة المعتزلة

المبحث الثانى : فرقة المعتزلة

الفصل الثانى :- (التوحيد) وهو يتكون من ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : حكم رؤية الله فى الدنيا والأخرة

المبحث الثانى : الصفات ليست شيئاً غير الذات

المبحث الثالث : خلق القرآن

الفصل الثالث :- (العدل) ويتكون من ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : العبد خالق لأفعال نفسه

المبحث الثانى : الله لا يريد الشر والقبائح

المبحث الثالث : وجوب فعل الصلاح على الله لعباده ...

الفصل الرابع :- (الوعد والوعيد) .

الفصل الخامس :- (المنزله بين المنزلتين) .

الفصل السادس :- (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

أمـــا الخاتمة : فإنى ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذا البحث .. والوصايا التى أذكّر بها المسلمين عسى الله أن ينفع بها ....

ثم قائمة المراجع والفهرست ..

هـــذا .. وإنى لأدعوالله تعالى أن ينال بحثى أهمية فى المكتبة الإسلامية كما أدعوه سبحانه أن يرزقنى الإخلاص فى القول والعمل : " اللهم إنى أعوذ بك من كل عمل جعلته لك فخالطنى فيه ما ليس لك " ...

والله أسأل أن ينفعنى بهذا البحث يوم لا ينفع مال ولا بنون .. وأن يكون نجاة لى يوم ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون .....

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم ؛

تمهيد

كان العرب قبل الإسلام يعيشون فى فوضى عارمة فى شتى مناحى حياتهم – فوضـــى فى العقيدة ، فوضى فى الإجتماع ، فوضى فى الأخلاق ، فوضى فى كل شئ ..... ثم منّ الله عليهم بحكمته البالغة وإرادته العالية ، أن بعث فيهم محمد بن عبد الله – رسولاً لهم وللناس كافة ، يبين لهم الطريق السوى ويردهم عن كل إعوجاج .

فـــالله ارتضـــى لهم الإسلام دينا ، وجعل شريعته أخر شريعة للبشر فقال سبحانه : "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا " (١)

ورســـول الله "صلى الله علبه وسلم "بلغ كل شئ عن ربه مما يخص البشرية فى ديـــنها ودنياها ، وعلّم أمته كل شئ حتى قضاء الحاجة ...وكان الصحابة "رضـــى الله عـــنهم "– يسألون رسول الله" صلى الله عليه وسلم :– عن كبير الأمر وصغيره ، حتى جماع الرجل زوجته .....

وكان القرآن الكريم ، والرسول العظيم المورد المورود للصحابة الكرام فإذا حـــزمهم أمـــر أو نزل بهم شئ نظروا فى كتاب الله تعالى ، أو ذهبوا إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" .....

وبعد وفاته "صلى الله عليه وسلم "وإنتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ظل الصحابة والتابعون من بعدهم وأتباع التابعين عاكفين على كتاب الله قراءةً وتفسيراً ... " وجـــرى التفســـير منذ زمن النبوة إلى زمن أتباع التابعين على طريقة تكاد تكـــون واحـــدة ، فخلف كل عصر يحمل التفسير عمن سلف بطريقة الرواية

---

(١) سورة المائدة من الأية ٣

والســـماع ، وفى كل عصر من هذه العصور ، تتجدد نظرات تفسيرية ، لم يكن لها وجود قبل ذلك ، وهذا راجع إلى أن الناس كلما بعدوا عن عصر النبوة إزدادت نواحى الغموض فى التفسير فكان لابد للتفسير أن يتضخم كلما مرت عليه السنون .....ولم يكن هذا التضخم فى الحقيقة إلا محاولات عقلية ، ونظرات اجتهادية ، قام بها أفراد ممن لهم عناية بهذه الناحية – غير أن هذه الـــناحية العقـــلية فى التفســـير لم تخرج عن قانون اللغة ، ولم تتخط حدود الشـــريعة ، بـــل ظلت محتفظه بصبغتها العقلية والدينية ، فلم تتجاوز دائرة الـــرأى المحمـــود إلى الرأى المذموم الذى لا يتفق وقواعد الشرع ... وظل الأمـــر عـــلى ذلك إلى أن قامت الفرق المختلفة ، وظهرت المذاهب الدينية المتـــنوعة ، وَوجِد من العلماء من يحاول نصرة مذهبه والدفاع عن عقيدته بكـــل وسيلة وحيلة وكان القرآن هو هدفهم الأول الذى يقصدون إليه جميعاً ، كـــل يبحث فى القرآن ليجد فيه ما يقوى رأيه ويؤيد مذهبه ، وكلٌ واجدٌ ما يـــبحث عـــنه ولو بطريق إخضاع الأيات القرآنية لمذهبه ، والميل بها مع رأيـــه وهواه ، وتأويل ما يصادمه منها تأويلاً يجعلها غير منافية لمذهبه ولا متعارضـــة معه ، ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأى المحمود إلى دائرة الـــرأى المذموم ، واستفحل الأمر إلى حد جعل البعض يتسعون فى حماية عقائدهم ، والترويج لمذاهبهم ، بما أخرجوه للناس من تفاسير حملوا فيها كلام الله على وفق أهوائهم ، ومقتضى نزعاتهم ونحلهم ! [١]

ثم أخذ هذا الخلاف والتفرق يتدرج شيئاً فشيئاً ، وينمو حيناً بعد حين حتى ظهرت الفرق المتعددة والتى خرجت من دائرة النقل إلى الرأى المذموم التى

---

[١] التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى صـــ٣٤٣ – ٣٤٤

كـــان مـــنها فـــرقة :الخوارج[١] الشيعة[٢] وسموا بالشيعة لأنهم شايعوا علياً" رضى الله عنه " وكانوا
يقدمونه على سائر أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وسلم" [٣]

---

[١] هم الذين خرجوا على الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه) – بعد أن قبل التحكيم فى معركة صفين وأبى قتالهم بعد التحكيم رغم إنه(رضى الله عنه) – قبل التحكيم نزولا على رأيهم لذلك قال لهم : قد أبيت عليكم فى أول الأمر فأبيتم إلا إجابتهم إلى ما سألوا ، وأجبناهم وأعطيناهم العهود والمواثيق وليس يسوغ لنا الغدر ، فأبوا إلا خلعه وإكفاره بالتحكيم ، وخرجوا عليه فسموا خوارج – انظر هامش مقالات الإسلامين جـــ١ / ٦٤ بتصرف وتقديم وتأخير ...

[٢] الشيعة كانوا فى حياة الإمام على" رضى الله عنه" – ثلاث فرق :

الفرقة الأولى : منهم يرون إمامة إبى بكر وعمر وعثمان إلى أن غير السيرة وأحدث الأحداث ، وهم الجمهور الأعظم الكثير .

الفرقة الثانية : يرون الإمام بعد رسول الله "صلى الله عليه وسلم "– أبا بكر ثم عمر ثم علياً، ولا يرون لعثمان إمامة ،، قال أحدهم :

وله فى رقاب الناس عهد وبيعه كعهد أبى حفص وعهد أبى بكر

وكـــان فى الصـــدر الأول لا يســـمى شيعياً إلا من قدم عليا على عثمان ولذلك قيل : شـــيعى وعثمانىّ ، فالشيعى : من قدم عليا على عثمان، والعثمانى من قدم عثمان على على . وهذه الفرقة أقل من السابقة عددا .

الفرقة الثالثة : وهى يسيرة العدد جدا ، يرون علياً أولى بالإمامة بعد رسول الله "صلى الله عـــليه وســـلم" ويـــرون إمامـــة أبى بكر وعمر كانت من الناس على وجه الرأى والمشـــورة ، ويصوبونهم فى رأيهم ، ولا يخطؤنهم، إلا انهم يقولون : أن إمامة على كانت أصوب وأصلح – هامش مقالات الإسلامين حـــ١ /٦٥ –٦٦ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد

[٣] مقالات الأسلامين ابو الحسن الأشعرى حـــ١ / ٦٥

والمرجئه [١]والمعتزلة : وهى التى ستكون محل بحثنا بمشيئة الله تعالى ..

---

[١] المرجئة : الذين يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة – وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار ،، انظر الملل والنحل للشهر ستانى حـ١/ ١٨٦ ط دار المعرفه – بيروات – لبنان

الفصل الأول

نشأة المعتزلة

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول : نشأة المعتزلة

المبحث الثانى : فرق المعتزلة

نشأة المعتزلة

نشـــأت هـــذه الفرقة فى العصر الأموى ، ولكنها شغلت الفكر الإسلامى فى العصر العباسى ردحا طويلا من الزمن .

والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء[١]أحد تلاميذ الحسن البصرى – " رحمه الله ومن أتباعه المقربين لكن اختلف معه فى مرتكب الكبيرة حيث قام من مجلس بعـــد أن قال ان صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ثم جلس فى مجلسه آخر وأخذ يقرر رأيه على من انضم إليه ويقول: (إن مرتكب الكبيرة ليس

---

(١) هـــو واصـــل بـــن عطاء البصرى الغزال – لقب بالغزال لأنه كان يلازم حوانيت الغزالين – المتكلم البليغ المتشدق الذى كان يلثغ بالراء نقل عنه أنه هجر الراء وتجنبها فى خطابـــه ســـمع من الحسن وغيره. قال أبو الفتح الأزدى:رجل سوء كافر. لكن ابن حجر لم يرتض هذا القول فى واصل فرد على أبى الفتح يقول :

" قلت كان من أجلاء المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة ومما قيل فيه:

ويجعل البر قمحا فى تصرفه وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجله فعاد بالغيث إشفـــاقا من المطر

وقـــال المســـعودى : وهـــو قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلـــتين –. و كنيته أبو حذيفة . وله من التصانيف كتاب "أصناف المرجئة " وكتاب فى التوبة "وكتاب فى المنزلة بين المنزلتين" وكتاب "خطبته "[illegible]...التى أخرج منها الـــراء "وكتاب"معانى القرآن" وكتاب الخطب فى التوحيد والعدل "وكتاب" ما جرى بينه وبيـــن عمرو بن عبيد" وكتاب" السبيل إلى معرفة الحق " وكتاب فى الدعوة " وكتاب " طـــبقات أهـــل العلم والجهل " : ...وغير ذالك .توفى فى سنة إحدى وثمانين ومائه. ،

انظر لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلانى حـــ٦ /١٢٤ – ٢١٥

بتصرف وتقديم وتأخير فى العبارات ط مجلس دار المعارف النظامية وانظر وفيات الأعيان لابن خلى كان حـــ٦ /١١ ط دار الثقافة بيروت – لبنان

بمؤمـــن ولا كافـــر بل هو فى منزلة بين المنزلتين معللا ذلك بأن مؤمن اسم مدح والفاسق لايستحق اسم المدح فلا يكون مؤمنا وليس بكافر أيضا لإقراره بالشهادتين ، ولوجود سائر أعمال الخير فيه فإذا مات بلا توبة خلد فى النار إذ ليس فى الأخرة إلا فريقان فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولكن يخفف عنه وتكون دركاته فوق دركات الكفار[١]

والإعـــتزال نشأ فى البصرة ، ولكن سرعان ما انتشر فى العراق ، واعتنقه من خلفاء بنى أمية يزيد بن الوليد ومروان بن محمد ، وفى العصر العباسى اســـتفحل أمر المعتزلة ، واحتلت أفكارهم وعقائدهم من عقول الناس وجدل العلماء مكاناً عظيماً، ومالبث ان تكونت للأعتزال مدرستان :

مدرسة البصرة وعلى رأسها واصل بن عطاء ، ومدرسة بغداد وعلى رأسها بشر بن المعتمر ، وكان بين معتزلى البصرة ، ومعتزلى بغداد جدال وخلاف فى كثير من المسائل[٢]

وكـــان المعـــتزلة أسرع الفرق للإفادة من الفلسفة اليونانية وصبغتها صبغة إســـلامية ، والإســـتعانة بهـــا على نظرياتهم وجدلهم ، وكان من أشهر من استخدم الفلسفة فى ذالك ابو الهذيل والنظام و الجاحظ[٣]

هذا والمعتزلة يرون أن مذهبهم أقدم فى نشأته من واصل فيعدون من رجال مذهبهم كثيرين من آل البيت ، ويعدون من مذهبهم أيضا الحسن البصرى [٤]

---

[١] الملل والنحل للشهر ستانى حـــ١/٦١ ط دار المعرفه

[٢] التفسير والمفسرون للدكتور الذهبى حـــ١ / ٣٤٩

[٣] فجر الاسلام لأحمد أمين صـــ٢٩٩ ط مكتبة النهضة المصرية .

[٤] هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن البصرى ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمـــع كـــل فن من علم وزهد وورع وعباده ، وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى //

فقد كان يقول فى أفعال الإنسان مقالة القدرية وهى مقالتهم ، ويقول كلاما فى مرتكب الكبيرة يقارب كلامهم وليس مناقضا له إذ أنه يقول إنه منافق وبذلك لا يتباعد منهم ، إذ أن المنافق مخلد فى النار ولا يعد من أهل الإيمان[١]

ويؤيد القول بأن مذهبهم أقدم فى نشاته من واصل الإمام محمد أبو زهرة فيقول : والذى نراه أن المذهب أقدم من واصل وأن كثيرين من آل البيت قد

// "رضى الله عنه" ، وأمة خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى "صلى الله عليه"وربما غابت فى حاجة فيبكى فتعطيه أم سلمة "رضى الله عنها " – ثديها تعلله به إلى أن تجئ أمه ، فدرعليه ثديها فشربه ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك .... قيل له أنك تقول قال رسول الله" صلىالله عليه وسلم "– ولم تدركه . فقال كل شى أقول قال رسول الله" صلى الله عليه وسلم –" فهو عن على بن أبى طالب غير أنى فى زمان لا أستطيع أن أذكر علياً –يعنى زمان الحجاج .

روى عن أبى بن كعب وسعيد بن عباده وعمر بن الخطاب وغيرهم .....وروى عنه حميد الطويل ويزيد بن أبى مريم وأيوب وقتاده وبكر بن عبدالله المزنى وأخرون .... وهو شيخ أهل البصرة قال عنه أنس سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا ، وقال ابو عوانه عن قتادة ما جالستُ فقيها قط إلا رأيت فضل الحسن عليه ... ومناقب الحسن كثيرة ومحاسنه غزيرة ، وعلومه مشهوره .. كان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة وتوفى بالبصرة فى رجب سنة عشر ومائه" رضى الله عنه "وكانت جنازته مشهورة توفى عشية الخميس وفرغوا من أمره بعد صلاة الجمعة فلم يصل أحد العصر بالمسجد لأن الناس كلهم تبعوا جنازة الحسن ولم تترك صلاة العصر بالجامع منذ جاء الإسلام إلا يومئذ . انظر وفيات الأعيان حـ٤ /٦٩-٧٢ . وتهذيب التهذيب لابن حجر حـ٢ / ٢٦٣ ط دار صاد - بيروت

[١]تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة صـ١١٨-١١٩ .

نهجوا مثل نهجه كزيد بن على الذى كان صديقا لواصل[١]

وهذا رأى أراه بعيدا عن الصواب حيث إن المعتزلة نشأت فى أواخر العصر الأموى ، وانتشرت وظهرت بقوة فى العصر العباسى – كما سبق أن ذكرنا – وأن مذهب الجمهور أن مؤسس هذه الفرقة وشيخها الأول واصل بن عطاء الذى ولد سنة ثمانين من الهجرة . كما سنبين ان شاء الله .

ثـم إن للمعتزلة أصولا خمسة ، هذه الأصول لابد أن تتوافر فى الفرد حتى يكـون معتزلياً. يقول أبو الحسين الخياط المعتزلى فى كتابه الإنتصار : " وليس يستحق أحد اسم الإعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة :

الـتوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فإذا كملت فى الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلى .

وأمـا مـن سوى ذلك فليس تفتقر المعتزلة إلى إضافتهم إلى أنفسهم ولا إلى إدخـالهم فى جملـتهم .[٢] ولا أظن أن كان بين الأمة خلاف – قبل ظهور واصـل بـن عطاء – فى فساد قول من زعم أن مذنبى المقرين بالشهادتين ليسـوا بمؤمـنين ولا كافرين ولا منافقين – خلافا للخوارج الذين كفّروا كل مذنب ولو نطق بالشهادتين .....

وكذالـك زعمهم أن الحسن البصرى منهم بحجة أن قال عن مرتكب الكبيرة منافق غير مسلّم به .

فـليس كـل منافق مخلدا فى النار وإنما هناك نفاق العقيدة وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله واليوم الإخر ويبطن ما ينافى ذلك كله – وهذا الذى ذمه

---

[١] تاريخ المذاهب الإسلامية للامام محمد ابو زهرة صـ١١٩

[٢] الإنتصار صـ١٢٧ بتصر ف ط دار الندوة الإسلامية بيروت لبنان سنة ١٩٨٧ – ١٩٨٨

القـــرآن وكفر صاحبه . قال تعالى : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَـــامُوا إِلَى الصَّـــلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُّذَبْذَبِيـــنَ بَيْـــنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا " [١]وقال سبحانه: " إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ".[٢]

وهـــناك نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان صالح العمل ويبطن خلاف ذلك وهـــذا وإن كان مذموما إلا أن صاحبه مسلم وغير مخلد فى النار . فقد ثبت فى الصـــحيحين والـــلفظ لمسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله "صـــلى الله عليه وسلم ". أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خـــلةٌ مـــنهن كانت فيه خلةٌ من نفاق حتى يدعها . إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر[٣]

قال النووى رحمه الله : أجمع العلماء على أن من كان صادقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يُحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد فى النار ، فإن إخوة يوسف "صلى الله عليه وسلم "جمعوا هذه الخصال وكذا وجد لبعض السلف و العلماء بعض هذا أو كله[٤]

وقال ابن رجب الحنبلى" رحمه الله ": وهو- أى النفاق – فى الشرع ينقسم إلى قسمين أحدهمـــا الـــنفاق الأكـــبر . وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه وهذا هو النفاق الذى كان على عهد رسول الله

---

[١] سورة النساء ايتان ١٤٢ – ١٤٣

[٢] سورة النساء أيه ١٤٥

[٣]رواه مسلم حـــ٢ / ٤٦ كتاب الإيمان باب خصال المنافقين – المطبعة المصرية

[٤] شرح النووى حـــ٢ / ٤٦

"صـــلى الله عليه وسلم ." ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم . وأخبر أن أهله فى الدرك الأسفل من النار .

والـــثانى الـــنفاق الأصغر ، وهو نفاق العمل وهو أن يظهر الأنسان علانية صـــالحه ويبطن ما يخالف ذلك [١] ويؤيد هذا النووى "رحمه الله ": فيقول فى شرح صحيح مسلم : (فالذى قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معـــناه أن هـــذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين فى هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجـــود فى صـــاحب هـــذه الخصال ويكون نفاقه فى حق من حدثه ووعده وائتمـــنه وخاصـــمه وعاهده من الناس لا أنه منافق الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم" . بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين فى الدرك الأسفل من النار[٢]

وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم أن"النبى صلى الله عليه وسلم ،، قـــال: "يُخْرَجُ من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شـــعيرة ثم يُخْرَجُ من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يـــزن ذرة [٣]ومن هنا يتبين أن الحسن البصرى رحمه الله بعيد عن مذهب المعتزلة حتى وإن كان قد قال : إن مرتكب الكبيرة منافق فإن المنافق نفاقا عمليا لا يخلد فى النار كما وضح من الأدلة التى ذكرها العلماء من أهل السنة والجماعـــة – وهذا بخلاف ما يعتقده أهل المعتزلة من أن المنافق نفاق عقيدة

---

[١] جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى صـــ٥٢٠- ٥٢١ ط دار مصر للطباعه

[٢] شرح النودى حـــ٢ /٤٧

[٣] مسلم ٣/٥٩؛٦٠ كتاب الإيمان باب الشفاعة

أو عمل مخلد فى النار مثله كمثل الكافر وإن نطق بالشهادتين ومما يدل على أن الحسن البصرى لا يؤمن بفكر المعتزلة ما رواه ابن خليكان فى كتاب وفيات الأعيان :

أن رجلا أتى الحسن فقال ياأبا سعيد إنى حلفت بالطلاق أن الحجاج فى النار فما تقول ؟! أقيم مع إمراتى أم أعتزلها ؟ فقال له : قد كان الحجاج فاجراً فاسقاً وما أدرى ما أقول لك ، إن رحمت الله وسعت كل شئ ، وأن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فرد عليه شبيها بما قاله الحسن ، وإنه أتى عمرو بن عبيد [١] فقال له: أقم مع زوجتك فإن الله إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا [٢]

قلو كان الحسن يعتنق مذهب الإعتزال لأفتى السائل أن زوجه حلال ولا شئ عليه إذ أن الحجاج مرتكب كبيرة ومن ثمَّ فهو مخلد فى النار " على مذهب الإعتزال " ولذلك لم يتردد عمرو بن عبيد المعتزلى حتى أفتى السائل أن يقيم مع زوجه لإعتقاده أن الحجاج فى النار .... وكأنه يرى أن الله عز وجل إذا غفر للحجاج الذى قتل وسجن فلا بد أن يغفر للسائل الذى زنى ! .

---

[١] عمرو بن عبيد أول من انضم إلى واصل بن عطاء فى تأييد المعتزلة وسوف نذكر له ترجمة عند الحديث عن بعض فرق المعتزلة إن شاء الله

[٢] وفيات الاعيان حـ٢ /٧٠ ط دار الثقافة بيروت – لبنان

أو عمل مخلد فى النار مثله كمثل الكافر وإن نطق بالشهادتين ومما يدل على أن الحســـن البصـــرى لا يؤمن بفكر المعتزلة ما رواه ابن خليكان فى كتاب وفيات الأعيان :

أن رجـــلا أتى الحســـن فقال ياأبا سعيد إنى حلفت بالطلاق أن الحجاج فى الـــنار فمـــا تقول ؟! أقيم مع إمراتى أم أعتزلها ؟ فقال له : قد كان الحجاج فاجـــرا فاسقا وما أدرى ما أقول لك ، إن رحمت الله وسعت كل شئ ، وأن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فرد عليه شبيها بما قاله الحسن ، وإنه أتى عمرو بن عبيد [١]فقال له: أقم مع زوجتك فإن الله إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا [٢]

قلو كان الحسن يعتنق مذهب الإعتزال لأفتى السائل أن زوجه حلال ولا شئ عـــليه إذ أن الحجاج مرتكب كبيرة ومن ثمَّ فهو مخلد فى النار " على مذهب الإعتزال " ولذلك لم يتردد عمرو بن عبيد المعتزلى حتى أفتى السائل أن يقيم مع زوجه لإعتقاده أن الحجاج فى النار .... وكأنه يرى أن الله عز وجل إذا غفر للحجاج الذى قتل وسجن فلا بد أن يغفر للسائل الذى زنى ! .

---

[١] عمرو بن عبيد أول من انضم إلى واصل بن عطاء فى تأييد المعتزلة وسوف نذكر له ترجمة عند الحديث عن بعض فرق المعتزلة إن شاء الله

[٢] وفيات الاعيان حـــ٢ /٧٠ ط دار الثقافة بيروت — لبنان

سبب تسميتهم بالمعتزلة

يرجع سبب تسميتهم بالمعتزلة إلى أمور يستطيع الإنسان أن يتبينها من مطالعته لما كتب عن المعتزلة ومن خلال القراءة المتأنية فى المصادر المعنية بذلك خرجت بالوجوه الاتية :

أولا : إعتزالهم مجلس الحسن البصرى ومخالفتهم قول الأمة فى مرتكب الكبيرة حيث يقول الشهرستانى : دخل واحد على الحسن البصرى فقال : ياإمام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر. والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة. فكيف تحكم لنا فى ذلك إعتقاداً ؟ ففكر الحسن فى ذلك ، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ، ولا كافرمطلقاً،بل هو فى منزلة بين المنزلتين: : لا مؤمن ولا كافر . ثم قام وإعتزل إلى إسطوانة من إسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن . فسمى هو وأصحابه معتزلة [١]

ثانيا : يرى بعض العلماء أن المراد بالمعتزلة إعتزال أمور السياسة والإنشغال بالعبادة، وأنها بدأت فى قوم من أصحاب علَى " رضى الله عنه " عندما نزل الحسن بن على "رضى الله عنهما" عن الخلافة لمعاوية بن أبى

---

[١] الملل والنحل صـ٢٢-٢٣ للشهرستانى جـ١ مؤسسة ناصر للثقافة بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م

سـفيان "رضى الله عنهما" وسلم الأمر إليه.: إعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ، ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشغل بالعلم والعبادة [١]

وهناك رأى للمستشرقين أراه بعيداً جداً عن الصواب ولكن لا بأس من ذكره يقول بعض المستشرقين : "أنهم سموا أنفسهم معتزلة لأنهم كانوا رجالا أتقياء متقشفين ضاربى الصفح عن ملاذ هذه الحياة[٢] ولعله يرى أن سبب تسميتهم بذلك إعتزالهم ملاذ الحياة . وسيتضح تفاهة هذا الرأى من خلال كتابتنا عنهم فى الرسـالة إن شـاء الله،هذا والذى أراه أقرب إلى الصواب وأولى بالقبول الـرأى الأول أما الرأى الثانى القائل بأنهم اعتزلوا السياسة والخلافة ولزموا المسـاجد فغيـر جدير بالقبول حيث إن المعتزلة ضربت بجذورها فى أمور السياسـة فى عهـد الدولة العباسية ، واتهموا من لم يوافقهم الرأى من كبار الفقهاء بالضلال بل وبالكفر – كما قالوا ذلك فى الإمام أحمد بن حنبل وغيره "رضى الله عنه"

وسـوف نذكر ذلك فى حينه إن شاء الله – والقول بهذا يؤيد من قدم المعتزلة ووجودهـا فى عصر الصحابة وهذا ما أنكرناه من قبل أما رأى المستشرقين فإنه لا يصح حيث ليس كل المنتسبين لهذه الفرقة متحلّين بالزهد والتقى ، بل كان منهم المتقون ، ومنهم المتهمون بالمعاصى ، ومنهم الأبرار ومنهم الفجار والـذى تميـل إليه النفس ويؤيده الجمهور أن هذا الإسم كان بسبب إعتزال واصل مجلس الحسن البصرى ، وقول الحسن إثر ذلك اعتزلنا واصل.

---

[١] تاريخ المذاهب للإمام محمد أبو زهرة صـ١١٨

[٢] تاريخ المذاهب الاسلامية أبو زهرة صـ١١٩

يقــول صاحب مروج الذهب "عن واصل بن عطاء " – وهو قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر القول بين المنزلتين [١]

يقول الدكتور / الذهبى "رحمه الله :

...ثــم ظهر فى زمن الحسن البصرى بالبصرة ،خلافُ واصل بن عطاء فى القــدر ، وفى القــول بالمنزلة بين المنزلتين ، ومجادلته للحسن البصرى فى ذلــك، واعتزاله مجلسه ، ومن ذلك الوقت ظهرت فرقة المعتزلة .[٢] ويقول الشــهر ستانى عن واصل بن عطاء . " وهو مؤسس فرقة المعتزلة ورئيسها الأول ".[٣]

---

(١) لسان الميزان لابن حجر حـــ١/٢١٥ ط مجلس دار المعارف النظامية

(٢) التفسير والمفسرون حـــ١/٣٤٥

(٣) الملل والنحل للشهر ستانى حـــ٢٢ ط مؤسسة ناصر للثقافة ببيروت – ولبنان

التسميات الأخرى للمعتزلة

للمعتزلة أسماء وألقاب أخرى غير هذا الاسم فإنهم :

(يسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية والعدلية ، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً ، وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، احترازا من وصمة اللقب ، إذ كان الذم به متفقا عليه لقوله النبى "صلى الله عليه وسلم" "القدرية مجوس هذه الأمة).[١]

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى صـ٢١ والحديث رواه أبو داود ونصه:"حدثنا موسى بن اسماعيل أخبرنا عبد العزيز بن أبى حازم قال حدثنى عن أبيه عن ابن عمرعن النبى صلى الله عليه وسلم" قال :القدرية مجوس هذه الأمة ،إن مرضوا فلا تعودهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم . سنن أبى داود حـ٤/٢٢٢ باب فى القدر . حديث رقم ٤٦٩١ ط دار الفكر ورواه ابن ماجه حـ١/٣٥ المقدمة باب القدر (١٠) حديث رقم ٩٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط دار إحياء الكتب . قال المنذرى : هذا منقطع . أبو حازم سلمه بن دينار لم يسمع من ابن عمر . وقال الحافظ ابن حجر هذا الحديث حسن الترمذى وصححه الحاكم ورجاله من رجال الصحيح إلا أن له علتين :

الأولى : الإختلاف فى بعض رواته عن عبد العزيز بن أبى حازم وهو ذكريا ابن منظور فرواه عن عبد العزيزبن أبى حازم فقال : عن نافع عن ابن عمر .

والاخرى ما ذكره المنذرى وغيره من أن سنده منقطع لأن أبى حازم لم يسمع من ابن عمر فالجواب عن الثانية إن ابا الحسن بن القطان القابس الحافظ صحح سنده فقال : إن أبا حازم عاصر ابن عمر فكان معه فى المدينة ، ومسلم يكتفى فى الإتصال بالمعاصرة فهو صحيح على شرطه . انظر عون المعبود بشرح سنن أبى داود لابى//

ولقد سماهم المسلمون قدرية لأنهم زعموا - كما يقول البغدادى - أن الناس هـــم الذين يقدرون أكسابهم وأنه ليس لله عز وجل فى أكسابهم ولا فى أعمار ســـائر الحيوانات صنع ولا تقدير. [١] فهم يستدون أفعال العباد إلى قدرتهم ، وينكرون القدر فيها [٢]

ويلقبون بالمعطله لأنهم يعتقدون نفى صفات المعانى فيقولون : الله عالم بذاته ، قادر بذاته حى بذاته لا بعلم وقدرة وحياة .[٣]

الطيـــب محمد شمس الحق العظيم أبادى تحقيق عبد الحمن محمد عثمان حـــ٢/٤٥٣ ط دار الفكر الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م .

(١) الفرق بين الفرق صـــ٩٤ جـــ١ دار الجبل

(٢) التفسير والمفسرون جـــ١ /٣٤٨

(٣)الملل والنحل للشهرستانى صـــ٢١، وانظر التفسير والمفسرون للدكتور الذهبى حـــ١/ ٣٤٩

المبحث الثانى : فرق المعتزلة

فــرق المعتزلة

افترقت المعتزلة – فيما بينها – عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهن:

الواصـــلية – العمرية – الهذيلية – النظامية– الأسوارية – المعمرية –– الإســـكافية – الجعفـــرية – البشرية –المردارية– الهشامية – التمامية – الجاحظيـــة – الخابطية – الحمارية –الخياطية – أصحاب صالح قبه– المريســـيه –و الشحامية – و الكعبية – و الجبائية – البهشمية المنسوبة إلى أبى هاشم بن الجبائى فهذه ثنتان وعشرون فرقة ثنتان منها ليستا من فرق الإسلام وإنما من فرق الغلاة فى الكفر وهما الخابطية والحمارية[1]

وهذه نبذه صغيرة عن بعض هذه الفرق الإعتزالية :

---

(١) الفرق بين الفرق عبد القادر البغدادى صـــ١٨ ، ٩٣

١- الواصلية : أصحاب أبى حذيفة واصل بن عطاء الألثغ كان تلميذاً للحسن البصـــرى يقرأ عليه العلوم والأخبار وكان فى أيام عبد الملك بن مروان ،وهشـــام بن عبد الملك ، وبالمغرب شرذمة قليلة فى بلد إدريس بن عبد الملك الحسن الذى خرج بالمغرب أيام أبى جعفر المنصور[١]

وإعتزال هذه الفرقة يدور على أربع قواعد :

القـــاعدة الأولى : القـــول بـــنفى صفات البارى تعالى ، من العلم والقدرة والإرادة والحيـــاة ، وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الإتفاق على إستحالة وجود إلهين قديمين أزليين .

قال : ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين [٢]

القاعدة الثانية : القول بالقدر: وسلكوا فى ذلك مسلك معبد الجهنى ، وغيلان الدمشـــقى [٣]وقـــرر واصـــل بن عطاءهذه القاعدة أكثر مما كان يقرر قاعدة الصفات . فقال :

إن البارى تعالى حكيم عادل ، لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم ، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر. [٤]

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى صـــ٢٢ ط: مؤسسة ناصر للثقافة

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة

(٣) غيلان الدمشقى : قال بنفى القدر وبالغ فيه وقد همّ عمربن عبد العزيز بقتله لولا أن تراجع غيلان عن أرائه وأعلن توبته منها . ولكنه عاد إلى الكلام عن نفى القدر وأسرف فى ذلك إسرافا عظيما فى أيام هشام بن عبد الملك الذى كان شديداً على القدرية.... و قد أظهر غيلان تمسكا شديدا بأرائه فأمر هشام بصلبه على باب دمشق انظر الملل والنحل للشهر ستانى صـــ٢٢

(٤) الملل والنحل صـــ٢٢

القـــاعدة الثالـــثة : القول بالمنزلة بين المنزلتين هذه القاعدة من أهم صفات المعـــتزلة لا سيما الواصيلية منهم فأول من أعتقد ذلك واصل بن عطاء حيث قال :

(أنـــا لا أقول إن مرتكب الكبيرة مؤمن مطلقاً ، ولا كافر مطلقاً بل هو فى مـــنزلة بين المنزلتين :لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى إسطوانة من إسطوانات المسجد يقرر أن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح ، فلا يسمى مؤمنا وليس بكافر مطلقاً أيضاً ، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه ، ولا وجه لإنكارها .

لكـــنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة ، فهو من أهل النار خالد فيهـــا . إذ ليس فى الأخرة إلا فريقان : فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار [١]

القـــاعدة الـــرابعة : قوله – أى واصل بن عطاء – فى الفريقين من أصحاب الجمـــل – وأصـــحاب صفين إن أحدهما مخطئ لا بعينه – وكذلك قوله فى عثمان وقاتليه وخاذليه – قال : إن أحد الفريقين فاسق لا محالة ، كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا محالة . لكن لا بعينه . وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين . فلا يجوز قبول شهادة علىّ، وطلحة ، والزبير على باقة بقل – وجوّزَ أن يكون عثمان وعلىّ على الخطأ ، ووافقه عمرو بن عبيد [٢]على مذهبه وزاد عليه فى تفسيق أحد

---

(١) المرجع السابق صـــ٢٢-٢٣

(٢) هو عمرو بن عبيد بن باب يكنى أبا عثمان مولى بنى تميم ، وقيل بنى عقيل – حيث جاء فى كتاب وفيات الأعيان كان مولىابن عقيل ثم آل عرادة بن يربوع بن

مـــالك كان جده من سَبْى كابل ، وكان شيخ المعتزلة فى وقتها وفقيها ، وله خطـــب ورســـائل وكلام كثير فى العدل والتوحيد وغير ذلك وكان عمرو بن عـــبيد على قدر كبير من الورع والأدب والتقوى والجرؤة فى الحق لا يخاف الأمـــراء ولا تغريه الأموال . أما عن أدبه وتقواه فإن الحسن البصرى سئل عـــنه فقـــال للسائل : لقد سألت عن رجل كأن الملائكةَ أدبته ، وكأن الأنبياء ربـــته ، إن قام بأمر قعد به ، وإن قعد بأمر قام به ، وإن أُمِر بشئ كان ألزم الـــناس له ، وإن نُـــهى عن أمر كان أترك الناس له، ما رأيت ظاهراً أشبه بـــباطن ولا باطـــناً أشبه بظاهر منه . ومما يدل على جرأته فى الحق وأنه لا يخاف الامراء مع التحلى بالورع فذاك الموقف الفريد الذى يدل على قوة إيمانه و على عظيم ورعه وزهده وهو أنه : (دخل على أبى جعفر – أبى المنصور – وكـــان أمير المؤمنين فى ذاك الوقت ، وكان صاحبه وصديقه قبل الخلافة و ا معه مجالس وأخبار ،فقربه وأجلسه ، ثم قال له عظنى فوعظه بمواعظ منها : إن هذا الأمر الذى أصبح فى يدك لو بقى فى يد غيرك ممن كان قبلك لـــم يصل إليك ، فأحذرك ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده . فلما أراد النهوض قـــال : أمـــرنالك بعشرة ألاف ، قال لا حاجة لى فيها ، قال أبو جعفر والله لتأخذها ، قال لا والله لا أخذها . وكان المهدى ولد المنصور حاضراً ، فقال: يحلف أمير المؤمنين ، وتحلف أنت ؟! فألتفت عمرو إلى المنصور وقال : مـــن هـــذا الفتى ؟ فقال هذا المهدى ولدى وولى عهدى فقال : أما لقد ألبسته لباساً ما هو من لباس الأبرار وسميته بأسم ما استحقه ومهدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه . ثم الفت عمرو إلى المهدى وقال : نعم يا ابن أخى إذا حـــلف أبـــوك أحنثه عمك ، لأن أباك أقوى على الكفارات من عمك

فقـــال له المنصور : هل من حاجة ؟ قال : نعم . قال : ما هى ؟ قال إن لا تـــبعث إلىَّ حتى آتى إليك . قال : إذاً لا نلتقى . قال : هى حاجتى فمضى وأتبعه المنصور طرفهَ ثم قال :

كلكم يمشى رُوَيْد كلكم يطلب صيد(١)

غير عمرو بن عبيد

والعجيـــب فى حيـــاة عمـــرو بن عبيد أن أباه كان يخلف أصحاب الشرط بالبصرة ، فكان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه قالوا : هذا خير الناس ابن شر الناس فيقول أبوه صدقتم ، هذا إبراهيم وأنا آزر .

وكانت ولادته سنة ثمانين من الهجرة ، وتوفى سنة أربع وأربعين ومائه وقيل إثنتين ، وقيل ثلاث ، وقيل ثمان ، وهو راجع من مكة بموضع يقال له مرّان ورثاه المنصور بقوله :

صلى الله عـــليك من متوَسِّد قبراً مررت به على مَّران

قبـــراً تضمن مؤمنـــاً متحنفاً صَدَقَ الإله ودان بالعرفانِ

لو أن هذا الدهر أبقى صالحاً أبقى لنا عمراً أبا عثمـــان

ولم يسمع بخليفة يرثى من دونه سواه .

ومـــران : بفتح الميم وتشديد الراء موضع بين مكة والبصرة على ليلتين من مكـــة . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان حـــ٣/١٦٠-١٦٢ ط دار الثقافة – بيروت – لبنان . وانظر مروج الذهبى حـــ٣/٣١٤ ط دار المعرفة.

---

(١) يلاحظ أن قواعد النحو تقتضى أن يكون يمشى رويدا ، يطلب صيدا ،ولكن يبدوأن ضـــرورة السجع ألزمت أمير المؤمنين أن يجعل القافية على وزن عبيد ليكتمل السجع الذى ظهر بشراهة فى العصر العباسى .

الفريقين لا بعينه بان قال : لو شهد رجلان من أحد الفريقين مثل على ورجل من عسكره ، أو طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما ،وفيه تفسيق الفريقين وكونهما من أهل النار [١]

وواصل – غفر الله له – مخطئ فى مقولته هذه خطئا غير يسير ، وصدق من قال فيه :

ومقولة ما وصلت بواصل بل قطع الله بها أوصالها .[٢]

وقد افترقت القدرية بعد واصل وعمرو فى هذه المسالة فقال النظام ومعمر والجاحظ فى فريقى يوم الجمل بقول واصل وقال حوشب وهاشم الأوقصى نجت القادة وهلكت الأتباع .[٣]

وفى قول كل منهم من الخطأ البيّن ما لا يخفى ..

والذى أعتقده وأطمئن إليه ما قرره أهل السنة والجماعة من :

" تصويب علىّ وأتباعه يوم الجمل وقالوا : إن الزبير رجع عن القتال فلما بلغ وادى السباع قتله بها عمرو بن حرموز غرّة وبشر علىّ قاتله بالنار وهمّ طلحة بالرجوع فرماه مروان بن الحكم- وكان مع أصحاب الجمل - بسهم قتله. وعائشة "رضى الله عنه" قصدت الإصلاح بين الفريقين فغلبها بنو أزد وبنو ضبة على أمرها حتى كان من الأمر ما كان . ومن قال بتكفير الفريقين أو أحدهما فهو الكافر دونهم هذا قول أهل السنة فيهم والحمد الله على ذلك [٤].

وأرى أن للصحابة "رضى الله عنهم " مكانة بمثابة الحصانة- بتعبير العصر

---

(١) الملل والنحل صـ٢٣

(٢) الفرق بين الفرق صـ١٠٠

(٣) المرجع السابق صـ١٠١

(٤) الفرق بين الفرق صـ١٠١-١٠٢

- لا يحـــق لمســـلم أن ينسب إلى أحدهم خطأ مقطوعاً به .. يقول القرطبى "رحمـــه الله" ولا يجـــوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل ، وهم كلهم لنا أئمة وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة ولـــنهى النـــبى "صلى الله عليه وسلم "عن سبهم [١]وأن الله غفر لهم وأخبرنا بالرضـــا عنهم . هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبى صـــلى الله عليه وسلم " أن طلحة شهيد يمشى على الأرض .[٢] فلو كان ما خـــرج إليه من الحرب عصيانا لم يكن بالقتل فيه شهيداً لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل فى طاعة ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من إخبار علىّ بأن قـــاتل الزبيـــر فى النار. وقوله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم "

---

[١] الحديث مروى فى الصحيحين ولفظ البخارى عن أبى سعيد الخدرى "رضى الله عنه" عن النبى صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا أصحابى ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه) البخارى حـــ٧/٢٥ كتاب فضائل الصحابة باب لو كنت متخذاً خليلا " حديث رقم ٣٦٧٣ ومسلم ك فضائل الصحابة (ب) تحريم سب الصحابة حـــ١٦/٩٢

[٢] الحديث رواه ابن ماجه ونصه عن جابر : أن طلحة مر على النبى صلى الله عليه وسلم فقال :" شهيد يمشى على وجه الأرض" وفى رواية . عن معاوية بن أبى سفيان قال : نظر النبى صلى الله عليه وسلم " إلى طلحة فقال : هذا ممن قضى نحبه" انظر سنن ابن ماجه حـــ١/١٠٤٦ المقدمة باب (١١) فضل طلحة بن عبيد الله "رضى الله عنه " – حديث رقم ١٢٥ – ١٢٦. ط دار أحياء الكتب العلمية تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى

يقـــول : " بشر قاتل ابن صفيةَ بالنار " [١]. وإذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحةَ والزبير غير عاصين ولا آثمين بالقتال ، لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبى صـــلى الله عليه وسلم " فى طلحةَ شهيد" ولم يخبر أن قاتل الزبير فى النار . وكذلك من قعد غير مخطئ فى التأويل ، بل صواب أراهم الله الإجتهاد . وإذا كـــان كذلـــك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم ، وإبطال فضائلهم وجهادهم وعظيم عنائهم فى الدين "رضى الله عنهم" [٢]

وإذا كـــان الحديـــث عما وقع بين على ومعاوية رضى الله عنهما" فيجب أن تسكت الألسنة وترفع الأقلام ويسود الصمت ولا نخوض فى سيرة قوم رضى الله عـــنهم" ورضـــوا عـــنه - ولا ســـيما - أنـــنا غير مسئولين عما كانوا يعمـــلون.وســـئل بعضـــهم عنها فقال : تلك دماء قد طهرالله منها يدى ، فلا أخضـــب بهـــا لسانى .يعنى فى التحرز من الوقوع فى خطأ ، والحكم على بعضهم بما لا يكون فيه ..[٣]

وقـــال ابن فورك : ومن أصحابنا من قال : ان سبيل ما جرت بين الصحابةَ من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف ، ثم إنهم لم يخرجوا بذلك

---

(١) من قول الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه –انظر شهداء الصحابة للاستاذ محمد فهمى عبد الوهاب – ص ٢٦ ط دار الإعتصام .

(٢) القرطبى حـــ١٦/٣٢١-٣٢٢ بتصرف

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـــ١٦/٣٢٢

عـــن حـــد الولاية والنبوة[١] فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة ، وقد سئل الحسن البصرى عن قتالهم فقال : قتال شهده أصحاب محمد" صلى الله عليه

---

(١) اختلف العلماء فى نبوة اخوة يوسف – عليه السلام – هل كانوا انبياء ام غير انبياء فقال الفخر الرازى والجواب الصحيح ان يقال ما كانوا انبياء . وان كانوا الا ان هذه الواقعة انما اقدموا عليها قبل النبوة – انظر التفسير الكبير ج١٦/٦٦– ويرى القرطبى ان تدبيرهم لقتل اخيهم يمنع ان يكونوا انبياء اولا واخيرا فيقول فى تفسير قوله تعالى (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين) يوسف اية ١٠–وفى هذا ما يدل على ان اخوة يوسف ما كانوا انبيا لا اولا ولا اخرا لأن الانبياء لا يدبرون فى قتل مسلم لان الانبياء معصومون من الكبائر بل كانوا مسلمين فارتكبوا معصية ثم تابوا ... وقيل ماكانوا فى ذلك الوقت انبياء ثم نبأهم الله – الجامع لاحكام القران –جـ٩/١٣٣

وكلام الفخر الرازى والقرطبى يدل على انهما يريان ان الانبياء غير معصومين قبل البعثة " وهو قول مختلف فيه " وخلاصة قولهما ان اخوة يوسف حين فعلتهم التى فعلوها لم يكونوا انبياء ثم تابوا فتاب الله عليهم وجعلهم انبياء ... ولعله يُستأنس فى ذلك بقول الله عن آدم (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)طه ١٢١–١٢٢ – فالمعصية كانت قبل النبوة – قال الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله : كان هذا من ادم قبل النبوة ودليل ذلك قوله (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان ، واذا كان هذا قبل النبوة فجائز عليهم الذنوب وجها واحدا لأن قبل النبوة لا شرع علينا فى تصديقهم – فاذا بعثهم الله تعالى الى خلقه وكانوا مأمونين فى الاداء معصومين لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب – الجامع لايات الاحكام للقرطبى جـ ١١ / ٢٥٧ .ويرى ابن كثير انه ليسوا بأنبياء لعدم إقامة الدليل على ذلك فيقول :

(واعلم انه لم يقم دليل على نبوة اخوة يوسف وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ، ومن الناس من يزعم انه اوحى اليهم بعد ذلك وفى هذا نظر ، ويحتاج مدعى ذلك

وسـلم" – وغبـنا ، وعـلموا وجهلنا واجتمعوا فاتبعنا واختلفوا فوقفنا . قال الحاسبى : فنحن نقول كما قال الحسن ، ونعلم أن القوم كانوا أعلم. بما دخلوا فيـه ، ونتبع ما إجتمعوا عليه ، ونقف عندما أختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا ، ونعلم أنهم أجتهدوا وأرادوا الله عز وجل ،إذا كانوا غير متهمين فى الدين[1].. هذا ، ومقولة كل من واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد فى عثمان وعلى و بقية الصحابة– رضوان الله عليهم– مردودة عليهما وأن كلا منهماأخطأ خطأً جسيماً ولا يشفع لهما زهدهما وأدبهما اللذان زعم البعض أنهما يتحليان بهما . يقول الشهرستانى :

الى دليل ولم يذكروا سوى قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) البقرة من الاية ١٣٦– وهذا فيه احتمال لان بطون بنى اسرائيل يقال لهم الاسباط كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب ، يذكر تعالى انه اوحى الى الانبياء من اسباط بنى اسرائيل فذكرهم اجمالا لأنهم كثيرون ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم .. تفسير القرآن العظيم حـ٤/١٦١.

وما ذهب إليه ابن كثير أراه أقرب إلى الصواب من غيره ، لأن " الأصل فى النبوة النفى إلا ما ثبت بدليل " نص صريح بالنبوة أو معجزة " ولم يحدث شئ من ذلك مع إخوة يوسف .. وما ذكر عن أدم عليه السلام " لا ينطبق على إخوة يوسف ، فقد جاء النص صريحا أ أدم عليه السلام عصى ربه ، وجاء النص صريحا ايضا أن الله منَّ عليه بالنبوة ..

إما إخوة يوسف فقد ذكر القرآن معصيتهم . وذكر توبتهم ، أما عن نبوتهم فلم يُذكر عنها شئ صريح فى القرآن أو الحديث ، لذلك نرى كلام ابن كثير هو إلا جدر بالقبول . والله تعالى أعلم

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـ١٦/٣٢٢.

" كان عمرو بن عبيد من رواة الحديث ، معروفاً بالزهد ، وواصل مشهوراً بالفضل والأدب عندهم" (١)

قلت فى هذا نظر فليس من الأدب أن يتهم عثمان وعلىو لفيف من أصحاب رسول الله " صلى الله عليه وسلم " اللذين هم خير القرون كما قال عليه الصلاة والسلام " " خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "(٢) إلا أن يكون مراد الشهرستانى أن واصلاً كان مشهوراً بالفضل والأدب عندهم عند المعتزلة أى ذو أدب وفضل مع قرنائه المعتزلين سليط اللسان مع غير المعتزلين وتلك شنشنة أهل الأهواء والفرق الضالة .

---

(١) الملل والنحل صـ٢٣

(٢) الحديث رواه البخارى حـ٧/٥ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم " ومن صحب النبى أورآه من المسلمين فهو من أصحابه – حديث رقم ٣٦٥٠ ورواه مسلم حـ١٦/٨٣ – كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم .

٢-الهذيلية : أصحاب أبى الهذيل "

فى الحديث عن هذه الطائفة سأقصر الكلام عن شيخهم أبى الهذيل مخافة التطويل ، ولأن الكلام عنه كلام عن أتباعه لأنهم يأتمون به.

أبو الهذيل : هو حمدان بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ، ومقدم الطائفة ، ومقرر الطريقة ، والمناظر عليها ، أخذ الإعتزال عن عثمان بن خالد الطويل ، عن واصل بن عطاء [١]

وأبو الهذيل كان مولى لعبد القيس وقد جرى على منهاج أبناء السبايا لظهور أكثر البدع منهم ، وفضائحه تترى تكفّره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه فى الإعتزال ومن غيرهم وللمعروف بالمرداد من المعتزلة كتاب كبير فيه فضائح أبى الهذيل وفى تكفيره بما إنفرد به من ضلالاته .. [٢]

وللجبائى كتاب فى الرد على أبى الهذيل فى المخلوق ويكفّره فيه ولجعفر ابن حرب أيضا كتاب سماه توبيخ أبى الهذيل وأشار إلى تكفير أبى الهذيل وذكر فيه أن قوله يجر إلى قول الدهرية .[٣]

ومن فضائح أبى الهذيل قوله بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شئ .[٤]

لأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى حينئذ أهل الجنة وأهل النار خامدين لا يقدرون على شئ ولا يقدر الله عز وجل فى تلك

---

(١) الملل والنحل صـ٥٣

(٢) الفرق بين الفرق صـ١٠٢

(٣) الفرق بين الفرق صـ١٠٢

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة

الحـــال على إحياء ميت ولا على إماتة حى ولا على تحريك ساكن ولا على تســـكين مـــتحرك ولا على إحداث شئ ولا على إفناء شئ مع صحة عقول الأحياء فى ذلك الوقت [١].

وقول أبى الهذيل هذا شر ممن قال بفناء الجنة والنار لأن من قال بفنائهما فقد قـــال بـــان الله عز وجل قادر بعد فنائهما على أن يخلق أمثالهما وأبو الهذيل يزعم أن ربه لا يقدر بعد فناء مقدوراته على شئ .

وقـــد شـــنع المعـــروف منهم بالمرداد على أبى الهذيل فى هذه المساله فقال يـــلزمه إذا كـــان ولى الله عـــز وجـــل فى الجنة قد ينال بإحدى يديه الكأس وبالأخـــرى بعض التحف ثم حصل وقت السكون الدائم أن يبقى ولى الله عز وجل على هيئة المصلوب . [٢]

وهذا القول باطل بالكتاب والسنة .

أولا : من القرآن الكريم – (١) قال تعالى :

" مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ [٣]

يقول الطبرى فى تفسيره لهذه الاية :

يعنى ما يؤكل فيها هو دائم لأهلها ، لا ينقطع عنهم ولا يزول ولا يبيد ولكنه ثابت إلى غير نهاية " وظلها " أيضا دائم ، لأنه لا شمس فيها .[٤]

وقال ابن كثير رحمه الله . حول هذه الاية :

---

(١) المرجع السابق صـــ١٠٢ – ١٠٣

(٢) الفرق بين الفرق صـــ١٠٣

(٣) سورة الرعد اية ٣٥

(٤) تفسير الطبرى حـــ٧/٤٣٤

" أكـــلها دائـــم وظـــلها" أى فيهـــا الفواكـــه والمطاعم والمشارب لا انقطاع ولا فناء .[١]

ويقول القرطبى رحمه الله ..

(.. .. أى ثمـــرها لا ينقطع ، وظلها لا يزول ، وهذا رد على الجهميّة فى زعمهم أن نعيم الجنة يزول ويفنى)[٢]

ويذكر الفخر الرازى – رحمه الله- مقارنة بين جنات الدنيا وجنات الأخرة ، وأن الفرق بينهما دوام الثانية وزوال الأولى فيقول :

أن جنات الدنيا لا يدوم ورقها وثمرها ومنافعها ، أما جنات الأخرة فثمارها دائمـــة غير منقطع . وأن ظلها دائم أيضا – والمعنى أنه ليس هناك حر ولا شمس ولا ظلمة [٣]

ومن الايات التى تدل على دوام نعيم أهل الجنة قول الله تعالى عن أهل الجنة

" إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُۥ مِن نَّفَادٍ " [٤]

يقول القرطبى حول هذه الأية : دليل على أن نعيم الجنة دائم لا ينقطع "[٥]

ووصف الله نعيم أهل الجنة بقوله :

وَأَصْـــحَابُ الْيَمِينِ مَآ أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ .[٦]

---

(١) تفسير القرآن العظيم حـــ٤/٢١٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن حـــ٩/٣٢٥

(٣) التفسير الكبير حـــ١٧/٢٥٦

(٤) سورة (ص) أية ٥٤

(٥) الجامع لأحكام القرآن حـــ١٥/٢٢٠

(٦) سور ة الواقعة ٢٧ :٣٣

وكل هذا يدل على البقاء وعدم الفناء والزوال .

فقول الله تعالى :

وظل ممدود أى دائم باقٍ لا يزول ولا تنسخه الشمس .

قال أبو عبيدة : تقول العرب للشئ الذى لا ينقطع ممدود .

وقال لبيب :

غلب العزاء وكنت غير مغلَّب دهر طويل دائم ممدود

" وماء مسكوب " جارٍ لا ينقطع .

" وفاكهة كثيرة لا مقطوعة " ، أى فى وقت من الأوقات بانقطاع فاكهة الصيف فى الشتاء ... " ولاممنوعة " لا يُمنع من أرادها بشوك ولا بعد حائط . فليست مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان .(١)

وكما أن نعيم أهل الجنة دائم كذلك عذاب أهل النار دائم لا ينقطع ولا يفنى أو يزول -كما زعم أبو الهذيل - لا سيما عذاب الكافرين حيث إن عصاة المؤمنين يدخلون النار - إلاما رحم ربى - ومن دخل منهم يخرجون بحديث الشفاعة - كما ذكرنا من قبل - وحسبنا دليلا فى بقاء عذاب

أهل النار من الكفرة قوله تعالى :

" ٱلَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا " (٢)

أى لا يموت فيستريح ولا يحى حياة تنفعه بل هى مضرة عليه ، لأن بسببها يشعر بما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال. (٣)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـ١٧/٢٠٩-٢١٠

(٢) سورة الاعلى ١٢ :١٣

(٣) تفسير القرآن العظيم حـ٨/٢١٦ ط مكتبة الإيمان الطبعة الاولى سنة ١٤١٧ هـ - سنة ١٩٩٦م

وذلك لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوعه فى شدة شديدة قالوا : لا هو حى ولا هو ميت ، فخاطبهم الله الذى [١]جرى به من كلامهم [٢]

وفى هذا يقول الشاعر :

ألا ما لنفس لا تموت فينقضى

عناها ولا تحى حياة لها طعم [٣]

وكيف يدعى أبو الهذيل فناء عذاب أهل النار والله يقول إخباراً عنهم :

" وَالَّذِيـــنَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ " [٤]

ثانيا من السنة :

كما جاء فى القرآن الكريم أن نعيم أهل الجنة دائم لا ينقطع وعذاب أهل النار كذلك دائم لا ينقطع جاء أيضا فى السنة المطهرة ما يفيد ذلك .

ففى الصحيحين – واللفظ للبخارى – أن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قال " إن فى الجـــنة لشـــجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة. "وأقرؤا إن شئتم "وظل ممدود[٥] وفى رواية " مائة عام لا يقطعها " [٦]

---

(١) لعل الصواب : بالذى

(٢) تفسير الطبرى حـــ١٢/٥٨٨ ط دار الغد

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـــ٢٠/٢١

(٤) سورة فاطر اية : ٣٦

(٥) مسلم حـــ١٧/١٦٧ كتاب الجنة وصف نعيمها وأهلها والبخارى حـــ٣/٣٦٨ ك بدء الخلق ب ما جاء فى صفة الجنة وإنها مخلوقة حديث رقم ٣٢٥٢

(٦)البخارى حـــ٣/٣٦٨ ك بدء الخلق ب ما جاء فى صفة الجنة حديث رقم ٣٢٥١

قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" :

" أما أهل النار الذين هم أهلها فأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون [١]

بهذه الإحاديث- والإيات سالفه الذكر - يتبين بقاء النعيم لأهله ، وبقاء الجحيم لأهله.

ومن ثمَّ فإن القول بفناء النعيم والجحيم قول أدنى من أن يقال فيسمع ، أو يذكر فيناقش ، وإنما ذكرته خوفاً من أن يبتلى المسلمون بمثل هذه الأراء الهابطة ، والإعتقادات الزائفة ، فيظن البعض أنها من الدين فى شئ ..

والله نسأل أن يحفظ دينه من أهل الأهواء ، وأن يقيض للأمة من يذب عن دينها شبه المفترين ..

---

(١) رواه مسلم حـ٣/٣٧ كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ط المطبعة المصرية ومكتبتها

٣- النظامية :

والكلام عنهم مقصور على شيخهم كما أشرت إلى ذلك عند الحديث عن الفرقة السابقة .

النظامية هم أصحاب إبراهيم بن يسار بن هانئ النظام [١]

طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة .

وإنفرد عن أصحابه بمسائل منها ..

١- أنه زاد على القول بالقدر خيره وشره منا قوله :

أن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى ، وليست هى مقدورة للبارى تعالى ، خلافاً لأصحابه فإنهم قضوا بأنه قادر عليها ولكنه لا يفعلها لأنها قبيحة ..

ومذهب النظام أن القبح إذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الإضافة إليه فعلا ، ففى تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضا فيجب أن يكون مانعاً ، ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم ..

٢-قوله فى الإرادة : إن البارى تعالى ليس موصوفاً بها على الحقيقة .

فإذا وصف بها شرعاً فى أفعاله فالمراد بذلك أنه خالقها ومنشئها على حسب ما علم ،

وإذا وصف بكونه مريداً لأفعال العباد فالمعنىُّ به أنه آمِرُ بها ناهٍ عنها ،

---

[١] المعتزلة يموهون أنه كان نظاماً للكلام المنثور والشعر الموزون،وإنما كان ينظم الخرز فى سوق البصرة ولاجل ذلك قيل له النظام .. انظر الفرق بين الفرق صـ ١١٤ ط دار التراث العربى

وعنه أخذ الكعبى[١] مذهبه فى الإرادة .

٣-وافقهم فى قولهم أن الإنسان فى الحقيقة هو النفس، والروح ، والبدن ، آلتها وقالبها - غير أنه تقاصر عن إدراك مذهبهم فمال إلى قول الطبيعيين منهم : إن الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقلب بأجزائه مداخلة المائية فى الورد ، والدهنية فى السمسم ، والسمنية فى اللبن ، وقال إن الروح هى التى لها قوة واستطاعة وحياة ومشيئة ، وهى مستطيعة بنفسها والإستطاعة قبل الفعل ..

٤-مذهبه أن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هى عليه الأن معادن - ونباتاً - وحيواناً - وإنساناً - ولم يتقدم خلق أدم عليه السلام " خلق أولاده ، غير أن الله تعالى أكمن بعضها فى بعض ، فالتقدم والتأخر إنما يقع فى ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها. وأنما أخذ هذه المقالة من الفلاسفة .[٢]

---

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى البلخى - كان رأس الإعتزال لطائفة كبيرة من المعتزلة يقال لهم " الكعبية " سوف يأتى الحديث عنها إن شاء الله . وهو من متكلمى المعتزلة البغدادين ، صنف فى الكلام كتباً كثيرة ، وأقام ببغداد مدة طويلة ، وأنتشرت بها كتبه ، ثم عاد إلى بلخ فأقام بها حين وفاته فى أول شعبان سنة تسع عشرة وثلاثمائه . انظر تاريخ بغداد للحافظ أبى بكر البغدادى حـ٩/٣٨٤ ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

والبلخى بفتح الباء وسكون اللام نسبة إلى بلخ إحدى مدن خرسان - انظر وفيات الإعيان حـ٣/٤٥ ط دار الثقافة

(٢) الملل والنحل جـ١ ص ٦٧ : ٦٩ ط : دار المعرفة

ولم يكتف النظام بهذه الأقوال الخاطئة فحسب بل أنه :

(أنكـــر ما روى فى معجزات نبينا – صلى الله عليه وسلم من انشقاق القمر وتســـبيح الحصـــا فى يده ونبوع الماء من بيب أصابعه ثم إنه أستثقل أحكام شريعة الإسلام فى فروعها ولم يجسر على إظهار دفعها فأبطل الطرق الدالة عليها فأنكر لأجل ذلك حجة الأجماع وحجة القياس فى الفروع الشرعية [١]

من أغرب ما زعمه النظام ويعد من فضائحه الشنيعة قوله :

(ان الله عـــز وجل لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ولا يقدر عـــلى ان ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمهم صلاح لهم ولا يقدر أن يـــزيد فى عـــذاب أهل النار ذرة ولا على أن ينقص من عذابهم شيا ، وزعم أيضا أن الله تعالى لا يقدر أن يخرج أحداً من أهل الجنة عنها ولا يقدر على أن يـــلقى فى النار من ليس من أهل النار. . وقال لو وقف طفل على شفير جهـــنم لـــم يكن الله قادرا على إلقائه فيها . وقدر الطفل على إلقاء نفسه فيها وقدرت الزبانية ايضا على إلقائه فيها . ثم زاد على هذا بان قال ان الله تعالى لا يقـــدر عـــلى ان يعمى بصيرا أو يزمن صحيحا إو يفقر غنيا إذا علم أن البصر والصحة والغنى أصلح لهم. ولا يقدر على أن يخلق حية أو عقرباً أو جسماً يعلم أن خلقه غيره أصلح من خلقه . [٢]

هـــذه بعض أراء النظام ، وأرى أن بطلانها لا يخفى على عاقل . (فإذا قال النظام أن الله تعالى لا يقدر على الظلم والكذب لزمه أن لا يكون قادرا

---

(١) الفرق بين الفرق صـــ١١٤

(٢) الفرق بين الفرق صـــ١١٥-١١٦ بتصرف

عـــلى الصـــدق والعدل . والقول بأنه لا يقدر على العدل كفر فما يؤدى إليه مثله . [١]

ومـــن ثمَّ فإن أقوال النظام مردودة عليه من قِبل المعتزلة أنفسهم بل إن أكثر المعـــتزلة يعدونـــه كافراً ، ولم يتبعه إلا اصحاب الأهواء ممن هم على شاكلته .

يقول البغدادى : (وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام ، وإنما تبعه فى ضـــلالته شرذمة من القدرية كالأسوارى وابن حايط وفضل الحدثى وإعجاب هؤلاء النفر اليسير به كإعجاب الجُعَل [٢]بد حروجته [٣]

---

(١) المرجع السابق صـــ ١١٦-١١٧

(٢) الجعل : دابة سوداء من دواب الأرض قيل أبو جعران وجمعه جعلان ... الخ
انظر لسان العرب لابن منظور حـــ١/٦٣٨ ط دار المعارف باب الجيم .

(٣) الفرق بين الفرق صـــ١١٤- ١١٥

٤-البشرية أصحاب بشر بن المعتمر .

كـــان من أفضل علماء المعتزلة ، وهو الذى أحدث القول بالتولد وأفرط فيه . وانفرد عن أصحابه بمسائل منها :

١- أنـــه زعـــم ان الـــلون والطعـــم والرائحة والإدراكات كلها من السمع والـــرؤية ، يجـــوز أنها متولدة من فعل العبد ، وإذا كانت أسبابها من فعله ، وإنما أخذ هذا من قول الطبيعيين .

إلا أنهـــم لا يفرقون بين المتولد والمباشرة بالقدرة . وربما لا يثبتون القدرة على مناهج المتكلمين[١]

٢- أن الله تعالى قد يغفر للإنسان ذنوبه ثم يعود فيما غفر له فيعذبه عليه إذا عاد إلى معصيتة [٢]

وهذا قول غريب ، وهو عن الصواب بعيد ولقد سئل بشر: (عن كافر تاب عـــن كفره ثم شرب الخمر بعد توبته عن كفره من غير استحلال منه للخمر وغامضـــه الموت قبل توبته عن شرب الخمر هل يعذبه الله تعالى فى القيمة عـــلى الكفر الذى قد تاب منه؟ فقال نعم . فقيل له يجب على هذا أن يكون عذاب من هو على ملة الإسلام مثل عذاب الكافر فالتزم ذلك [٣]

قلت كيف يترك العبد الكفر ثم يعاقب عليه من قِبل الله الغفور الرحيم وهو لم يكفر وإنما أذنب ؟!

---

(١) الملل والنحل صـــ٢٨

(٢) الفرق بين الفرق صـــ١٤٣

(٣) الفرق بين الفرق صـــ١٤٣

إن رجوع العبد إلى المعصية بطلان للتوبة حيث فقد شرطا من شروطها ومن ثـمَّ يجـب عليه أن يجدد التوبة مع الله .يقول النووى رحمه الله – فى كتابه ريـاض الصـالحين : قـال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق أدمى ، فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

والثانى : أن يندم على فعلها .

والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً . فإن فقد أحد الثلاثة لم تصلح توبتة. وإن كانت المعصية تتعلق بأدمى فشروطها أربعة: هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه او طلب عفوه ، وإن كانت غيبة استحله منها ،

ويجـب أن يتوب من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب ، ويبقى عليه الباقى . وقد تظاهرت دلائل الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة على جواب التوبة [١]

ومن أقول بشر بن المعتمر ايضا .

٤- أن الله تعالىماوالى مؤمناً فى حال إيمانه ولا عاد كافرا فى حال كفره[٢]

وهذا القول يتعارض مع صريح القرآن الكريم

يقول الله سبحانه وتعالى : -

---

(١) رياض الصالحين صـ١٣ ط دار التراث العربى الطبعة الثانية سـنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(٢) الفرق بين الفرق صـ١٤٢

(اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [١]

ويقول جل جلاله :-

(فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ)[٢]

وقوبل هذا القول بالرفض التام من علماء الأمة ، بل كفَّروا بشراً على هذا الإفك . يقول عبد القاهر البغدادى :

(ويجب تكفيره فى هذا على قول جميع الأمة لأ ن الله تعالى لم يزل مواليا لمن علم أنه يكون وليا له إذا وجد ، ومعاديا له قبل كفره وفى حال كفره وبعد موته.[٣]

---

(١) سورة البقرة أية:٢٥٧

(٢) سورة البقرة من الأية : ٩٨

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٤٢

٥- الهشامية :

هؤلاء أتباع هشام بن عمرو الفُوَطى . وفضائحه تترى منها :

أنه حرم على الناس أن يقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل من جهة تسميته بالوكيل [١]

واعتذر الخياط عن الفوطى بأن قال:

إن هشاماً كان يزعم أن الوكيل فى أكثر ما يتعارفه الناس فوقه من وكّله... ولم يكن يمتنع من أن نقول : حسبنا الله " وإنما كان يمتنع لفظة " وكيل " فقط ويبدل مكانها " المتوكل عليه" [٢]

وهذا تبرير ليس بالسديد إذا أن الممنوع والجائز ليس حسبما تعارف عليه الناس وأنما حسب الأحكام الشرعية والقواعد اللغوية .

وقد أصاب البغدادى أذ وصف كلاهما بالجهل فقال :

وهذا من علامات جهل هشام والمعتذر عنه بمعانى الأسماء فى اللغة .[٣]

كان إذا قيل للفوطى إن الله قال فى كتابه :

" وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " [٤] قال لهم :

إن الله قد أقام الأدلة على أنه لا يخطئ فى قول ولا فعل . فإذا قال قولا يحتمل معنيين أحدهما حسن والأخر قبيح علمنا أنه إنما أراد المعنى الحسن دون القبيح .و نحن فليس لنا أدلة تدل على أن أقاويلنا كلها صواب وأنه لا

---

(١) الفرق بين الفرق صـ١٤٥

(٢) الأنتصار لأبى الحسين الخياط صـ٨٣ ط دار الندوة الإسلامية .

(٣) الفرق بين الفرق صـ١٤٦

(٤) سورة آل عمران من الاية : ١٧٣

هو ليس بشعر وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة [١] وإنه يعلو ولا يُعلى عليه وما أشك أنه سحر .[٢]

والقـــول الـــذى يعلو ولا يُعلى عليه لا يحتمل إلا معنى واحداً وهو الغاية فى الحسن والجمال وكمال البيان ، ولا يحتمل القبح كما زعم الفوطى- بحال من الأحوال- تعالى الله عما قال الفوطى علوا كبيرا ...

أمـــا قول الفوطى أن ليس لنا أدلة تدل على أن أقاويلنا كلها صواب فلذلك لم يجـــزأن نـــأتى بقول مشكل ولا نصف الله بقول يحتمل أمرين أحدهما يجوز عليه والأخر لا يجوز عليه ...الخ

أقـــول الأدلـــة واضحة ساطعة بينةُ على ما إذا كانت أقاويلنا صواباً أو خطأً أوصـــواباً يحـــتمل الخطـــأ أو خطأ يحتمل الصواب فما وافق القرآن الكريم والحديث الصحيح فهو صواب وحق لا ريب فيه لأن القرآن والسنة حق وما وافق الحق فهو حق .فإذا ما وصفنا الله ربنا بما وصف به نفسه أو بما وصفه بـــه أنـــبياؤه - عليهم الصلاة والسلام فهو حق قطعى لا ريب فيه ولا شك ، وكذلك أذا وصفه بعض عباده وأقرهم الله على هذا الوصف .

وقد مدح الله قوما وصفوا ربهم بأنه وكيلهم . فقال سبحانه

" الذيـــن قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حســـبنا الله ونعـــم الوكيـــل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . [٣]

---

(١) الطلاوة : بضم الطاء وفتحها : الحسن وبعض العمر يسمى الخمر الطلاء يريد تحســـين اســـمها لا إنها الطلاء بعينها - انظر مختار الصحاح للامام ابى بكر الرازى باب الطاء كلمة "طلا" ص ٣٩٧ طالمطبعة الاميرية الطبعة السابعة سنة ١٩٥٣م

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـــ٨ / ١٤٩

يجوز أن نقصد إلى الخطأ . فلذلك لم يجزأن نأتى بقول مشكل ولا نصف الله بقول محتمل أمرين أحدهما يجوز عليه والأخرلا يجوزعليه [١]

وهـــذا عذر أقبح من الذنب والقول بأن كلام الله يحتمل معنيين أحدهما حسن والأخر قبيح قول قبيح بل غاية فى القبح لأنه يقتضى أن يكون قول الله تعالى غير واضح ولا بيّن! كيف هذا والله يقول :

" تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ" [٢] فوصف الله القرآن بأنه مبين –

قـــال الفخـــر الـــرازى : وصف الله القرآن بكونه مبينا لأنه يبين فيه الهدى والرشد ، والحلال والحرام،ولما بُيِّنت هذه الأشياء فيه كان الكتاب مبينا لهذه الأشياء [٣]

وقال قتاده : أى واللهِ لمبين ، بيَّن الله هداه ورشده [٤]

ثـــم إنه إذا كان قول الله يحتمل الحسن والقبيح فما المانع أن يحمله الكافرون على المعنى القبيح ؟! ومن ثمَّ فلا يصلح أن يكون معجزة . والثابت أن الكفرة شـــهدوا بعظمة القرآن، وأنه يعلو ولا يُعلى عليه حتى قال الوليد بن المغيرة المخزومى وهو من صناديد الكفر : والله لقد نظرت فيما قال الرجل [٥] فإذا

---

(١) الإنتصار لأبى الحسين الخياط صـــ١٥٥ ط دار الندوة الإسلامية .

(٢) سورة يوسف من الأية : ١

(٣) التفسير الكبير حـــ١٦ /٦٤٥

(٤) تفسير الطبرى ٠حـــ١٦٣/٧

(٥) يعنى النبى محمدا صلى الله عليه وسلم .

من الأية يتبين أن ليس فى كلمة " وونعم الوكيل : ما يستدعى ردها بل فيها المدح لمن يقولها وليس أدل على ذلك من أن الله سبحانه وتعالى احسن عاقبة قائليها فمنَّ عليهم بنعمته وفضله ، وأنجاهم من أن يمسهم السوء والله ذو فضل عظيم لمن يتخذه وكيلا .

ثم إن كلمة الوكيل فى لغة العرب التى نزل بها القرآن الكريم .. لا تتعارض مع جلال الله وكماله وصفاته الحميدة التى وصف بها نفسه سبحانه وتعالى .

قال صاحب لسان العرب :

(الوكيل هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد ، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه . وفى التنزيل " أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلاً "(١) وقيل الوكيل الحافظ .

وقال أبو إسحق : الوكيل فى صفة الله تعالى الذى توكل بجميع ما خلق .

وحسبنا الله ونعم الوكيل كافينا الله ونعم الكافى . كقولك رازقنا الله ونعم الرازق (٢)

وقول الله تعالى :" وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (٣) أى من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه .(٤) وقد يكون الوكيل ايضا بمعن الحفيظ (٥)

ومنه قولة تعالى : " قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ " (٦)

ومما يدل على استحباب قول العبد " حسبنا الله ونعم الوكيل "

---

(١) سورة الإسراء من الأية :٢

(٢) لسان العرب ابن منظور جـ٤/٤٩٠٩ ط دار المعارف

(٣) سورة الطلاق من الأية ٣

(٤)القرطبى حـ١٨/١٦١

(٥) كلمات القرآن للشيخ حسين مخلوف صـ٧٧

(٦) سورة الأنعام من الأية : ٦٦

مارواه البخارى بسنده عن ابن عباس قال فى قوله تعالى :

" الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم " ... إلى قوله تعالى " وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل "

قالها إبراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى فى النار ..

وقالها محمد صلى الله عليه وسلم - حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " [١]ومن فضائح الفوطى امتناعه عن إطلاق كثير مما نطق به القرآن الكريم فمنع الناس من أن يقولوا .

إن الله عز وجل ألف بين قلوب المؤمنين وأضل الفاسقين .[٢]

ومن أتباع هشام بن عمرو الفوطى عباد بن سليمان العمرى . وهو وعمرو فى الضلال سواء حيث (منع عباد من أن يقال إن الله تعالى ثالث كل اثنين . ورابع كل ثلاثة . وكان يمنع أن يقال إن الله عز وجل أملى للكافرين [٣]

وهذه أقوال بطلانها واضح لا يخفى . ويكفى أنها تتعارض مع القرآن الكريم . فمنعه مثلا أن يقال "ان الله ألف بين قلوب المؤمنين وأضل الفاسقين" يدل على جهله بالتنزيل .

قال تعالى : " لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ " [٤]

---

(١) البخارى حـ٨ /٧٧ كتاب تفسير القرآن باب" الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم " حديث رقم ٤٥٦٣

(٢) الفرق بين الفرق صـ٤٦

(٣) المرجع السابق صـ٤٦

(٤) سورة الانفال من الاية : ٦٣

" وقال سبحانه : " وما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ " (١)

وزعمُ عباد بن سليمان وهو تلميذ هشام بن عمرو بأن لا يقال أن الله ثالث كل اثـــنين ، ولا يقال أن الله يملى الكافرين – جهل عميق ويدل على أن التلميذ أجهل من أستاذه ولا تلد الحية إلا حية ، ويدل أيضا أن عباد بن سليمان يجهل أيات بينات فى كتاب الله أو معاند بمكابرة وإلا فماذا يقال فى قول الله تعالى : " مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ " (٢) .. وقولـــه ســـبحانه : " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا "(٣)

وهشـــام الفـــوطى كما كان يفترى على الله الكذب بمخالفته صريح القرآن كذلك يفترى الكذب على المسلمين ويبيح دماءهم ...يقول عبد القاهر البغدادى :

وكـــان الفوطى مع ضلالاته التى حكيناها عنه يرى قتل مخالفيه فى السر غيلة (٤) وإن كانوا من أهل ملة الإسلام . (٥) وأهل السنة يقولون فى الفوطى وأتباعه أن دماءهم وأموالهم حلال للمسلمين وفيه الخمس وليس على قاتل الواحد قَوْد (٦) ولا دية ولا كفارة بل لقاتله عند الله تعالى القربة والزلفى والحمد الله على ذلك . (٧)

---

(١) سورة البقرة من الأية ٢٦

(٢) سورة المجادلة من الأية ٧

(٣) سورة آل عمران من الأية ١٧٨

(٤) الغيلة : بالكسر الخديعة والإغتيال وقتل فلان غيلة أى خدعه– لسان العرب حـــ٥ باب الغين ٣٣٢٩

(٥) الفرق بين الفرق صـــ١٥٠– ١٥١

(٦) القود قتل النفس بالنفس لسان العرب حـــ٥ / ٣٧٧١ باب القاف

(٧) الفرق بين الفرق صـــ١٥١

٦- المردارية :

هؤلاء أتباع عيسى بن صبيح المعروف بأبى موسى المردار وكان يقال له راهب المعتزلة .[١]

ولقب راهب غير لائق به والمردار ليس جديرا بالرهبانية لأنها تقتضى كثرة العبادة من صيام وصلاة وقيام وجهاد.

بل أحرى أن يلقب بفاسق المعتزلة لفسقه الظاهر وجهله الواضح .

يقول عبد القاهر البغدادى :

"وهذا اللقب لائق به إن كان المراد به مأخوذا من رهبانية النصارى ولقبه بالمردار لائق به ايضا كما قيل :

وقَّل ما أبصرت عيناك من رجل إلا ومعناه إن فكَّرت فى لقبه [٢]

وللمردار مزاعم باطلة جديرة بأن تخرجه عن الملة. من هذه المزاعم قوله إن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه [٣]

وهذا باطل لا يخفى بطلانه على عاقل ولا يحتاج إلى مناقشة كيف ذلك ؟! والله تعالى يقول :" قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ والْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " [٤]

ثم أن المردار واحد من الناس فلم لم يأت بمثل هذا القرآن أو بما هو أفصح منه إن كان صادقا فى زعمه ؟ ! ومن مزاعمه ايضا أنه يقول بتكفير من لابس السلطان ويزعم أنه لا يرث ولا يورث . وكان أسلافه من المعتزلة يقولون فيمن لابس السلطان

---

(١) الفرق بين الفرق صـ١٥١

(٢) المرجع السابق صـ١٥١

(٣) التبصير فى الدين صـ٤٧ لابى المظفر الإسفرايني ط اللأنوار

(٤) سورة اللأسراء الأية ٨٨

مـــن موافقيهـــم فى القـــدر والإعتزال أنه فاسق لامؤمن ولاكافر . وأفتى المردار بأنه كافر[١]

وزعـــم المردار أن من أجاز رؤية الله تعالى بالأبصار بلا كيف فهو كافر والشاك فى كفـــره كافـــر . والـــباقون من المعتزلة انما قالوا بتكفير من أجازوا الرؤية على جهة المقابلة أو على اتصال شعاع بصر الرائى بالمرئى والذين أثبتوا الرؤية مجمعون على تكفير المردار وتكفير الشاك فى كفره [٢]

والمـــردار قـــال : بتكفير شيوخه وقال شيوخه بتكفيره . وكلا الفريقين محق فى تكفير صاحبه [٣]

ولعـــل نظيـــر ذلـــك قول الله تعالى : "وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ" .[٤]

---

(١) الفرق بين الفرق صـــ١٥١ وانظر التبصير فى الدين صـــ٤٧ ط الأنوار

(٢) ~ ~ ~ صـــ١٥٢

(٣) ~ ~ ~ صـــ١٥٣

(٤) سورة البقرة من الأية ١١٣

٧- الجعفرية :

هؤلاء أتباع جعفر ابن أحدهما جعفر بن حرب والأخر جعفر بن مبشر . وكلاهما للضلالة رأس وللجهالة أساس.

أما جعفر بن مبشر فإنه زعم أن فى فساق هذه الأمة من هو شر من اليهود والنصارى والمجـــوس والزنادقة . هذا مع قوله بأن الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر- فجعل الموحد الذى ليس بكافر شرا من الثنوى الكافر !!![١]

وأهم ما نرد به هذا الزعم الباطل قوله تعالى : " إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ.[٢]

وقول النبى" صلى الله عليه وسلم " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله داخل الجنة "[٣]

وفى رواية :" وإن زنى وان سرق " [٤]

يتضح من الأية والحديث أن المسلم من أهل الجنة وإن سرق وإن زنى ،

أما اليهودى والنصارى - الذى لا يعترف برسالة الإسلام وكذلك المجوس وغيرهم من أهل الكفر فإنهم من أصحاب النار وإن لم يسرقوا ولم يزنوا - لفساد عقيدتهم ...

قال القاضى عياض - رحمه الله - هذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة .[٥]

---

(١) الفرق بين الفرق صـــ١٥٣

(٢) سورة النساء من الأية ١١٦

(٣) مسلم حـــ ٢١٨/١ ك الأيمان ب من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً

(٤) هـــذه الـــرواية فى حديث رواه البخارى " عن أبى ذر "رضى الله عنه " قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أتانى آتٍ من ربى فأخبرنى أو قال فبشرنى أنه من مـــات من أمتى لا يشرك بالله شئ دخل الجنه فقلت : وإن زنى ، وإن سرق . ؟! قال وإن زنى وإن ســـرق " البخارى حـــ٣ /١٣٢ ك الجنائز ب فى الجنائز ومن كان أخر كلامة لا إله إلا الله - حديث رقم ١٢٣٧.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووى حـــ١/ ٢١٩ ط المطبعة المصرية ومكتبتها

وذلك لأن الخوارج قالوا فمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين تضره – أى المعصية ويكفر بها ، وقالت المعتزلة يخلد فى النار إذا كانت معصيّة كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر ولكن يوصف بأنه فاسق [١]

ومن ضلالات ابن مبشر أنه زعم أن إجماع الصحابة على ضرب شارب الخمر الحد وقع خطأ لأنهم أجمعوا برأيهم [٢]

وللرد على هذا نقول :

إجماع الصحابة لا يكون على خطأ لأن الله عصمهم من أن يجتمعوا على خطأ .. يقول ابن كثير فى تفسير قول الله تعالى :

" وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " [٣]

.. ويتبع غير سبيل المؤمنين " قد تكون المخالفة لنص الشارع ، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية ، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً ، فإنه قد ضُمنت لهم العصمة فى اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيما لنبيهم صلى الله عليه وسلم . ، وقد وردت فى ذلك أحاديث صحيحة كثيرة ..

والذى عول عليه الشافعى ، رحمه الله " فى الإحتجاج على كون الأجماع حجة تَحْرُم مخالفته هذه الأية الكريمة بعد التروى والفكر الطويل.وهو من أحسن الإستنباطات وأقواها .[٤]

ومن الإحاديث التى وردت عن النبى" صلى الله عليه وسلم .وتفيد أن إجماع الصحابة واجب الإتباع قوله "صلى الله عليه وسلم" لأبى بكر وعمر" رضى الله عنهما ":

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووى جـ١ / ٢١٨ - ٢١٩

(٢) الفرق بيت الفرق ص ١٥٣

(٣) سورة النساء اية ١١٥

(٤) تفسير القرآن العظيم لإبن كثير حـ٢/٢٥٥

لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما [١]

فإذا كان اجتماع اثنين من الصحابة على أمر يجعل رسول الله" صلى الله عليه وسلم ". -لا يخـــالف هذا الأمر فإن اتفاق لفيف من خيار الصحابة على حكم يكون واجبا على المسلمين اتباعه من باب أولى. وحد شارب الخمر الذى يزعم ابن مبشر أنه وقع خطأ- - جاء من أقوى الطرق بإجماع الصحابة" رضى الله عنهم "...

فقد روى الشيخان وأبو داود والترمذى وابن ماجه (واللفظ لمسلم) عن أنس بن مالك "رضى الله عنه"

أن النـــبى" صـــلى الله عـــليه وسلم " أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعيـــن . قال وفعله أبو بكر. فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن [٢] أخف الحدود ثمانين [٣]فأمر به عمر [٤]

---

(١) رواه احمد حـــ٤ /٢٢٧ عن أبى غنم الأ شعرى ط المكتب الاسلامي

(٢) أى عبد الرحمن بن عوف

(٣) أخف بنصب اخف وهو منصوب بفعل محذوف أى أجلده اخف الحدود كما جاءت روايـــة أخرى وهى لمسلم ايضا (...قال ماترون فى جلد الخمر فقال عن عبد الرحمن بـــن عـــوف أرى أن تجعـــلها كأخف الحدود فجلد عمر ثمانين " صحيح مسلم . حـــــ١١/٢١٥-٢١٦

(٤) رواه مسلم حـــ١١/٢١٥ ك الحدود ب حد الخمر ورواه البخارى حـــ١٢صـــ٦٧

ك الحدود ب الضرب بالجريد والنعال ، وأبو داود ك الحدود باب الحد فى الخمر حديث رقم (٤٤٧٩) والتزمذى حـــ٤ /٨٢٤ ك الحدود /١٥ باب ما جاء من شرب الخمر فاجلده وابن ماجه ك الحدود باب السكران حديث رقم ٢٥٧٠

والرأى الذى رأه عبد الرحمن بن عوف" رضى الله عنه" ذهب إليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه معللا ذلك بأن الخمر تؤدى به إلى الخلط والإفتراء.

فعن ثور بن زيد الديلمى – أن عمر بن الخطاب" رضى الله عنه " استشار فى الخمر يشـــربها الرجل . فقال له على بن أبى طالب نرى أن تجلده ثمانين فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هَذَىَ [١] وإذا هذى افترى [٢] أو كما قال فجلد عمرفى الخمر ثمانين [٣]

هـــذا ، وقد يظن ظانِ أن عمر" رضى الله عنه" – حينما استفتى عليا وعبد الرحمن بن عوف وبعض أصحابه فى شارب الخمر وماذا يفعل به كما جاء فى الوطأ وغيره – أنه يعارض بذلك ما جاء عن النبى" صلى الله عليه وسلم" ولم يعمل به فيما نقل عنه صلى الله عليه وسلم – أنه ضرب شارب الخمر بجريدتين أربعين كما ورد فى مسلم .

وأقـــول أن ما كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر الصديق" رضى الله عنه "– لم يكن حدا ثابتا وإنما كان يراعى فيه حال الشارب فأحيانا يضرب بالجريد، وأحياناً بالنعال وغير ذلك .

---

(١) هذى خلط وتكلم بما لا ينبغى

(٢) افترى : كذب وقذف

(٣)رواه مـــالك فى الموطأ صـــ٦٥٨ ك الأ شربه تعليق محمد فؤاد عبد الباقى ط دار احياء الكتب العربية

يؤيد هذا ما جاء عن جمهور السلف والفقهاء ومنهم مالك وأبو حنيفة والأوزاعى والنووى وأحمد وإسحاق رحمهم الله تعالى : أن فعل النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن للتحديد فهذا جاء فى الرواية الأولى [١] نحو أربعين. [٢]

فلما جاء عهد عمر" رضى الله عنه " زاد الناس فى شرب الخمر [٣] فأراد عمر ابن الخطاب" رضى الله عنه" – أن يزجر الناس بشئ أشد – يؤيد هذا ما جاء فى صحيح البخارى عن السائب بن يزيد قال: كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم – وإمرة أبى بكر فصدرا من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا[٤] ، حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين حتى أذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين" [٥] وربما يكون قد تخوف عمر" رضى الله عنه "– أن تتعدد اجتهادات الناس فى ذلك وربما يكون ضرب بعضهم لشارب الخمر إنتقاما وليس حدا فيتجاوزوا بذلك الحد . قال ابن حجر العسقلانى :

---

(١) اى فى الرواية الأولى من الحديث الذى معنا فى هذا الموضوع .

(٢) شرح صحيح مسلم النووى حـ١١/٢١٧.

(٣) ولعل هذا راجع إلى كثرة الفتوحات الإسلامية حيث دخل كثيرمن الناس فى دين الله الظافر طمعاً لا حباً كاملاً فيه

(٤) جمع رداء

(٥) صحيح البخارى ج٢/٦٧ كتابل الحدود باب الضرب بالجريد والنعال حديث رقم ٦٧٧٩

أخرج عبد الرزاق عن ابن جريج أنبأنا عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول : كان الذى يشـــرب الخمـــر يضـــربونه بأيديهم ونعالهم فلما كان عمر فعل ذلك حتى خشى فجعله أربعيـــن ســـوطا ، فلما رآهم لا يتناهون جعله ثمانين سوطا وقال هذا أخف الحدود.[١] وبذلك يكون عمر قد جمع الناس على حد ثابت معترف به من قبل الصحابة

وأصبح ما رآه على بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف" رضى الله عنهما " إجماعا من الصحابة عند جمهور العلماء الذين يرون : (أن حد الخمر ثمانون محتجين بأنه هو الذى استقر عليه إجماع الصحابة) [٢]

لكن بعض العلماء مثل الإمام الشافعى وأبوثور وداود وأهل الظاهر يرون أن حد الخمر أربعون (وحجتهم فى ذلك أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" وأبا بكر الصديق

"رضى الله عنه " جلدا أربعين – وأن عليا "رضى الله عنه" جلد الوليد بن عقبة أربعين فى إمـــرة عـــثمان بن عفان وذلك بعد عمر [٣] وحديث الوليد بن عقبة رواه مسلم فى صـــحيحه بسنده عن عثمان بن عفان انه (أُتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال ازيدكـــم فشـــهدا عليه رجلان أحدهما حُمَرَان أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه راه يتقيأ فقال عثمان أنه لم يتقيأ حتى شربها فقال يا على قم فاجلده فقال على قم يا حسن فاجلده فقـــال الحســـن ولِّ حارَّهـــا من تولى قارَّها[٤] فكأنه وجد عليه " فقال يا عبد الله بن

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـــ١٢ / ٧٣

(٢) شرح صحيح مسلم للنووى جـــ١١ / ٢١٧

(٣) المرجع السابق جـــ١١ /٢١٧

(٤) الحـــار الشديد المكروه ، القار البارد الهنئ الطيب وهذا مثل من أمثال العرب .. معـــناه ول شـــدتها وأوســـاخها من تولى هنيئها ولذاتها والضمير عائد الى الخلافة

جعفرقم فاجلد فجلده وعلى يعد حتى بلغ أربعين فقال أمسك ثم قال جلد النبى "صلى الله عليه وسلم" أربعين وجلد ابو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنّة وهذا أحب إليه [١]

مـــن خلال هذا الحديث رأى الإمام الشافعى" رضى الله عنه "وموافقوه أن الحد أربعون وقالوا : أما زيادة عمر فهى من التعزيرات والتعزير إلى رأى الإمام إن شاء فعله وإن شـــاء تركه بحسب المصلحة فى فعله وتركه فرأه عمر ففعله ولم يره النبى "صلى الله عليه وسلم" . ولا أبو بكر ولا على فتركوه .[٢]

وخلاصـــة القـــول أن حد الخمر ثابت بإجماع الأمة – خلفا وسلفا – لا خلاف فى ذلك وانمـــا الخـــلاف فى عدد الجلدات . قال القاضى عياض – رحمه الله –: أجمعوا على وجـــوب الحـــد فى الخمـــر واختلفوا فى تقديره ، فذهب الجمهور إلى الثمانين ، وقال الشافعى فى المشهور عنه وأحمد فى رواية وأبو ثور وداود أربعون . وتبعه على نقل الإجماع ابن دقيق العيد والنووى من تبعهما .[٣]

ونرى أن رأى الجمهور أرجح وأنه أولى بالقبول. لأن المعروف عن الصحابه" رضى الله عنهم" أنهم لا يتقدمون ولا يتأخرون مع وجود النص الشرعى سواء من القرآن أو

والولايـــة أى كما أن عثمان وأقاربه يتولون هنئ الخلافة ويختصون به يتولون نكدها وقاذوراتها ومعناه ليتول هذا الجلد عثمان بنفسه أو بعض خاصة أقاربه الأدنين انظر شرح صحيح مسلم للنووى حـــ١١/٢١٩

[١] مسلم حـــ١١/٢١٦- ٢١٧ كتاب الحدود باب حد الخمر .

[٢] شرح صحيح مسلم للنووى جـــ١١ / ٢١٧

[٣] فتح البارى فى صحيح البخارى حـــ١٢/٧٤ .

السنة" . يقول المازرى : لو فهم الصحابة أن النبى" صلى الله عليه وسلم" حد فى الخمر حدا معينا لما قالوا فيه بالرأى ، كما لم يقولوا بالرأى فى غيره ، فلعلهم فهموا أنه ضرب فيه باجتهاده فى حق من ضربه [١]

وذكر أبو عيسى" الترمذى" رحمه الله " حديث أنس" رضى الله عنه "والذى يفيد أن عمراستشار فى الخمر ثم جعله كأخف الحدود ثمانين ثم قال أبو عيسى : حديث أنس حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم

من أصحاب النبى" صلى الله عليه وسلم" . وغيرهم أن حدّ السكران ثمانون . [٢] هذا ، وإن اختلاف العلماء فى تقدير الحد لا يضر فمن جلد أربعين فقد أقام الحد وكذلك من جلد ثمانين حيث إن كلا وارد وله أصل فى الشرع ... قال الشوكانى :- أن دعوى إجماع الصحابة غير مسلمة فإن اختلافهم فى ذلك قبل إمارة عمر وبعدها وردت به الروايات الصحيحة ولم يثبت عن النبى" صلى الله عليه وسلم" .الإقتصار على مقدار معين بل جلد تارة بالجريد وتارة بالنعال وتارة بهما فقط وتارة بالأيدى والنعال والمنقول من المقادير فى ذلك إنما هو بطريق التخمين ولهذا قال أنس نحو أربعين فالأولى الإقتصار على ما ورد عن الشارع من الأفعال وتكون جميعها جائزة فأيها وقع فقد حصل به الجلد المشروع الذى أرشدنا إليه "صلى الله عليه وسلم ". بالفعل والقول كما فى حديث : من شرب الخمر فاجلدوه [٣]فالجلد المأمور به هو الجلد الذى وقع منه

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر حـ١٢/٧٣

(٢) الترمذى حـ٤/٨٢٥ ك الحدود ب ما جاء من شارب الخمر فاجلده.

(٣)رواه الترمذى جـ٤/٨٢٦ ك الحدود ب من شرب الخمر فاجلدوه عن معاوية قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فى الرابعة فاقتلوه " قال أبو عيسى : حديث معاوية، هكذا روى الثورى ايضا عن عاصم ، عن

"صـــلى الله عليه وسلم " ومن الصحابة بين يديه ولا دليل يقتضى تحتم مقدار معين لا يجوز غيره [١]

هـــذا ، ويروى عن طائفة من أهل العلم : أن الخمر لا حد فيها ، وإنما فيها التغرير واستدلوا بأن الأحاديث ساكتة عن تعيين عدد الضرب وأصرحها حديث أنس ولم يجزم فيه بالأربعين فى أرجح الطرق عنه وإن ابن شهاب سئل كم جلد رسول الله صلى الله عـــليه وسلم فى الخمر فقال لم يكن فرض فيه حدا ، كان يأمر من حضره ان يضربوه بـــأيديهم ونعالهم حتى يقول ارفعوا- وعن ابن عباس- رضى الله عنهما - أن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم لم يوقت فى الخمر حداً ، وعن ابن عباس : أن رجلا شرب فسكر فانطُلِق به إلى النبى صلى الله عليه وسلم - فلم حاذى دار العباس انفلت فدخل على العباس فالتزمه فذُكِر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فضحك ولم يأمر بشئ "[٢]

أبى صالح ، عن معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى ابن جُريج ومعمر عن ســـهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أى الـــترمذى ســـمعت محمدا ومحمد هذا هو الإمام البخارى يقول حديث أبى صالح عن معاويـــة عـــن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا أصح من حديث أبى صالح عن ابى هريـــرة عن النبى وإنما كان هذا فى أول الأمر ثم نسخ بعد .. أتى النبى صلى الله عـــليه وســـلم بعد ذلك برجل قد شرب الخمر فى الرابعة فضربه ولم يقتله .. وكذلك روى الزهـــرى عـــن قبيصة بن ذوئيب عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو هذا قال فـــرفع القـــتل وكـــانت رخصة والعمل بهذا الحديث عند عامة أهل العلم لا نعلم بينهم اختلاف فى ذلك فى القديم والحديث انظر تحفة الأحوذى حـــ٤/٨٢٦-٨٢٨ .

(١) نيل الأوطار محمد بن على الشوكانى حـــ٧/١٤٢ ط مكتبة دار التراث.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر حـــ١٢/٧٤

وهذا مذهب باطل مردود ولا يصح العمل به لمخالفته الإجماع .

قـــال الشوكانى : بعد أن ذكر هذا القول- وأجيب عليه بأنه انعقد إجماع الصحابة على جلد الشارب واختلافهم فى العدد إنما هو بعد الإتفاق على ثبوت مطلق الجلد ..(١)

وهناك أكثر من حادثة وقعت فى عهد الخلفاء الراشدين تدل على أن شارب الخمر يحد ولا يعزر .

شـــرب قدامة بن مظعون الخمر - وكان واليا على البحرين . وكان خَتَن (٢)عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما- ولما قدم من البحرين رجل يدعى الجارود قال:

يا أمير المؤمنين إن قدامة بن مظعون قد شرب مسكراً ، وإنى رأيت حقاً من حقوق الله حق عليَّ أن أرفعه إليك ، فقال عمر : من يشهدعلى ما تقول ؟ فقال :أبو هريرة،

فدعا عمر أبا هريرة فقال : علام تشهد ياأبا هريرة ؟ فقال لم أره حين شرب ، ورأيته ســـاكران يـــقئ فقـــال عمـــر : لقد تنطعت فى الشهادة ، ثم كتب عمر إلى قدامة وهو بالبحرين يأمره بالقدوم عليه فلما قدم قدامة والجارود بالمدينة كلم الجارود عمر فقال : أقـــم عـــلى هـــذا كتاب الله .. فقال أبو هريرة . يا أمير المؤمنين إن كنت فى شك من شـــهادتنا فسئل بنت الوليد امرأة ابن مظعون فأرسل عمر إلى هند ينشدها بالله فأقامت هـــند على زوجها الشهاده فقال عمر ماترون فى جلد قدامة ؟ فقال القوم : لا نرى أن

---

(١) نيل الأوطار للشوكانى حـــ١٤٢/٧

(٢) الختن كل من كان من قِبل المرآة مثل الأب والأخ وهم الأحْتَان هكذا عند العرب - أما العامة فختن الرجل عندهم زوج ابنته -المختار الصحاح صـــ١٦٩- باب الخاء كلمة خ ت ن

تجـلده ما دام وجعاً فسكت عمر عن جلده ثم أصبح يوما فقال لأصحابه ما ترون فى جـلد قدامة ؟ فقال القوم : لا نرى ان تجلده ما دام وجعاً [١] فقال: إنه واللهلئن يلقى الله تحت السوط أحب إليَّ من أن ألقى الله وهو فى عنقى . والله لأجلدنّه ، اتونى بسوط . فجاءه مولاه أسلم بسوط فأمر عمر بقدامة فجلد ثم عزله [٢]

فـلو كان فى شارب الخمر التعزير لا الحد لم يكتب عمر إلى قدامة يأمره بالحضور . ثـم يستشير الناس فى جلده وهو مريض ثم يقول هذه العبارة " والله لإن يلقى الله تحت السوط أحب إليَّ من أن ألقى الله وهو فى عنقى " فعمر لم يقل هذه الكلمة إلا لعلمه أن جـلده حـدٌ يجـب أن يقـام – وحسـبك بعمـر عالمـاً بالشـرع فقيها فى الدين .. كذلك قول الجارود لعمر أقم علي هذا كتاب الله – لا تقال فى شئ فيه التعزير وإنما فيه الحد .. لان الإمام لو ترك التعزير لا يلام .

وفى عهـد عـثمان بن عفان – رضى الله عنه – شرب الوليد بن عقبة الخمر وكان واليـاً على الكوفة – وجاء بالمدينة من شهد على الوليد بشربه الخمر فزجرهم عثمان فذهـبوا إلى على بن أبى طالب وأخبروه بالأمرفأتى عثمان وهو يقول : دفعت الشهود وأبطـلت الحـدود . فقـال له عثمان : فما ترى ؟ قال : أرى أن تبعث إلى صاحبك فتحضره فحضر الوليد.. وأقيم عليه الحد [٣]فنرى فى هذه القصة ما يبطل الزعم بأن شـارب الخمـر فيه التعزير لا الحد .. بل فيه الحد وجوباً وأقوى دليل على ذلك قول

---

(١) وجع : أى مريض .

(٢) الجامع لأحكام القرآن حـ٦ /٢٩٧ –٢٩٨ للقرطبى .

(٣) مروج الذهب أبو الحسن المسعودى حـ٢/٣٤٤– ٣٤٥ ط دار المعرفة بيروت

الإمام على لعثمان – رضى الله عنهما دفعت الشهود وأبطلت الحدود واستجابة سيدنا عـــثمان لسيدنا على رضى الله عنهما فى إحضار الوليد من الكوفة من أجل أن يقام عليه حد الله ..

إذاً حـــد الخمر إجماع لا يجوز مخالفته – يقول ابن حجر : استقر الإجماع على ثبوت حد الخمر وأن لا قتل فيه واستمر الإختلاف فى الأربعين والثمانين . (١)

لذلك لم يكن مستساغاً أن ينكر أحدٌ حدَ الخمر حيث تم الإجماع عليه ، ومن أنكره كأنما أنكر معلوما من الدين بالضرورة . يقول عبد القاهر البغدادى :-

وقد أجمع فقهاء الأمة على تكفير من أنكر حد الخمر وإنما اختلفوا فى حد شارب النبيذ اذا لم يسكر منه.(٢)

---

(١) فتح البارى حـــ١٢/٧٦

(٢) الفرق بين الفرق صـــ١٥٣

٨- الإسكافية :

هــؤلاء أتباع محمد بن عبد الله الإسكافى من مؤسسى مدرسة المعتزلة فى بغداد . كان يرى أن عليا أفضل من أبى بكر رضى الله عنهما " .. أخذ ضلالته فى القــدر عــن جعفــر بن حرب ثم خالفه فى بعض فروعه وزعم أن الله تعالى يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين ولا يوصف بالقدرة على ظلم العقلاء [١]

وهذا كلام سمج لا يصح ان يقوله مسلم لأنه يتعارض مع النقل ولا يقبله العقل ..

أولا : قــول الإســكافى : إن الله يوصــف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين .. إنه سبحانه يقدر على ذلك وله أن يفعل . ولكنه أخبرنا سبحانه أنه لا يظلم احداً . فقال جل جلاله " إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" [٢]
وقــال ســبحانه : " وَمَــا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ " [٣]وكلمة الناس والعبيد تشمل العقلاء والمجانين والأطفال والكبار " إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً " [٤]
ثانيا : قول الإسكافى : ان الله لا يوصف بالقدرة على ظلم العقلاء ففيه البطلان البين .. لأن قدرة الله مطلقة وأنه سبحانه لو أراد أن يظلم عاقلا أو مجنوناً فإن هذا لا يعجزه.

---

(١)ضــحى الإسلام لأحمد أمين حـــ٣/٧٧ ط النهضة المصرية الطبعة السابعة وانظر الفــرق بيــن الفــرق صـــ١٥٥ ، وانظر المنية والأمل صـــ١٠٦ تأليف القاضى عبد الجبار المهذانى - جمعه أحمد بن يحى المرتضى . تحقيق عصام الدين محمد على ط دار المعرفة الجامعية .
(٢) سورة يونس آية : ٤٤
(٣) سورة ق آية : ٢٩
(٤) سورة مريم آية: ٩٣

قال تعالى :

" وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً " (١)

وقال سبحانه : " وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (٢)

والقــول بــأن الله لا يوصف بالقدرة على كذا .. قول باطل لما فيه من نقص يجب أن ننزه الله عنه – حيث له سبحانه صفات الكمال كله وليس من الكمال ألا يقدر على شئ وإن قدر على غيره ..

---

(١) سورة فاطر من الأية : ٤٤

(٢) سورة البقرة من الأية : ٢٨٤

٩- الثمامية :

هــؤلاء أتــباع الثمامة بن أشرس النميرى من مواليهم وكان زعيم القدريـــة فى زمـــان المأمون والمعتصم والواثق وقيل إنه هو الذى أغوى المأمون بأن دعاه إلى الإعتزال . وانفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين كفرته الأمة كلها فيهما . إحداهما : أنه زعم أن من لم يضطره الله تعالى إلى معرفته لم يكن مأمورا بالمعروف ولا منهياً عن الكفر وكان مخلوقا للسخرة والإعتبارية فحسب كســائر الحيوانات التى ليست بمكلفة ، وزعم لأجل ذلك أن عوام الدهرية والنصارى والزنادفة يصيرون فى الأخرة تراباً .

والبدعه الثانية : قوله بأن الأفعال المتولدة أفعال لا فاعل لها . (١)

الــبدعة الاولى : وهى زعمه أن من لم يضطره الله تعالى إلى معرفته لم يكن مأمورا بالمعروف ولا منهيا عن الكفر ... الخ .

وهو قول فيه من الجهل والإفتراء ما لا يخفى ... وهو قول

لم يقل به أحداً من العلماء ، وإنه يتعارض مع القواعد الشرعية .فإن الله أرسل رسوله إلى الــناس كافة . قال تعالى : " وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (٢)ومن ثمَّ فإن الناس جميعاً مطالبون بالتكاليف . ولا يكونون كسائر الحيوانــات غيــر مكــلفين إلا اذا سُلب منهم العقل فإنه مناط التكليف ، وبفقده يسقط الواجب .

فإذا الإله سلب ماوهب فقد سقط ما وجب

---

(١) الفرق بين الفرق صـــ١٥٧

(٢) سورة سبأ أية : ٢٨

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المرء اذا فقد عقله فقد رفع عنه القلم فعن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يشبَّ وعن المعتوه حتى يعقل " [١] وفى رواية الترمذى ايضاً – وعن الغلام حتى يحتلم .

أما البدعه الثانية وهى قوله : بأن الأفعال المتولدة أفعال لا فاعل لها ، فانها خطأ جسيم يجر إلى ضلال كبير فإنه يقتضى إنكار صانع العالم لأنه لو صح وجود فعل بلا فاعل لصح وجود كل فعل بغير فاعل وهذا يتعارض مع قوله تعالى : " ذلكم الله ربكم لآإله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل " [٢]

---

(١) رواه الترمذى حـ٤/٧٨٧ كتاب الحدود باب : ماجاء فيمن لا يجب عليه الحد . . . وقال حديث علىّ حسن غريب من هذا الوجه .

(٢) سورة الأنعام أيه : ١٠٢

١٠-الجاحظية :

هــؤلاء أتــباع عمــرو بن يحى الجاحظ . من ضلالاته قوله : " إن المعارف كلها طباع وهى مع ذلك فعل للعباد وليست باختيار لهم . [١]

وهذا القول منه يتنافى مع أمرين ظاهرين .

الأمــر الأول : إنكار الصانع فالقول بتأثير الطبيعة فى الشئ يدل على أن الأمور تسير حسب الطبيعة وذلك إنكار للفاعل .

الأمــر الثانى : أنه يتناقض مع نفسه وهو يقول أولا بتأثير الطبيعة فى الأشياء ثم يقول ثانيــا أن العــبد يخلق فعله بنفسه فكيف يوفق بين هذه المتناقضات وهذا كله يدل على جهــل القائل به وبعده عن جاده الصواب وكفره الصراح بإنكاره الفاعل المختار . عز وجل .

---

(١) الفرق بين الفرق صـــ١٦٠

١١- الكعبية :

أتـــباع أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى المعروف بالكعبى خـــالف البصـــريين مـــن المعتزلة فى أحوال كثيرة منها أن البصريين منهم (أى من المعـــتزلة) أقروا بأن الله تعالى يرى من الأجسام والألوان وأنكروا أن يرى نفسه كما أنكروا أن يراه غيره وزعم الكعبى أن الله تعالى لا يرى نفسه ولا غيره إلا على معنى علمه بنفسه وبغيره [١] وهو صاحب مقالات ومن مقالته : أن الله سبحانه تعالى ليس له إرادة ، وأن جميع أفعال واقعه منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها . [٢]

أقـــول : اذا كان الكعبى أنكر أن يرى أحد الله فى الدنيا فقد أصاب إذ أن رؤية الله فى الدنيـــا مستحيلة إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - أما اذا أنكر أن يراه غيره فى الأخرة فهذا مردود عليه - لما ثبت من الأيات والأحاديث الصحيحة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة على ما سيأتى بيانه فى بحث رؤية الله فى الأخرة إن شاء الله تعالى.

أما إنكار مشيئة الله وإرادته فهذا قول واضح البطلان بالقرآن والسنة .

وأما القرآن فإن أيات كثيرة تبين أن مشيئة الله ثابته وواقعة لا محالة ...

من هذه الأيات قوله تعالى : " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ " [٣] وقوله سبحانه : " وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " [٤] وقوله جل جلاله : " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ " [٥]

---

(١) الفرق بين الفرق صـــ ١٦٥- ١٦٦ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان حـــ٣/٤٥

(٣) سورة آل عمران من اية : ٢٦

(٤) سورة التكوير من اية : ٢٩

(٥) سورة القصص من الاية : ٥٦

وقوله سبحانه وتعالى :

" وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ " (١)

فواضح من الأيات أن كل حركة وسكون لا تتم إلا بمشيئة الله وإرادته وقدرته .

ثـم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعلمنا أن الأمور تجرى حسب مقادير الله ومشيئته . وعلى المؤمن أن يرد كل أمر إلى قدرة الله ومشيئته ..

فعن أبى هريرة رضى الله عنه :قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان .. (٢)

وروى البخارى فى صحيحه بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى رهط (٣) فقال: أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصون فى معروف فمن وفّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به فى الدنيا فهو له كفارة وطهور ، ومن ستره الله فذلك أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له (٤)

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٣-٢٤

(٢) مسلم حـ١٦/٣١٥ كتاب القدر باب الإيمان للقدر والإذعان له .

(٣) الرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم إمراة قال تعالى :
" وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ " النمل من الأية ٤٨ والجمع أرهط) و (أرهاط) و(أراهط) المختار الصحاح صـ٢٥٩ باب الراء .

(٤)البخارى حـ١٣/٤٥٥ ك التوحيد ب المشيئة والإرادة حديث رقم ٧٤٦٨

قـــال صـــاحب فـــتح البارى : قال البيهقى بعد أن ساق بسنده إلى الربيع بن سليمان قال الشافعى المشيئة له دونهم فقال : " وما تشاؤن إلا أن يشاء الله "[١]

وقال ابن خزيمة : أنشدنى المزنى وقال : أنشدنى الشافعى لنفسه قوله :

ما شئت كان وإن لم اشـــأ ... وما شئتُ إن لم تشـــأ لم يكن

خلقت العباد لما قد علمـــت ... ففى العلم يجرى الفتى والمسن

فمنهم شقى ، ومنهم سعيـــد ... ومـــــنهم قبيح ، ومنهم حسن

على ذا مننتَ ، وهذا جذلتَ ... وذاك أعـــــنيتَ وذالم تعنِ [٢]

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر حـــ١٣ / ٤٥٧ – والأية ٢٩ من سورة التكوير

(٢) ديوان الإمام الشافعى صـــ٤٠ ط دار المنار

١٢- الجبائيـــة:

هـــم أتباع أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى، وهو من معـــتزلة البصـــرة ، وكـــان رأساً في علم الكلام، وأخذ هذا عن أبى يوسف يعقـــوب بـــن عـــبد الله الشحام البصري ، وله في مذهب الإعتزال مقالات مشـــهورة ، وعنه أخذ شيخ أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري [١]،و ابـــنه هاشـــم عـــبد السلام بن محمد الجبائى من كبار المعتزلة وإليه تنسب البهشـــمية مـــنهم ، وتـــوفى الجبائى الكبير سنة ثلاثماثة وثلاثة من الهجرة وتوفى ابنه أبو هاشم فى سنة ثلاثماثة وإحدى وعشرين [٢] .

---

(١)- هـــو أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عـــبد الله بـــن موســـى بـــن بلال بن أبى بُرْدَة عامر بن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشـــعرى . كان تلميذاً لأبى على الجبائى عندما كان يعتقد مذهب الإعتزال ويدين به ولكـــن اعتناقه لمذهب المعتزلة لم يطل كثيراً - فإنه اعتكف في بيته خمسة عشر يوما يفكر في كل ما تعلم من المعتزلة .ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال:
معاشـــر الـــناس إنمـــا تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت ، فتكافأت عندي الأدلة ولم يـــترجح عندي شئ على شئ فاستهديت الله فهداني إلى اعتقاد ما أودعته فى كتبي هذه وانخـــلعت من جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا- وانخلع من ثوب كان عـــليه ورمى بـــه " انظر مقالات الإسلاميين حـــ١/٣ تحقيق محي الدين عبد الحميد ،وانظر ظهر الإسلام حـــ٤/٦٤ لأحمد أمين . وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة ١٥٢ .

(٢)- مقالات الإسلاميين حـــ١/٢٣٧ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

وانفرد الجبائى وأبو هاشم عن أصحابهما بمسائل ،وانفرد أحدهما عن صاحبه بمسائل ، فمن المسائل التي انفردا بها عن أصحابهما أنهما حكما بكونه تعالى "متكـــلما " بكـــلام يخلقه في محل ، وحقيقة الكلام عندهما أصوات مقطعة ، وحروف منظومة ، والمتكلم من فعل الكلام لا مَنْ قام به الكلام .. والجبائى خالف أصحابه خصوصاً بقوله :

يحـــدث الله تعالى عند قراءة كل قارئ كلاما لنفسه في محل القراءة ، وذلك حين ألزم أن الذي يقرؤه القارئ ليس بكلام الله ... ، والمسموع منه ليس من كلام الله ... (١)

والقول بأن الله يخلق كلامه في محل ... والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام ...الخ . هذا كلام غير واضح ... كما أن القول بأن القرآن مخلوق قول مرفوض عند أهل ألسنه والجماعة ، وسوف يأتى بيان ذلك عند الحديث عن مسألة "خلق القران" إن شاء الله تعالى .

أما ما انفرد به الجبائى من زعمه أن يحدث عند قراءة كل قارئ كلاماً لنفسه ... وأن الذي يقرؤه القارئ ليس بكلام الله ، والمسموع منه ليس من كلام الله ... فـــإن هـــذا محال . وكأن الجبائى أثبت كلامين فيمحل واحد ، وإذا كان الـــذي لا يقرؤه القارئ ليس من كلام الله ،والذي يسمعه ليس أيضاً من كلام الله ،فيكون كلام من إذاً ؟!

---

(١) المنية والأمل صـــ ١٧٦: ص١٧٧ للقاضى عبد الجبار الهمذانى

١٣- الشحامية :

أتـــباع أبى يعقـــوب الشـــحام وكان أستاذ الجبّائى وضلالاته كضلالات الجبائى[١]

١٤- الخياطية :

أتباع أبى الحسين الخياط الذي كان أستاذ الكعبى في ضلالاته وشارك الخياط سائر القدرية في أكثر ضلالاتها .[٢]

١٥- البهشمية :

أتباع أبى هاشم الجبائى ويقال لهم الذّمية لقولهم باستحقاق الذم لاعلى فعل . وقد شاركوا المعتزلة في أكثر ضلالاتها وانفردوا بفضائح لم يسبقوا إليها.

مـــنها قولهم باستحقاق الذّم والعقاب لاعلى فعل وذلك أنهم زعموا أن القادر مـــنها يجوز أن يخلو من الفعل والشرك مع إرتفاع الموانع من الفعل [٣] ومن فضـــائح أبى هاشـــم : قو له في التوبة أنها لاتصح مع ذنب [٤] مع الإصرار

---

(١) الفرق بين الفرق صـــ١٦٣

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة

(٣) الفرق بين الفرق صـــ١٦٩

(٤) هكذا النسخة التي معي ولعل الصواب "لاتصح من ذنب"

علىقـــبيح آخر يعلمه قبيحاً أو يعتقده قبيحاً وإن كان حسناً . وزعم أن التوبة من الفضائح لاتصح مع الإصرار على منع حبة تجب عليه[١].

هذه بعض فرق المعتزلة كل فرقة منها تكفر سائرها وهم مجمعون على تأبيد صـــاحب الكبيرة في النار مع قولهم أنه موحد ليس بكافر أو مشرك أو حلال الـــدم وهـــم بذلـــك قريبون من الخوارج بل موافقون لهم فى تخليد أصحاب الكبائر في النار وإن لم يكفِّروهم ولم يحاربوهم كما فعل الخوارج ولهذا قيل فى المعتزلة : - (أنهم مخانيث الخوارج لأن الخوارج لما رأو لأهل الذنوب الخلود في النار سموهم كفرة وحاربوهم والمعتزلة رأت لهم الخلود في النار ولم تجسر على تسميتهم كفرة ولاجسرت على قتال أهل فرقة منهم فضلاً عن قتال جمهور مخالفيهم ولهذا نسب إسحاق بن سويد العدوى واصلا وعمرو بن عـــبيد إلى الخوارج لاتفاقهم على تأبيد عقاب أصحاب الذنوب فقال في بعض قصائده :-

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزال منهم وابن بـــاب
ومن قـــوم إذا ذكـــروا عليـــاً ... يردون السلام على السحاب [٢]
ولكنـــى أحـــب بكل قـــلبي ... وأعـــلم أن ذاك من الصواب
رســـول الله والصـــديق حباً ... به أرجو غداً حسن الثواب [٣] .

---

(١) الفرق بين الفرق صـــ ١٧٥
(٢) الفرق بين الفرق صـــ٩٩
(٣) التبصير فى الدين صـــ٧٢ ط " الأنوار "

ويقصد إسحاق العدوى بقوله :

ومن قـــوم إذا ذكروا علياً يردون السلام على السحاب

يقصـــد بهذا غلاة الروافض [١] حيث كانوا يعتقدون أن علياً -رضى الله عنه- حيٌ لم يقتل ولم يمت وإنما هو في الغيم،والرعد صوته ،والبرق سوطه ، وإذا سمعوا الرعد قالوا السلام عليك يا أمير المؤمنين [٢]

---

(١) الروافض الذين رفضوا إمامة أبى بكر وعمر وكانوا يرون أن عليا أولى بالامامة منهما

(٢) التبصير فى الدين ص ٧١ : ٧٢

مدرسة المعتزلة

تكونت للمعتزلة مدرسة كبيرة في العراق ، هذه المدرسة تفرعت إلى فرعين

الفـــرع الأول : بالبصرة بقيادة واصل بن عطاء مؤسس الفرقة – وعمرو بن عبيد الذي أول من أنضم لواصل بن عطاء ..

الفرع الثاني : ببغداد أسسه بشر بن المعتمر ..

وكان بين المدرستين اتفاق واختلاف –فقد اتفقتا على :-

*- نفى صفات الباري تعالى : وهدفهم من وراء ذلك التوحيد المطلق

*- كلام الله مخلوق : وهدفهم من وراء ذلك التنزيه المطلق .

*- أن أفعال العباد مخلوقة لهم ، والإنسان حر ، ويتبع ذلك مسؤليته عن كل ما يفعل.

*- اســـتحالة رؤيـــة الله عز وجل بالأبصار ، وزعموا أنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره.

*- حـــال الفاســـق منزلة بين المنزلتين إلى أن يتوب وإنه لا يغفر لمرتكب الكبائر بلا توبة..

*- وجـــوب كـــثير من الأشياء على العبد ، من غير أن يكون ممن أمر الله تعالى فيه أمرا ، مثل النظر ، والإستدلال ، وشكر المنعم .

*- إنكـــار مفاخـــر زائـــدة لرســـول الله صـــلى الله عليه وسلم زائدة على الأنبياء:كالشفاعة والمعراج ... [١]

---

(١) المنية والأمل : للقاضى عبد الجبار صـــ١٤ ، ١٠٥

هذا ما اتفقت عليه المدرستان ،أما النبوة والإمامة فان كلام البغداديين يخالف كلام البصريين.

فإن من شيوخهم من يميل إلى الروافض ، ومنهم من يميل إلى الخوارج .

فالجبائى وأبو هاشم قد وافقوا أهل السنة في الإمامة ، وأنها بالاختيار ، وأن الصحابة مترتبون في الفضل ترتبهم فى الإمامة ، غير أنهم ينكرون الكرمات أصلاً للأولياء من الصحابة وغيرهم . ويبالغون في عصمة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – عن الذنوب كبائرها وصغائرها ، حتى منع الجبائى القصد إلى الذنب إلا على تأويل ، والمتأخرون من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار وغيره انتهجوا طريقة أبى هاشم . وخالفه في ذلك أبو الحسين البصري ، وتصفح أدلة الشيوخ واعترض على ذلك بالتزيف والإبطال ، وانفرد عنهم بمسائل [١] . ليس هذا مجال ذكرها.

---

(١) الملل والنحل للشهر ستانى حـ١١٨٤-٨٥ ط الحلبي سنة ١٣٩٦/١٩٧٦

فرع البصرة *

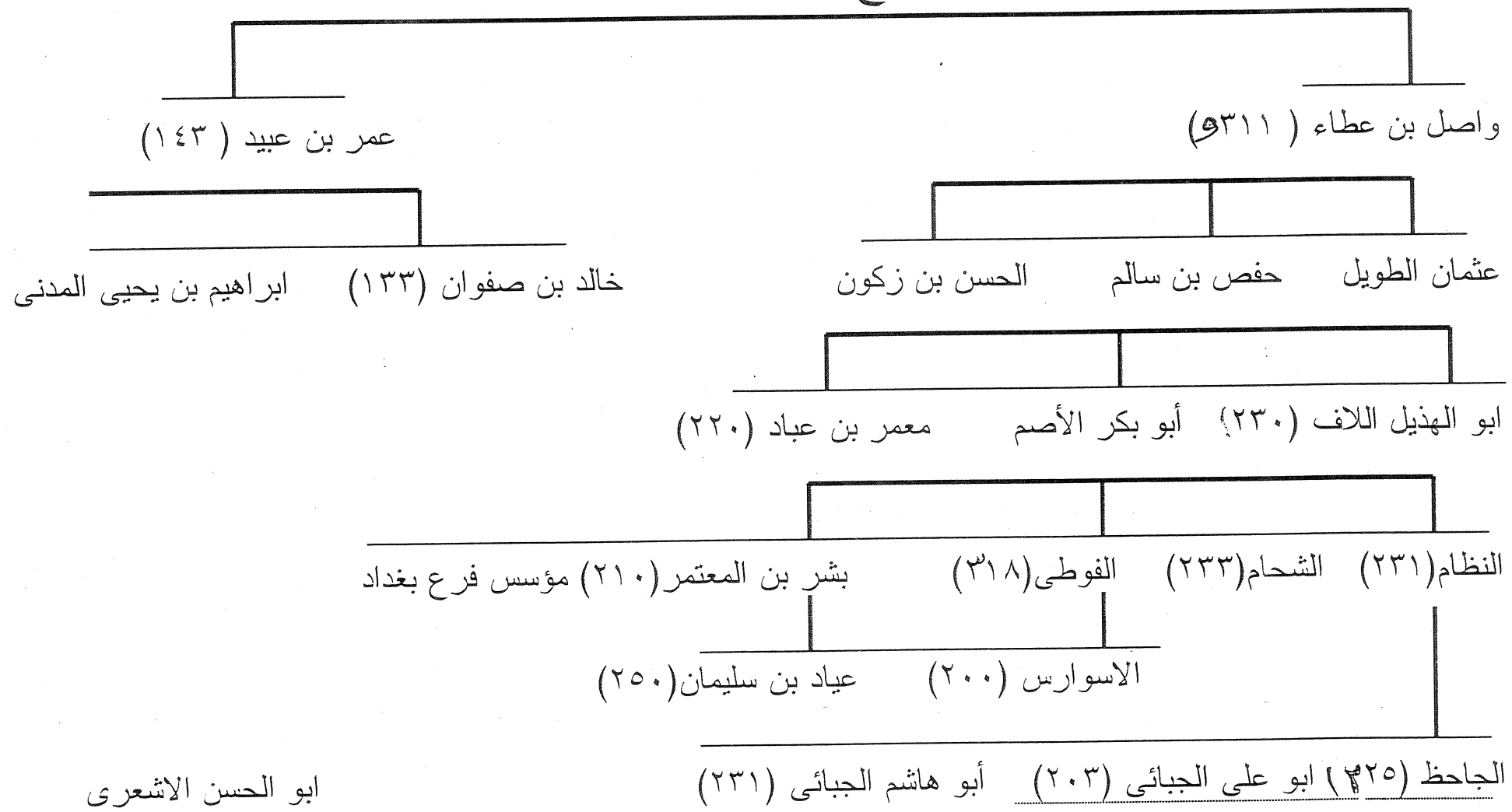

* المنية والامل : للقاضى عبد الجبار ص ١٠٧

فرع بغـــداد **

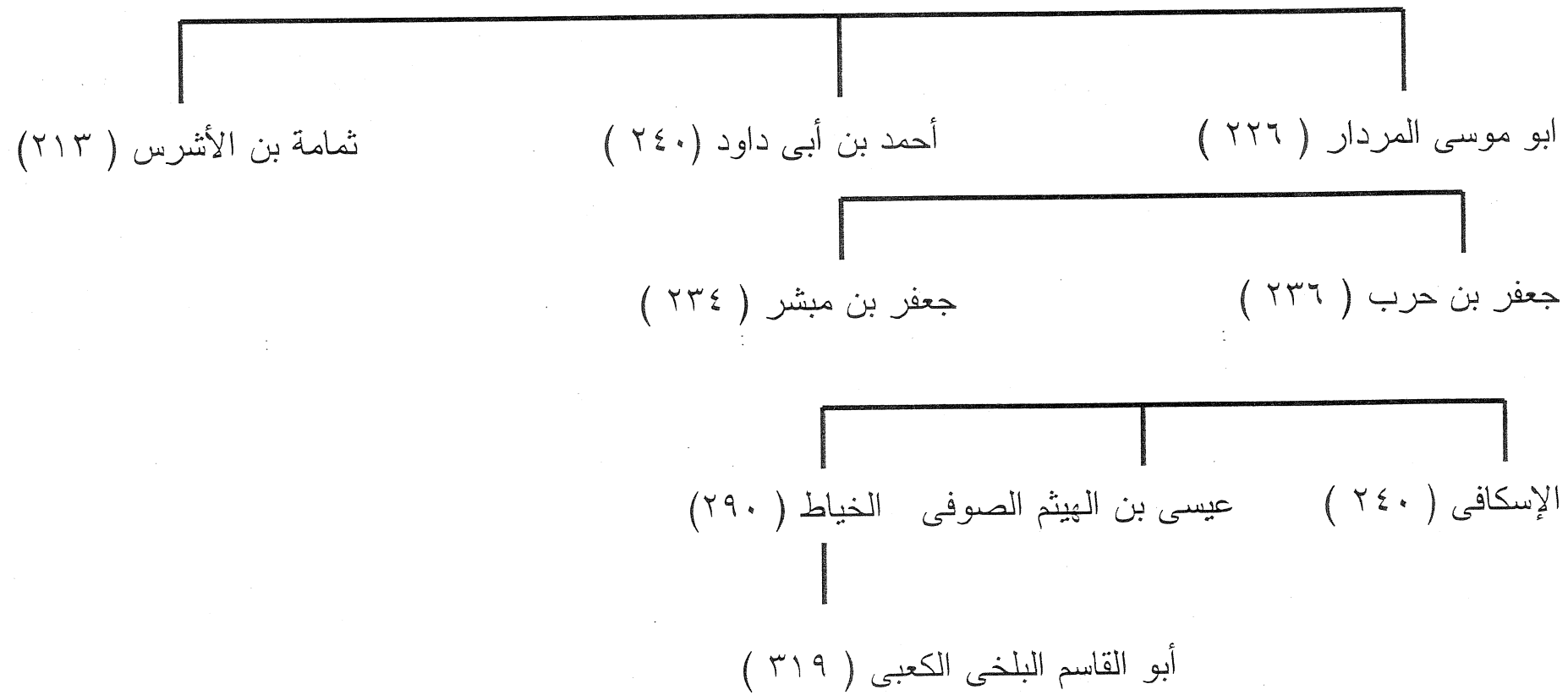

** لمنية والامل : للقاضى عبد الجبار ص ١٠٨

هـــذا ،وقد صنف كثير من شيوخ المعتزلة تفاسير للقرآن الكريم ساروا فيها عـــلى مـــذ هبهم الخاص الذي لا يخرج عن الأصول الخمسة – التي اتفقوا عليها .

ورغـــم أن للمعتزلة جرأة كبيرة على كتاب الله وعلى المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – إلا أن لهم جهداً مشكوراً تجاه كتاب الله .

وهذه التفاسير فُقِد منها الكثير ،وكان في فقدانها حرمان للمكتبة الإسلامية من تراث علمي لوبقى إلى يومنا هذا لألقى لنا ضوء اً واضحاً على مدى التفكير التفســـيري لشيوخ هذا المذهب الإعتزالي ، ولكشف لنا عن حقيقة ما ينسب لبعض شيوخهم من تفسيرات واسعة النطاق . نسمع بها من علمائنا المتقدميين ، ونقف منها موقف الحائر بين الشك واليقين ، لما يذكر عنها من الأستفاضة ، والتضخم الى حد يكاد يكون متخيلاً أو مبالغ فيه[١].

ويذكر لنا كل من العلامة السيوطى والعلامة الداودى رحمة الله تعالى عليهما فى كـــتابيهما "طـــبقات المفسرين" أن علماء كثيرين من المعتزلة صنفوا في التفسير. أشهر هؤلاء العلماء :-

[١] محمد بن عبد الوهاب بن سلاّم المعروف بأبي على الجبائى والمتوفى عـــام ثلاثة وثلاثمائة أحد شيوخ المعتزلة

الذين كانت لهم شهرة واسعة في الفلسفة والكلام ويعد رأس المعتزلة وانتهت إليه رياستهم وله مقالات وتصانيف "التفسير" ومتشابهه القرآن[٢]

---

(١) انظر التفسير والمفسرون د/ الذهبي حـــ١/٣٦٥

(١) طبقات المفسرين للداودى حـــ٢ صـــ١٨٩ ط مكتبة وهبه

[٢] عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلى . كان له تفسير عجيب – وله تصانيف كثيرة [١] ...

[٣] عبد السلام بن محمود بن يوسف بن بندار – أبو يوسف القزوينى شيخ المعتزلة ونزيل بغداد .. كان أحد المعمرين والفضلاء المقدمين جمع "التفسير الكبير" الذي لم يُر في التفسير أكبر منه ولا أجمع للفوائد لولا أنه مزجه بكلام المعتزلة ، وبث فيه معتقده وهو في ثلاثمائة مجلد ، منها سبع مجلدات في الفاتحة [٢] .

[٤] محمد بن على بن إسماعيل الإمام أبو بكر الشَّاش الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير . كان إمام عصره بما وراء النهر ، فقيهاً محدثاً،مفسرا، أصوليا ، لغوياً، شاعراً ، لم يكن للشافعية بما وراء النهر مثله فى وقته صنف في التفسير والأصول و الفقه[٣].

[٥] أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري المتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من "الهجرة" فسر القرآن الكريم تفسيراً عظيماً لولا مافية من نزعات الإعتزال التي غلبت عليه واسمه الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .

---

(١) طبقات المفسرين للداودى حـ١/٢٧٤ ط دار الكتب العلمية ببيروت –لبنان –

(٢) طبقات المفسرين للسيوطى صـ٥٦ ط دار الكتب العلمية ببيروت –لبنان –

(٣) المرجع السابق صـ ٩٤-٩٥

[٦] القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذانى . المتوفى سنة خمس عشرة وأربعمائة "له كتاب تفسير اسمه تنزيه القرآن من المطاعن" وإن كان هذا الكتاب بين أيدينا لكنه لم يشمل جميع آيات القرآن الكريم .ولعل اشمل ما وصل إلينا من تفاسير المعتزلة كتاب الكشاف للزمخشرى ثم كتاب القاضى عبد الجبار " تنزيه القرآن عن المطاعن".
لذا سوف نذكر نبذة إن شاء الله – على الكاتبين ...

الزمخشـــري

اسمه ولقبه وكنيته :

هـــو محمـــود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشـــري المكـــنى أبـــا القاسم الملقب بجار الله [١]الإمام الكبير في التفسير [٢])والحديـــث والـــنحو واللغة وعلوم البيان ، كان إمام عصره من غير مدافع ، تشد إليه الرحال فى فنونه [٣]

مصنفاته :-

صنف الزمخشري التصانيف البديعة: منها "الكشاف" في تفسير القـــرآن و "المحاجـــاة بالمسائل النحوية" و "المفرد المركب" فى العربية . و "الفـــائق فى تفســـير الحديـــث"و "أســـاس البلاغة" في اللغة و"ربيع الأبرار" و"متشابهة أسامى الرواة" و"النصائح الكبار" و"النصائح الصغار" [٤] .

و الزمخشري بجوار ما يتحلى به من ثقافة إسلامية عميقة تؤهله أن يكون من العلماء كذلك له من الصلاح والتقى ما يجعل من العلماء من يثنى عليه خيراً

---

(١) وســـبب هـــذا اللقب أنه سافر إلى مكة وجاروا بها زماناً فصار يقال له "جار الله" وكان هذا الاسم علماً عليه انظر طبقات المفسرين للداودى حـــ٢/٣١٥ ط مكتبة وهبة، وانظر وفيات الأعيان حـــ٥/١٦٩ ط دار صادر

(٢) أري أن الزمخشري ليس جديرا بأن ينال هذا اللقب إلا أن يراد به أنه إمام المعتزلة ، فإذا نسب إليه لفظ الإمام الكبير فينبغي أن يقرن بما يفيد أنه إمام المعتزلة فقط .

(٣) وفيات الأعيان حـــ٥/١٦٨

(٤) المرجع السابق حـــ٥/١٦٨

لــولا أنــه معتــنق مذهب الإعتزال داعٍ إليه الأمر الذي جعل بعض العلماء يستجير بالله منه ،

بــل إن بعضــهم ليحــذر من كشافه ، ويمنع النظر فيه ولو كان الناظر يعلم إعتزال صاحبه.

يقول ابن حجر رحمه الله . واصفاً الزمخشري :

إنــه – صالح ولكنه داعية إلي الإعتزال أجارنا الله . فكن حذرا من كشافه ... ويقــول الإمــام محمــد بن حمزة : "والناظر في الكشاف إن كان عارفاً بدسائسه فلا يحل له أن ينظر فيه لأنه لا يأمن الغفلة فتسبق إليه تلك الدسائس وهــو لا يشــعر ، أو يحمل الجهال بنظره فيه على تعظيمٍ وأيضاً فهو مقدم مرجوحاً على راجح وإن كان غير عارف بدسائسه فلا يحل له النظر فيه لأن تلك الدسائس تسبق إليه وهو لا يشعر معتزلياً[١].

ومما يروى عن الزمخشري أن إحدى رجليه كانت ساقطة ، وان كان يمشى فــي جاون خشب . وسبب سقوطه رجله شده البرد في بلدته خوار زم حيث الثلج كثير والبرد وهذا وذاك يؤثران في الأطراف فتسقط وقد سقطت أطراف خلق كثير بهذا السبب فلا يستبعده من لم يعهده .

ولكــن الزمخشري رحمه الله سئل عن سبب سقوط رجله فقال دعاء الوالدة : إنــي أمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله ، وأفلت من يدي ، فأدركته وقد دخل فى خرق ، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط ، فتألمت والدتي لذلك وقــالت :قطــع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله فلما رحلت إلى بخاري في

---

(١) لسان الميزان لابن حجر حـــ٤/٦ ط مجلس دائرة المعارف النظامية .

طـــلب العلم سقطت عن الدابة فانكسرت الرجل ، وعملت علىَّ عملاً أوجب قطعها[١] .

لعلـــه وقـــع عن الدابة أولاً فأصيب ثم أثّر البرد والثلج على رجله المصابة فأوجب هذا وذك القطع والله أعلم بالصواب .

والـــبعض يرى أن هذه الحادثة قد رسخت في نفس الزمخشري حيث أرادت أمـــه أن يكون منذ طفولته راعياً لله فى خلقه من إنس أو طير، ولعلها كانت تذكّـــره دومـــاً بعاقبة قسوته على الطير لينشأ مفطوراً على رعاية الدين فلا يتعرض لأحد بإيذاء أو مضرة[٢].

قـــلت إن صحت هذه الرواية فإن الأم تكون أحسنت إذ أرادت إن تجنب ابنها القســـوة على الضعفاء من المخلوقات منذ الصغر ، ولكنها أخطأت في اتخاذ وســـيلة الأدب والتربية ، ففي دعائها عليه مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عـــليه وســـلم : فقد روى مسلم في صحيحه بسنده-" أن النبى صلى الله عليه وسلم" قال: " لا تدعوا على أنفسكم و لا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءٌ فيستجيب لكم[٣].

هذا ، وقد كان الزمخشري شديد الإعتزاز باعتقاده الإعتزال ، متظاهراً به ، شديد الفخر بتفسيره الكشاف .

---

(١) وفيات الأعيان حـــ/١٦٩-١٧٠

(٢) انظـــر مـــنهج الزمخشري في تفسير القرآن صـــ٢٥ للأستاذ /مصطفى الصاوى الجوينى ط دار المعارف .

(٣) أخرجه مسلم حـــ١٣٩/١٨ كتاب الزهد باب حديث جابر الطويل وقصة أبى اليسر

أمـــا اعـــتزازه بأنه معتزلى فإنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأذن له الأذن :قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب ... وأول مـــا صنف كتاب "الكشاف" كتب استفتاح الخطبة "الحمد لله الذي خلق القرآن" فقيل له : متى تركته على هذه الـ هيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه فغيَّره بقوله . "الحمد لله الذي جعل القرآن" وجعل عندهم بمعنى خلق... وفى كثير مـــن النســـخ "الحمـــد لله الـــذي أنزل القرآن" وهذا إصلاح الناس لاإصلاح المصنف (١)

ويـــبدو أن هـــذا الـــرأي ليـــس بالقوى لأن الزمخشري كان شديد الإعتزاز بالإعتزال -كما سبق- فلا يضيره أن يظن الناس أنه معتزلى وذكر فى مقدمة الكـــتاب بما هو صريح في المعنى ولم يبال بأنه قبيح حيث قال :"أنشأه كتابا ساطعاً تبيانه" (٢) وأنشأ بمعنى خلق ..

وأما اعتزازه بكشافه فإنه يصفه بشعر له بما يفيد أن ليس له مثيل فيقول.

إن التفاســـير فى الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمرى مثل كشافى

إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كشافى (٣)

وكانت وفاة الزمخشرى "رحمه الله" ــ بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة وذلك ليلة عرفه(٤) سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة وقد رثاه

---

(١) وفيات الأعيان صـــ٥/١٧٠ ط دار الثقافة

(٢) انظر مقدمة الكشاف للزمخشري حـــ١/٢ .

(٣) طبقات المفسرين للداودى حـــ٢/٣١٦ تحقيق على محمد عمر

(٤) ان صح هذا فربما يكون قد خرج من مكة قبل أيام الحج واستغرق سفره الى بلده زمنا طويلا حتى وصل فى التاريخ المذكور .

بعضهم بأبيات من الشعر من جملتها :

فأرض مكة ندّى الدمع مقلتها

حزنا لفرقة جار الله محمود [١]

---

(١) طبقات المفسرين للداودى حـــ٢/ ٣١٥ وفيات الأعيان حـــ٥/ ١٧٠

القاضى عبد الجبار

وهو قاض القضاه .[١] عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل القاضـــى أبو الحسن الهمذانى الأسداباذى ..كان من غلاة المعتزلة وكان إمام أهل الإعتزال فى زمانه ، وكان ينتحل مذهب الشافعى فى الفروع ، ومذهب المعـــتزلة فى الأصـــول وله التصانيف السائرة الكثيرة ، ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب دلائل النبوة فى مجلدين أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة .

عـــاش دهـــراً طويـــلا حتى ظهرت له الأصحاب وبعد صيته ورحلت إليه الطلاب ، وولى قضاء الرى وأعمالها .

ونشأ القاضى عبد الجبار فقيراً ووصل من رقة حاله ما روى عنه أنه كان له زوجـــة وولد وابتاع ليلة من الليالى دهنا ليداوى به جربا كان عليه فلم أظلم الليل تفكر هل يطلى الجرب أو يشعل به السراج ولا تفوته مطالعة الكتب ، فـــرجح عـــنده الإشعال للمطالعة . [٢] ثم اغتنى بعد ذلك وبلغ من الغنى حداً كـــبيراً فاقتـــنى المال والعقار حتى أجمع المؤرخون على كثرة الأموال التى صادرها منه فخر الدولة بعد أن عزله عن القضاء .

---

(١) هكذا يلقبه المعتزلة ، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه ، ولا يعنون به عند الأطلاق غيره ،طبقات المفسرين الدوادى حـــ١/٢٦٢ .

(٢) هذا يدل على ان القاضى عبد الجبار ـــ رحمه الله ـــ كان شغوفا بالعلم حريصا على تحصيله محافظاً على وقته ، وان فقره لم يقعده عن تحصيل العلم .

توفى القاضى عبد الجبار فى ذى القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة (٤١٥) بالرى ودفن فى داره .[١]

---

(١) انظر طبقات المفسرين للسيوطى صـــ٤٩ ط دار الكتب العلمية تاريخ بغداد لأبى بكر البغدادى حـــ١١/١١٣ــ ١١٥ ط دار الكتب العلمية وميزان الإعتدال فى نقد الرجال للذهبى حـــ٣/٢٤٧ ط دار الفكر العربى ، شذرات الذهب فى اخبار من ذهب لعبد الحى بن العماد الحنبلى حـــ٣/ ٢٠٢ ــ ٢٠٣ ط دار التراث العربى ، طبقات المفسرين للدوادى حـــ١/٢٦٢ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الأصـــول الخمسة عنـد المعتزلة

تمهيد:-

للمعتزلة أصول خمسة تمسكوا بها ودعوا إليها ، وأوجبوا على كل من يحمل صـــفة الإعتزال أن يعتنق هذه الأصول وإلا فلا يستحق اسم الإعتزال ، وقد ســـبق قول أبى الحسين الخياط " وليس يستحق أحد منهم اسم الإعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد-والعدل-والوعد والوعيد-والمنزلة بين المنزلـــتين-والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر -فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلى [١]

هـــذه هـــي الأصول الخمسة الجامعة لمذهب المعتزلة ، فكل من يرغب عن طريقها ، ويتبع عبر سبيلها ، فليس منهم ولا يحتملون إثمه ، ولا تلقى عليهم تبعة قوله.

والمعـــتزلة اتخـــذوا هذه الأصول قواعد وبنوا عليها مذهبهم الإعتزالي ، ثم حـــاولوا بعد ذلك إخضاع آيات القرآن الكريم حتى يتسنى لهم استخراج أدلة تثبت صحة هذه الأصول الخمسة ..

وحتى تعم الفائدة ، وتتضح الصورة كاملة ، سوف نلقى الضوء بالحديث عن كل أصل من هذه الأصول . ونجعل كل أصل فى فصل كامل بعد أن أصدر الفصل بهذا الأصل ثم اناقشه مناقشة علمية ، وأبين أخطأهم التي انحدروا فيها ، وأرد عـــليهم مـــن خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة ، وأراء العلماء المنصفين فيما ذهب إليه هؤلاء الإعتزاليون ... والله الموفق والمعين

---

[١] الإنتصار صـــ١٢٧

الفصل الثانى

التوحيد

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : رؤية الله فى الدنيا والآخرة

المبحث الثانى : الصفات ليست شيئاً غير الذات

المبحث الثالث : خلق القرآن

التوحيد

التوحيد يعد الأصل الأول من أصول المعتزلة ، وهو لب مذهبهم ورأس نحلتهم يقول الأشعري فى كتابه " مقالات الإسلاميين " "أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وليس بجسم ولاشبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ، ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ، ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ، ولا اجتماع ولا افتراق ، ولا يتحرك ولا يسكن ولايتبعض ولا بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ، ولا يجرى عليه زمان ، ولا تجوزعليه المماسَّة ، ولاالعزلة ولا الحلول في الأماكن ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ولا يوصف بأنه متناهٍ ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمحدود ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولا تجرى عليه الأفات ، ولا تحل به العاهات ، وكل ما يخطر بالبال وتُصوَّر بالوهم فغيرمشبه له ، لم يزل أزلاً سابقاً للمحدثات موجودا قبل المخلوقات لم يزل عالماً قادراً حياً ولا يزال كذلك ، لا تراه العيون ، ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام ، ولا يُسمع بالأسماع شئ لا كالأشياء ، عالم قادر حى ، لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وإنه القديم وحده ، ولا قديم غيره ، ولا إله سواه ولا شريك له فى ملكه ولا وزير له فى سلطانه ، ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلقُ شئٍ بأهون عليه من خلق شئ آخر ولا بأصعب عليه منه ، ولا يجوز عليه اجترار المنافع ، ولا تلحقه

المضار ، ولا يناله السرور واللذات ولا يصل اليه الأذى والألام، وليس بذى غايــةٌ فيتناهى ولا يجوز عليه الفناء ، ولا يلحقه العجز والنقص ، تقدس عن ملامسة النساء وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء .

هــذه جمــلة قولهــم فى التوحيد ، وقد شاركهم فى هذه الجملة الخوارج ، و طوائف من المرجئه ، وطوائف من الشيع ، وإن كانوا للجملة التى يظهرونها ناقضين ولها تاركين .[١]

هذا تعريفهم للتوحيد ، وإذا ما نظرنا فيه وجدنا تكراراً لا تدعو الحاجة اليه ، كما أن فيه بعض الألفاظ التى لا تليق بذات الله تعالى ، ولا تتفق مع أصحاب العقيدة السلمية ، فقولهم مثلاً :

ولا بــذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسّمة . يغنى عنه اجماعهم على أن الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .....

وقولهــم : لا يــتحرك ولا يســكن ولا يتبعض ولا بذى أبعاض ولا أجزاء وجــوارح فيه شئ من التكرار فليس ثمة فرق بين لا يتبعض وبين ولا بذى أبعاض وأجزاء . فالأبعاض هى الأجزاء كما أن الأجزاء هى الأبعاض ... قولهم : ليس بذي جهات ثم قولهم ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ... أرى أن الجملة الأولى وهى قولهم : ليس بذي جهــات تغنى عما ذكر بعدها فإن كل ذي لب يفهم بأن الله إذا وصف نفسه بأنه ليس بذي جهة فهو ليس بذي يمين ولا شمال ...الخ

---

[١] مقالات الإسلاميين حـــ١ / ٢٣٥، ٢٣٦ ط السعادة

قولهـــم :لا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ولا يوصف بأنه متناهٍ ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب فى الجهات وليس بمحدود ولاوالد ولا بمولـــود ... الخ.. أيضاً هذا مما تكرر ذكره وليس هناك فرق بين ليس بذي جهات وبين وليس بمحدود ..

قولهم : "شئ لا كالأشياء " هذه العبارة أري أنها لا تليق بذات الله-جل فى عـــلاه . حيـــث إن كلمة شئ إنما هي نكرة والنكرة تطلق على الشيء غير المعـــروف . ثـــم إن كلمة شئ تعنى أن قد شاءه غيره – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـــ يقول ابن منظور:

شئت الشيء اشأوه شيئا ومشيئة [١]

قولهم: وأنه القديم وحده ولا قديم غيره ،ولا إله سواه ولا شريك له فى ملكه ولا وزيـــر له فى سلطانه ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق" فان كـــل جمـــلة من هذه الجمل يغنى أولها عن آخرها فالقول بأنه سبحانه القديم وحده لا يحتاج إلى ولا قديم غيره ولا إلى لا اله سواه ،وكذا لا شريك له فى ملكه ،وكذلك قولهم ولا وزير له ... ولا معين فان الذي ليس له وزير ليس له معين حيث إن الاثنين بمعنىً ـ

قولهم: لا تلحقهم المضار ولا يصل إليه الاذى والآلام-المضار ولآذى والآلام كلها بمعنى (ولو قالوا لا تلحقه الأفات لكان أنسب والله أعلم.)

قولهـــم : تقـــدس عـــن ملامســـة النســـاء..وســـبق أن قالوا ولا تجوز عليه المماسة..والعبارة الأ خيرة فى تعريفهم وهى تقدس الله عن ملامسة النساء .

---

(١) لسان العرب لابن منظور حـــ ٤ / ٢٣٦٩ ط دار المعارف

تغنى عن العبارة السابقة وهى قولهم ولاتجوز عليه المماسة

فإذا كان سبحانه تقدس عن ملامسة النساء فانه يتقدس عن المماسة من باب أولى.لان المماسّة تعنى الجماع ومباشرة الرجل المرأة سواء كانت زوجته أو لم تكن .

قـــال صاحب لسان العرب :المماسَّة كناية عن المباضعة وكذلك التّماس قال تعالي "مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا [١]وفى الحديث فأصبت منها دون أن أمسَّها [٢]يريد أنه لم يجامعها [٣].

وقد بنوا علي هذا الأصل " التوحيد" ثلاثة أشياء :

١- اســـتحالة رؤية الله سجانه وتعالي يوم القيامة لاقتضاء ذلك فى زعمهم الجسمية والجهة .

٢- إن الصـــفات ليســـت شـــيئا غير الذات وإلا تعدد القدماء في نظرهم .

---

[١] سورة المجادلة من الآية : ٣

[٢] الحديث رواه الترمذي وقال حسن صحيح ونصه "جاء رجل إلي النبي صلى الله عليه وسلم وقال إني عالجت امرأة في أقصى المدينة ، وإني أصبت منها مادون أن أمسها ، وأنا هذا فأقض فيَّ ما شئت ، فقال عمر لقد سترك الله ولو سترت علي نفسك ، فلم يرد عليه رسول الله "صلى الله عليه وسلم " شيئاً ، فانطلق الرجل فأتْبعه رسول الله صلى "الله عليه وسلم "رجلا فدعاه فتلا عليه :" وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ " هود :١١٤-فقال رجل من القوم هذا له خاصة قال لا بل للناس كافة . انظر الترمذي حـــ٨ /٥١٢- ٥١٣ كتاب تفسير القرآن عن رسول الله" صلى الله عليه وسلم"/ ١٢باب ومن سورة هود .

[٣] لسان العرب حـــ ٦ /٤٢٠١- ٠٢ ٤٢

٣- إن القرآن الكريم مخلوق لله سبحانه وتعالي .

ومن الخير أن نجعل لكل موضوع من هذه الموضوعات مبحثا خاصا ، لنتعرف علي آرائهم وحججهم في كل موضوع ...

ومن الله نستمد العون والتوفيق

" مذهب المعتزلة في رؤية الباري"

أنكر المعتزلة رؤية الله في الدنيا والآخرة ، زاعمين أن هذا يتنافى مع عظمة الله - فالله في نظرهم أعظم من أن يري لأن الرؤية علي مذهبهم تجعل الله في حيز من المكان ..

وهي تتنافى في نظرهم مع التوحيد لأنها يترتب عليها أن الله شبيه بالحوادث ، واحتجوا بآيات يوهم ظاهرها نفي الرؤية. وسوف نذكر بمشيئة الله تعالي الآيات التي احتجوا بها ووجهة نظرهم وتفسيرا تهم لهذه الآيات ثم نقوم بالرد عليهم بعون الله وتوفيقه من خلال تفاسير وأقوال علماء أهل السنة والجماعة

والله نسأل أن يوفقنا إلى مافية الصواب والرشاد ،

أدلة المعتزلة النقلية على نفى الرؤية

استدل المعتزلة ببعض آيات يوهم ظاهرها استحالة رؤية الله جل جلاله من هذه الآيات

١) قول الله تعالي : "يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ" (١)

استدل القاضي عبد الجبار والزمخشري وغيرهما من علماء المعتزلة بهذه الآية علي نفي روية الباري سبحانه وتعالي .

يقول القاضي عبد الجبار في كتابه متشابه القرآن : وقوله تعالي : يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا... الآية يدل علي نفي الروية عن الله تعالي لأنه عظم من قوم موسى هذه المسألة وأكبرها، وجعلها لعظمها مثلا في تكذيب القوم بالنبي "صلى الله عليه وسلم "-في المعجزة واقتراحهم عليه في المعجز ما اقترحوا ، وتركهم الإيمان به مع ما قد ظهر عليه من القرآن وسائر المعجزات ، وبيّن أنهم عند هذا السؤال أخذتهم الصاعقة ، وبين أنهم ظلموا فيما سألوا ، لأن مسألتهم وإن لم تكن ظلماً للغير فهي ظلم لأنفسهم (٢)

أما الزمخشري فإنه يرى أن ظلمهم هو سؤالهم رؤية الله ومن ثمَّ أخذتهم الصاعقة ، وسموا ظالمين لأنهم سألوا سؤالاً غير جائز ، ولو كان سؤالهم جائزاً لما أخذتهم الصاعقة ، ولما كانوا ظالمين ، فإن إبراهيم عليه السلام سأل الله أن يريه إحياء الموتى ولم يسمه ظالما ولا رماه بصاعقة...

---

(١) سورة النساء من الآية: ١٥٣

(٢) متشابه القران القسم الأول تحقيق د/ عدنان محمد زرزور صـ ٢١٠ ط دار النصر

ثـم يتطاول الزمخشري - كعادته -علي أهل السنة والجماعة فيقول : فتباً للمشبهة ورميا بالصواعق[١].

الرد عليهم وتفنيد أرائهم :-

أولا : رأي القاضي عبد الجبار :

قـولُ القاضـي عبد الجبار أن هذه الآية تدل عـلي نفى الرؤية ... الخ قول مردود فإنه لم يأت به النقل ، ولا يتناسب مع العقل .

وليست الصاعقة لذات السؤال ولكن لتكذيبهم وعنادهم وطغيانهم . يقول ابن كـثير - رحمـة الله عليه - في معني قوله تعالي : (فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) أى بطغيانهم وبغيهم ، وعتوهم وعنادهم [٢]

وذلك لأن سؤالهم لم يكن لأجل العلم والأسترشاد ، بل لمحض العنت والعناد

يقول القرطبي :

إنما قالوه علي سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد كما تعنت آباؤهم من قبل حيـث سـألوا موسـى أكبر من هذا فقالوا " أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً " [٣]أي عيانا[٤] وكذلـك سأل كفار قريش رسول الله " صلى الله عليه وسلم" - تعنتا وعنادا

---

[١] الكشاف حـ١/ ٣١٠ - بتصرف واختصار وتلخيص

[٢] تفسـير القـران العظيـم لابن كثير حـ ٢ /٢٧٦ ط مكتبة الإيمان الطبعة الأولي ١٤١٧/١٩٩٦م

[٣] سورة النساء الآية ١٥٣

[٤] الجامع لأحكام القرآن حـ ٦/ط٦ دار الكتب .

كما سال اليهود وأسلافهم مما يدل علي أن العناد والتعنت منهج الكافرين في كل عصر وجيل ومن ثمَّ كان العقاب من الله .قال تعالى :

"وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا " (١)

ثانياً : رأى الزمخشري :-

أما كلام الزمخشري فإنا نستطيع أن نجعله قسمين :

القسم الأول : زعمه أن الظلم الذى وقع منهم وبه أخذتهم الصاعقة هو طلب الرؤية ويصرح بأنهم لو طلبوا أمراً جائزاً لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة ثم يستشهد على ذلك بسؤال إبراهيم ربه "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ "(٢)

القسم الثاني : تطاوله على أهل السنة والجماعة ودعاؤه عليهم بالهلاك ، ووصفه إياهم بالمشبهة . ولنا على ذلك ملاحظات .

زعمُ الزمخشري أن الظلم هو طلب الرؤية باطل – كما مر من قبل . فلم تأخذهم الصاعقة لمجرد سؤالهم رؤية الله كما زعم الزمخشري – ولكن بسبب طغيانهم وعتوهم وعنادهم كما قال ابن كثير (٣) رحمه الله تعالى .

أماماذهب إليه الزمخشري من تنظير هذا السؤال بسؤال سيدنا إبراهيم –عليه السلام – فعجيب وفيه تعسف واضح ، حيث إن القياس فاسد ، والمقارنة لا تصلح ، ووجه الشبه معدوم ، وشتان بين السؤالين ...

---

(١) سورة الإسراء : ٩٠

(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٦٠

(٣) تفسير القرآن العظيم حـ ٢/٢٧٦

وكيف نقارن بين من سأل وصرح لسانه بالإيمان حيث قال له ربه " أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ " (١)

وبين هؤلاء الذين طبوا من موسى خصوصية وعلقوا إيمانهم بها وصرح لسانهم بنفي الإيمان وقالوا : "لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً " (٢)

إن إبراهيم لم يكن شاكاً فى قدرة الله وإلا ما استحق ثناء الله عليه فى كثير من آيات القرآن الكريم ، ولما قال رسول الله" صلى الله عليه وسلم" نحن أحق بالشك من إبراهيم "عليه السلام" إذ قال "رب أرني كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي "(٣).

بل إن الشك على سيدنا إبراهيم عليه السلام –لا يجوز – وكذلك بقية الأنبياء عليهم الصلاة السلام . يقول القرطبي – رحمه الله :-

ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فإنه كفر ، والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث . وقد أخبر الله تعالى أن الأنبياء وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال :" إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ "(٤) وإذا لم يكن له عليهم سلطنة فكيف يشككهم ؟!.. . فالشك يبعد على من تثبت قدمه

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٦٠

(٢) سورة البقرة من الآية ٥٥

(٣) رواه مسلم كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة حـ ٢ / ١٨٣ ط المطبعة المصرية ومكتبتها .

(٤) الحجر من الآية : ٤٢

فى الإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلُّة ، والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها الرذيلة إجماعاً [١]

وأراد إبـــراهيم عـــليه الســـلام أن يـــترقى من خلال سؤاله ربه إ لي أعلى الدرجات وهى عين اليقين.

يقول ابن كثير – رحمه الله :-

... أنه لما قال النمرود " رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ "[٢] أحب أن يترقى من علم اليقيـــن بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة ، ويعاين ذلك معاينة لأن الخبر لا يكون عند ابن آدم كالعيان ، على ما قيل ليس الخبر كالمعاينة ، فقال رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي[٣].

وقيـــل: بل كانت مسألته ربه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذه خليلا، فســـأل ربـــه أن يريه عاجلا من العلامة له على ذلك ، ليطمئن قلبه بأنه قد أصطفاه لنفسه خليلاً ، ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيّداً ، فقام يدعو ربه يقـــول :- رب أرني كيف تحيى الموتى حتى أعلم أنى خليلك قال أولم تؤمن بآني خليلك ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي بِخُلولتك[٤].

---

[١] الجامع لأحكام القرآن حـــ٤/ ٢٩٨ –٢٩٩

[٢] سورة البقرة من الآية : ٢٥٨

[٣] تفسير القرآن العظيم حـــ١/ ٣٩٥ وانظر الدرر المنثور حـــ١/٣٣٤

[٤] جامع البيان فى تأويل القرآن للطبري حـــ٣ /٧١: ٧٢ ط دار الغد .

وقيل قوله : بلى ولكن ليطمئن قلبي أي ليطمئن قلبي ، وأعلم أنك قد استجبت لـــي فيمـــا دعوتك ، وأعطيتني الذي سألتك ، ويطمئن قلبي أنك أريتني الذي أردت[١].

ويقول صاحب التأويلات :

يحـــتمل أن يكـــون إبراهيم – عليه الصلاة و السلام – أراد بسؤاله ذلك أن تكـــون له أيـــة حسيّة ، لأن آيات إبراهيم كانت عقلية ، وآيات سائر الأنبياء كانت عقلية وحسية . فأحب إبراهيم – صلوات الله عليه وسلامه ، أن تكون له آية حسية على ما لهم كسؤال ذكريا ربه حيث قال " رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً " قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً "[٢]

وأرى أن فى هذا الرأي نظراً ، والقول بأن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم تكن لـــه آية حسية غير سديد ، فإن نجاته من النار أية حسية مرئية بل هي غاية فى الإعجـــاز أن يكـــون إبراهيم عليه السلام فى قلب النار ولم تحرقه ، ولم تؤذيه ، بل كانت عليه برداً وسلاماً لأن الله أبطل مفعولها وفى هذا آية كريمة ومعجـــزة عظيمـــة قال تعالى " فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُواْ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.[٣]

---

[١] تفسير جامع البيان للطبري حـــ٣ /٧٥ دار الغد .

[٢] تـــأويلات أهـــل السنة للماتريدى صـــ ٦٠٩ : ٦١٠ – والآية فى سورة آل عمران من الآية :٤١

[٣] سورة العنكبوت آية : ٢٤

وقال سبحانه :

" قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ " [١] كما لا نؤيد صاحب التأويلات فى قوله : أن آيات الأنبياء كلهم كانت حسية وعقلية إذ المعروف أن النبي محمداً "صلى الله عليه وسلم " هو الذي أعطى معجزات حسية [٢] ومعجزات معنوية وهو القرآن الكريم

---

(١) سورة الأنبياء آيتان ٦٨ :٦٩

(٢) مثل انشقاق القمر ، وحنين الجذع ونبع الماء من أصابعه وغير ذلك – فحديث انشقاق القمر رواه الشيخان ولفظ البخاري "عن أنس بن مالك رضى الله عنه " أن أهل مكة سألوا رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر "ح حـ٦ /٧٣٠ ك المناقب ب سؤال المشركين أن يريهم النبي "صلى الله عليه وسلم" آية فأراهم انشقاق القمر ومسلم ، حـ١٧/ ١٤٣ ك صفات المنافقين وأحكامهم ب انشقاق القمر ورواه الترمذي وقال عنه حديث حسن صحيح حـ٩ / ١٦٤ ، ١٦٥ ك تفسير القرآن / ٥٤ ومن سورة القمر. وحديث حنين الجذع رواه النسائي حـ٣/١١٣ كتاب الجمعة باب الصلاة يوم الجمعة لمن جاء وقد خرج الإمام حديث رقم١٣٩٥ – ونصه " كان رسول الله "صلى الله عليه وسلم" إذا خطب ! يستند إلى جذع نخلة من سواري المسجد ، فلما صنع المنبر واستوى عليه ، اضطربت تلك السارية كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها رسول الله "صلى الله عليه وسلم ." فاعتنقها فسكتت " وعن نافع عن ابن عمر أن النبي "صلى الله عليه وسلم " كان يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم – المنبر ، حن الجذع حتى أتاه فالتزمه فسكن " انظر الترمذي حـ٣/٣٨ ك الصلاة ب الجمعة حديث رقم ٥٠٥ ، قال أبو عيسى حديث ابن عمر حديث حسن غريب صحيح ... وفى رواية البخاري ... فسمعنا لذلك الجذع //

لتتناسب مع عمومية رسالته فى الزمان والمكان ، أما غيره من الأنبياء فكانت معجـــزاتهم حسية فقط ... اللهم إلا أن يقصد صاحب التأويلات أن معجزات الأنبياء تدرك بالعقل .

والدليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنفرد بالمعجزة المعنوية ما جـــاء فى الســـنة عن أبى هريرة "رضى الله عنه" قال : قال النبي" صلى الله عـــليه وسلم" : ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات مامثله آمن عليه من البشـــر ، وإنما كان الذي أُتيته وحياً أوحاه الله إلىَّ ، فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " [1] وقيل – يحتمل سؤاله عما يسأل لما نازعته نفسه وحدثته فى كيفية الإحياء ، وقد تنازع النفس وتحدث بما لا حاجة لها إليه من حيث

// صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبي صلى" الله عليه وسلم" فوضع يده عليها فسكنت " البخاري حـــ٦ / ٦٩٦ ك المناقب حديث رقم ٣٥٨٥

حديـــث نبع الماء من بين يديه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم أن سيدنا جابراً "رضى الله عـــنه" أتى ســـيدنا رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بجفنه ووضعها بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبجفنة هكذا فبسطها وفرَّق بين أصابعه ثم وضعها فى قعـــر الجفـــنة وقال خذ يا جابر فصب علىَّ وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فـــرأيت الماء يتفور من بين أصابع رسول الله " صلى الله عليه وسلم "... الخ الحديث مســـلم حـــــ ١٨/ ١٤٥ – ١٤٦ – كتاب الزهد باب حديث جابر الطويل وقصة أبى اليسير.

[1] البخاري حـــ٨/ ٦١٩ ك فضائل القرآن ب كيف نزل الوحي حديث رقم : ٤٩٨١

نفسه ليقع له فضل علم ومعرفة [١] .

وأرى أن هذا الرأي هو الأقرب للصواب ، بل هو المعتمد لأن صريح القرآن يؤيده حيث قال سيدنا إبراهيم أرنى كيف تحى الموتى ولم يقل هل تحى الموتى مثلا . لأنه عليه السلام كان يؤمن بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى " قال أولم تؤمن قال : بلى " ولكن سأل عن الكيفية . وليس فى هذا حرج لذلك لم يعاقبه الله تعالى على سؤاله ــ كما عاتب سبحانه – نوحاً عليه السلام – على سؤاله . وعاقب ذكريا عليه السلام على سؤاله . – كما قال سبحانه :

" قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّيَ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ " [٢]

وقال جل جلاله عن سيدنا ذكريا :-

"قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً " سورة آل عمران من الآية : ٤١

وذلك لأن سيدنا زكريا – عليه السلام – طلب أية أي علامة – يعرف بها صحة هذا الأمر وكونه من عند الله تعالى،فعاقبه الله تعالى بأن أصابه السكوت عن كلام الناس لسؤاله الآية يعد مشافهة الملائكة إياه . قاله أكثر

---

[١] تأويلات أهل السنة صـ ٦٠٩ ط الإرشاد – بغداد ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م

[٢] سورة هود آية :٤٦

المفسرين .. قالوا وكذلك إن لم يكن من مرضٍ خرسٌ أو نحوه ففيه على كل حال عقاب ما [١] .

وكـــون ســـيدنا إبراهيم عليه السلام – أراد أن يطمئن قلبه لا يدل على عدم إيمانه فقد يؤمن الإنسان بالشئ ولكن قلبه لا يطمئن حتى يرى بعينه والمعاينة أقوى من الخبر . والله أعلم

فالمســـألة من سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .لم تعرض من جهـــة الشـــك ، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيده الاستدلال [٢]

وأقول من صريح القرآن يتضح :-

أن سؤال إبراهيم – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – فيه صريح الإيمان ، أمـــا سؤال هؤلاء الملاعين فهو محض الكفر والإلحاد ، والتكذيب والعناد .

فأنَّى يكون هذا نظير ذاك ؟!

إن سؤال إبراهيم – عليه السلام- لا يدل البتة على أنه ليس بمؤمن ، وسؤال اليهود يدل على نفى الإيمان عن قلوبهم وهم يقولون " لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة " [٣] لذلك أخذهم الله بالصاعقة .

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي حـــ ٤ /٨٠

[٢] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير حـــ١ / ٣٩٥ بالهامش تحقيق طه عبد الرؤف سعد – ط مكتبة الإيمان الطبعة الأولى ١٤١٧ – ١٩٩٦

[٣] سورة البقرة من الاية : ٥٥

وقـــد جمع الله بين سؤال رؤية الله جهرة وسؤال إنزال كتاب من السماء لما فيهمـــا من تشابه الخبث والعناد ، ويذكر ابن كثير أن نظير ذلك سؤال كفار قـــريش لرســـول الله "صلى الله عليه وسلم – الذي جاء فى سورة الإسراء . فيقول :-

سأل اليهود رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كمـــا نزلت التوراة على موسى مكتوبة وإنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفـــر والإلحـــاد كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك كما هو مذكور فى ســـوره سبحاد "وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً "[١] ففي سؤال كفار قريش وسؤال قوم موسى من التعنت والعناد مالا يخفى ، كما لا يخـــفى أن ما طلبه قريش ممكن وغير مستحيل عقلاً ونقلاً وما طلبه قوم موسى مستحيل ولكن الله عاب على الفريقين فإنهما وإن اختلفت أسئلتهم فقد تشـــابهت قلوبهم من حيث الكفر والعناد ، وما انطوت عليه نياتهم الخبيثة من إلحاد .

---

[١] تفسير القرآن العظيم حـــ٢ ٢٧٦١ والآية رقم ٩٠ من سورة الإسراء .

استعظام سؤال الرؤية

لعل سؤالاً يتبادر إلى الذهن يقول صاحبه :

إذا كانت رؤية الله جائزة بل هى من أجل النعم – فلم يكون إلتماسها عتوا وذنبا كبيرا ؟!

علماً بأن من سأل الله نعمة فى الدين أو الدنيا لم يكن عاتياً أو مذنباً إذ المعلوم أن الله سبحانه وتعالى يمنح عباده ما شاء ،أو يمنع عنهم ما شاء ، حسبما تقتضية حكمته لعلمه الأزلى عز وجل أن ما يمنعه أو ما يمنحه هو ما تقتضيه مصلحة عباده .

يقول الفخر الرازى مبينا سبب استعظام سؤال القوم الرؤية علماً بأنها ممكنة إذ لا يستحيل عليه شئ .

الجواب فى ذلك يحتمل وجوهاً :

أحدها : أن رؤية الله تعالى لا تحصل إلا فى الأخرة فكان طلبها فى الدنيا مستنكراً .

ثانيها : لا يمتنع أن يعلم الله تعالى أن فى منع الخلق عن رؤيته سبحانه فى الدنيا ضرباً من المصلحة المهمة فلذلك استنكر طلب الرؤية فى الدنيا كما علم أن فى إنزال الكتاب من السماء وإنزال الملائكة من السماء مفسدة عظيمة فلذلك استنكر طلب ذلك .

ثالثها : أنه لما تمت الدلائل على صدق المدعى كان طلب الدلائل الزائدة تعنتا والمتعنت يستوجب التعنيف [١]

---

[١] التفسير الكبير حـ٣/١٢١ ط دار الغد

ثم أن تعليق إيمانهم على رؤية الله جهرة يعد تكذيباً صريحاً برسالة سيدنا موسى – عليه السلام رغم ما ظهر من معجزات باهرة .

وبناءً على ما تقدم يكون كلام الزمخشرى فى رميه أهل السنة والجماعة بالحشوية والمشبهة ، ودعاؤه عليهم بالهلاك هو نوع من السفه ولغو الكلام ، ليس فيه أدلة علمية تبرهن صحة ما زعم ، وهو وصف باطل مردود ، فإن أهل السنة والجماعة أبعد الناس عن التشبيه والحشو حيث قالوا أن رؤية الله عز وجل ممكنة بلا كم ولا كيف ولا انحصار ، والله قادر على ذلك لا يعجزه شئ . قال تعالى : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً " (١) .

٢- قوله تعالى :

" لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ "(٢)

لعل هذه الأية تعد من أقوى الأدلة النقلية – عند المعتزلة على نفى رؤية الله عز وجل فى الدنيا والأخرة ، فهم يرون أن الأية صريحة فى نفى الرؤيةوذلك على جهة التنزيه والمدح ، كما يرون أن الله أعظم من أن يرى بالأبصار فى الدنيا أو الأخرة .

يقول القاضى عبد الجبار حول هذه الأية الكريمة :

---

(١) سورة فاطر من الأية : ٤٤

(٢) سورة الأنعام : ١٠٣

" يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يرُى بالأبصار والعيون على وجه، فى كل وقت من غير تخصص ، لأنه تعالى عم بالنفى ، وذكر ذلك على جهة التنزه والمدح وما تمدّح بنفيه مما يرجع إلى ذاته لم يقع إثباته إلاذماً فيجب أن يدل الظاهر على ما قلناه ، كما كانَ يدل لو قال:

لا تـــراه الأبصـــار ، لأن الإدراك إذا قرن بالبصر زال عنه الإحتمال ، ولا يجـــوز فى الـــلغة أن يـــراد به إلا الرؤية بالبصر ، ولذلك يجريان فى النفى والإثبات على حد واحد [١]

وقريبا عن هذا القول قول الزمخشرى فى كشافه :

(أن الأبصـــار لا تتعلق به ولا تدركه لأنه متعال أن يكون مبصَرا فى ذاته لأن الأبصـــار إنمـــا تتعـــلق بمـــا كـــان فى جهـــة أصلاً أو تابعاً كالأجسام والهيئات [٢]

ومـــن خـــلال هـــذه الأيـــة أُعتقد المعتزلة أن الله لا يرى فى الدنيا ولا فى الاخرة .[٣]

أصـــاب المعتزلة فى تأويلهم لهذه الأية من حيث نفى رؤية الله فى الدنيا فهذا متفق عليه بين العلماء أن الله لا يراه أحد من المؤمنين أو الكافرين فى الدنيا

---

[١] متشابه القرآن صـــ٢٥٥ ط مكتبة دار التراث .

[٢] الكشاف حـــ٢/٣٢

[٣] تفسير القرآن العظيم لابن كثير حـــ٣/١٩٢ ط مكتبة الإيمان .

الكوفة أن معنى " إلى ربها ناظرة " تنظر إلى خالقها نظراً وبذلك جاء الأثر عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم .[١]

أما تأويل المعتزلة الأية " لا تدركه الأبصار " فأراه باطلاً لعدد أسباب منها "

١- أن النصـــوص النقـــلية تنطق بالرؤية صراحة . وما ذهب إليه المعتزلة إنما هو استنباط وفهم واجتهاد منهم . وما جاء صريحاً فى القـــرآن الكـــريم ، والحديث الصحيح أولى بالقبول مما جاء اجتهاداً واستنباطاً .

٢- أن هـــناك فرقاً واضحاً بين الإدراك والرؤية ، الإدراك الإحاطة بالشئ أما الرؤية فوقوع البصر على الشئ عادة .

قال ابن كثير رحمه الله :

الإدراك أخص من الرؤية ، وهو الإحاطة ، ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية ، كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم ، قال تعالى :

" وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً " .[٢]

وقـــول النبى "صلى الله عليه وسلم " " لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " [٣] لا يستلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا .

---

[١] الطبرى حـــ١٢/٣٧١- ٣٧٢ ط دار الغد

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير حـــ٣/١٩١ والأية ١١٠ من سورة طه

[٣] الحديث رواه الترمذى حـــ١٠ / ١٤ كتاب الدعوات باب فى دعاء الوتر حديث رقم ٣٥٦٦ وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حماد بن سلمه ـــ ورواه النسائى حـــ٣/٢٧٥ : ٢٧٦ كتاب قيام الليل باب الدعاء فى الوتر حديث رقم //

وعن ابن عباس إنه قال فى قوله تعالى : " لاتدركه الأبصار "
لا يحيط بصر أحد بالملك .[1]
وقيل لعكرمة " لا تدركه الأبصار " قال ألست ترى السماء ؟ قال بلى ،
قال فكلها ترى ؟[٢]
فالإنسان يرى السماء ويرى القمر ولكن لا يدرك حقيقة السماء ولا يحيط علماً بما يتعلق بالقمر فالإدراك أعم من الرؤية ، ونفى العموم لا يلزم منه نفى الأخص .
إن المنفى فى الأية هو الإدراك ، أما الرؤية فلا دليل قاطع ، ولا برهان ساطع على نفيها .
(يقول ابن جرير رحمه الله :
هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره محيط بهم فذلك قوله " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار[٣]
ويبين ذلك ويؤيده قول الله تعالى :
"فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ" [٤]

// ١٧٤٦ ــ والرواية المذكورة هنا رواية الترمذى .

(١) الطبرى حـ٥/٣٢٩
(٢) تفسير القرآن العظيم حـ٣/١٩٢
(٣) تفسير الطبرى حـ١٢/٣٧
(٤) الشعراء ٦١-٦٢

تراءا الجمعان أى تقابلا الجمعان بحيث يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرؤية ..

هـنا قال بنو إسرائيل إنا لمدركون فرد عليهم موسى قولهم فقال كلا " أى لم يدركوكم [١] فكل من موسى وبنى إسرائيل أثبت الرؤية لفرعون وقومه ولكن بـنى إسـرائيل اعتقدوا أنهم مدركون وموسى أنكر ذلك . فبان أن لا تناقض بيـن إثـبات الرؤية ونفى الإدراك . ومن ثم فلا تناقض بين أن الأبصار لا تدرك الله ، وأن الوجوه إلى ربها ناظرة نظر رؤية.

ثم أن الله سبحانه قال : "لا تدركه الأبصار " ولم يقل " لا تراه الأبصار"

وعـلى المعتزلة أن يبينوا أن الإدراك فى لغة العرب مرادف الرؤية وأن كل من رأى شيئاً يقال فى لغتهم أنه أدركه وهذا لا سبيل إليه .

كيـف وبيـن لفـظ الـرؤية ولفـظ الإدراك ، كما يقول ابن تيمية – عموم وخصوص فقد تقع رؤية بلا إدراك وقد يقع إدراك بلا رؤية أو اشتراك لفظى ، وإن الإدراك يستعمل فى إدراك العلم وإدراك القدرة فقد يدرك الشئ بالقدرة وإن لم يشاهد كالأعمى الذى طلب رجلا هارباً ولم يره

وفى قولـه تعالى : "قال أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا"[٢] نفى موسى الإدراك مـع إثبات الترائى فعلم أنه قد يكون رؤية بغير إدراك والإدراك هنا هو إدراك القدرة أى ملحقون محاط بنا[٣]

---

[١] القرطبى حـ١٣/١٠٦

[٢] سورة الشعراء ٦١-٦٢

[٣] منهاج السنه النبوية لابن تيمية حـ١/٢١٦ ط دار الكتب العلمية

وبذلك يبطل كلام القاضى وزعمه أن الإدراك والرؤية بمعنى، وأنهما يجريان فى النفى والإثبات على حد واحد لأن الرؤية تطلق على من رأى شيئاً ولو لم يحط به أما الإدراك فإنه الإحاطة بالشئ مع الوصول إلى الغاية

يقـــول الألوسى "رحمه الله " (وإدراك الشئ عبارة عن الوصول إلى غايته والإحاطة به) [١]

أما ادعاؤهم أن الله ذكر ذلك على وجه التنزه والمدح وما دام الله تمدَّح بنفى رؤيـــته فيكـــون إثباتها ذماً .. ..فهذا غير مسلَّم به ، بل إن علماء أهل السنة يـــرون أن العكـــس هو الصحيح . لأن إثبات الرؤية لله صفة كمال ومدح لا صفة نقص وذم، فإن الذى لا يرى هو العدم والعدم ليس بشئ . والله أكبر من كل شئ قال تعالى :

" قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ "[٢]

كما أن إثبات الرؤية من عدم الإحاطة صفة كمال وعظمة ، فإن الشئ العظيم يرى ولا يدرك ولا تعرف حقيقته ، ألا ترى الشمس ساطعة ويراها كل الناس ولكن لا يدركون حقيقتها وإن لم تغب عنهم رؤيتها ، فكيف بمن خلق الشمس والقمر وكل شئ جل فى علاه .

يقول العلامة ابن تيمية – رحمه الله – حول هذا الموضوع :

إن الله تعالى ذكر هذه الأية يمدح بها نفسه سبحانه وتعالى ومعلوم كون الشئ لا يرى ليس صفة مدح لأن النفى المحض لا يكون مدحاً إن لم يتضمن أمراً

---

[١] انظر روح المعانى حـــ٧/٢٤٥ ط دار إحياء التراث العربى الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥ م

[٢] سورة الأنعام من الأية ١٩

ثبوتياً لأن المعدوم إيضا لا يرى والمعدوم لا يمدح فعلم أن مجرد نفى الرؤية لا مدح فيه وإن كان المنفى هو الإدراك فهو سبحانه لا يحاط به رؤية كما لا يحاط به علماً ولا يلزم من نفى إحاطة العلم والرؤية نفى الرؤية بل يكون ذلك دليلا على إنه يرى ولا يحاط به فإن تخصيص الإحاطة يقتضى أن مطلق الرؤية ليس بمنفى وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم وقد روى معناه عن ابن عباس [١] رضى الله عنهما - وغيره [٢]

والجدير بالذكر أن تفسير المعتزلة لهذه الأية :

"لا تدركه الإبصار " خالف اقوال الصحابة والسلف رضوان الله تعالى عليهم- يقول ابن كثير رحمه الله " حول هذه الأية "لا تدركه فى الدنيا" وإن كانت تراه فى الأخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" . من غيرما طريق ثابت فى الصحاح والمسانيد والسنن[٣] وكانت أم المؤمنين عائشة " رضى الله عنها" تثبت الرؤية فى الدار الأخرة وتنفيها فى الدنيا .[٤]

---

[١] سبق كلام ابن عباس لا يحيط بصر أحد بالملك

[٢] منهاج السنة النبوية حـ١/٢١٦

[٣] أحاديث كثيرة وردت منها - سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته الترمذى حـ٧/٣١٠ ك صفة الجنة ب ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى

[٤] روى مسلم فى صحيحة بسنده عن مسروق قال كنت متكئاً عند عائشة فقالت ياأبا عائشة (وهى كنية الإمام مسروق المتوفى سنة ٦٣هـ وسمى مسروقاً لأنه سرقه أحد الناس فى صغره ثم وجد"هامش شرح النووى حـ١/٤١٩ ط الشعب") ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمداً "صلى الله //

وتحتج بهذه الأية "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " فالذى نفته الإدراك الذى هو بمعنى رؤية العظمة والجلال ، على ما هو عليه ، فإن ذلك غير ممكن للبشر ،ولا للملائكة ،ولا لشئ ، وقوله "وهو يدرك الأبصار" أى يحيط بها ويعلمها على ما هى عليه ،لأنه خلقها قال تعالى : " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [1]

//عليه وسلم" رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل "وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ" سورة التكوير اية ٢٣ "وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ"سورة النجم أية : ١٣ فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلقه عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء سادّاعِظَمُ خَلْقِه ما بين السماء إلى الأرض فقالت أو لم تسمع أن الله يقول :

"لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الأنعام ١٠٣ أولم تسمع أن الله يقول : "وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ" الشورى أية ٥١ قالت ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول :"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ " المائدة من الأية ٦٧ قالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الفرية والله يقول " قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ" النمل من الأية ٦٥ انظر صحيح مسلم حـ٣/٨:٩ كتاب الإيمان باب إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى .

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير حـ٣/١٩١ :١٩٣ بتصرف واختصار والأية من سورة الملك رقم ١٤

من كلام ابن تيمية وكلام ابن كثير" رحمة الله عليهما" يتبين لنا أن قوله تعالى : "لا تدركـــه الأبصار " ليس حجة للمعتزلة على نفى الرؤية ، بل هو حجة عـــليهم فى إثـــباتها ، لأن الإدراك إمـــا أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال أنه أدركه كما لا يقـــال احاط به كما سئل ابن العباس –رضى الله عنهما – عن ذلك فقال: ألســـت تـــرى السماء ؟ قال : بلى . قال أكلها ترى ؟ قال لا .. ومن رأى جوانـــب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال أنه أدركها وانما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية [١]

قلت:يؤيد هذا قول الله تعالى : "وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً" [٢] فهذا لا ينفى العلم كليةً.

وإن تأويل المعتزلة لهذه الأية لا يقبل لما فيه من الخلل بقواعد اللغة العربية ، والجهـــل ممـــا دل عليه كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله "صلى الله عليه وســـلم" وفيه المخالفة لأقوال الصحابة الكرام وسلف الأمة وأئمتها يقول ابن تيميـــة – رحمـــه الله – فى كتابه مجموع الفتاوى:وهذا هو الحق – أى نفى الإحاطة دون الرؤية– الذى اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها [٣]وقال ابن المقيم

---

[١] منهاج السنه النبوية حـــ١/٢١٥/٢١٦ ط دار الكتب العلمية .

[٢] سورة طه الأية ١١٠

[٣] حـــ٣/٣٦

- رحمه الله - فى قوله "تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ" [١] أجمع أهل اللغة على ان اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار . [٢]

---

[١] سورة الاحزاب من الاية ٤٤

[٢] حادى الارواح صـ ٢٩٩ - ٣٠٠ ط دار احياء الكتب الفوية

هل رأى النبى "صلى الله عليه وسلم " ربه جل جلاله ؟

لا خلاف بين العلماء أن رؤية الله فى الدنيا لم تحدث لأحد من البشر ، ولـــم يـــر أحد ربه فى الدنيا ولن يكون . هذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم ولكن الخلاف فى رؤية النبى "صلى الله عليه وسلم " ربه سبحانه وتعالى فى الدنيـــا هل رأى النبى "صلى الله عليه وسلم " ربه فى الدنيا – فمن الصحابة من يرى أن ذلك قد حدث ومنهم من يرى أن هذا لا يجوز ومخالف لصريح القرآن الكريم .

يقـــول القاضـــى عياض " رحمه الله " اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا "صلى الله عليه وسلم" – ربه ليلة الإسراء والمعراج فأنكرته السيدة عائشة – رضى الله عنها – وجاء مثله عن

أبى هريـــرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود "رضى الله عنه "وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين – وروى عن ابن عباس "رضى الله عنهما " إنه رأه بعينه ومثله عن أبى ذر وكعب" رضى الله عنهما" والحسن " رحمه الله " وكان يحلف على ذلك .. وعن أبى موسى الأشعرى وجماعة من أصحابه أنه رأه .. ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة وسؤال موسى إياها دليل على جوازها إذ لا يجهل نبى ما يجوز أو يمتنع على ربه .. وأما صاحب التحرير . فإنه اختار إثبات الرؤية قال والحجج فى هذه المسألة وإن كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها ،

وهو حديث ابن عباس رضى الله عنهما " (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد "صلى الله عليه وسلم") وعن عكرمة سئل ابن عباس رضى الله عنهما هل رأى محمد "صلى الله عليه وسلم" ربه ؟ قال

: نعـــم وقد روى بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس- رضى الله عـــنه - قـــال رأى محمد "صلى الله عليه وسلم" ربه وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد "صلى الله عليه وسلم" ربه - والأصل فى الباب حديث ابن عباس حـــبر هذه الأمة والمرجوع إليه فى المعضلات وقد راجعه ابن عمر "رضى الله عنهم" وراسله هل رأى محمد "صلى الله عليه وسلم" ربه ؟ فأخبره أنه رأه ، ولا يقـــدح فى هذا حديث عائشة رضى الله عنها" لأن عائشة لم تخبر أنها ســـمعت النبى " صلى الله عليه وسلم" يقول لم أر ربى ، وإنما ذكرت متأولة لقول الله تعالى :

" وَمَـــا كَـــانَ لِبَشَـــرٍ أَن يُكَـــلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُـــولاً" [١] ولقو له تعـــالى : "لَّا تُدْرِكُـــهُ الْأَبْصَـــارُ وَهُـــوَ يُـــدْرِكُ الْأَبْصَارَ "[٢] والصحابى إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة .

وإذا صـــحت الـــروايات عن ابن عباس فى إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل ، ويؤخذ بالظن ، وإنما يتلقى بالسماع - ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم فى هذه المسألة بالظن والإجتهاد ،وقـــد قـــال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس - ثم إن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره ، والمثبت مقدم على النافى . [٣]

---

[١] سورة الشورى من الأية ٥١

[٢] سورة الأنعام من الأية ١٠٣

[٣] شرح صحيح مسلم للنووى جـــ٣ /٥:٤

أقول لا ننظر إلى المسألة بأن عائشة ليست بأعلم من ابن عباس- وإنما دليل ابـــن عباس أقوى من دليل السيدة عائشة "رضى الله عنهم " - ومن الواضح أن الســـيدة عائشـــة -رضـــى الله عـــنها - قالت ما قالته اجتهاداً من عندها واســـتنباطاً مـــن الأيات التى ذكرتها، لكن رأى ابن عباس رضى الله عنهما" مبنى على معاصرته لرسول الله "صلى الله عليه وسلم" بل وملازمته له كثيراً فعرف عنه أكثر مما عرفه غيره ، فإذا أضفنا إلى ذلك مايراه العلماء من أن قول الصحابى فيما ليس للعقل فيه مجال حجة يكون القول بأن الرسول "صلى الله عليه وسلم" رأى ربه فى الدنيا أرجح من رأى السيدة عائشة المبنى على مجرد الإستنباط ، بل إن كلام ابن عباس فيه تصريح بإثبات الرؤية ، إما قول عائشـــة ليـــس فيـــه تصريح بإنكارها على الصورة التى أثبت بهاابن عباس الـــرؤية ولهذا نرىأن القول بإثبات الرؤية أرجح من القول بنفيها وهو رأى الكثير من العلماء .

يقول النووى الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله" صلى الله عليه وسلم" رأى ربـــه بعيـــنى رأســـه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس .. وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول" صلى الله عليه وسلم" - هذا مما لا ينبغى أن يتشكك فيه - ثم إن عائشة رضى الله عنها" لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله " صلى الله عليه وسلم" - ولو كان معها فيه حديث لذكرته وإنما أعتمدت على الإستنباط من الأيات [١].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووى حـــ٣/٥

٣ــ قول الله جل جلاله :

" وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي "(١)

اتخذ المعتزالة هذه الأية دليلا على نفى رؤية الله تعالى وحجتهم قوله تعالى " لن ترانى "

قالوا كلمة "لن " تفيد التأكيد أى تأكيد النفى مستقبلاً ومن ثمَّ فالمعنى لن ترانى فى الدنيا ولا فى الأخرة ، هذا ما ذهب إليه الزمخشرى ووافقه عليه كل معتزلى اتبع طريقته وسار على منواله

حيث قال فى كشافه : " فإن قلت ما معنى (لن) قلت معناها تأكيد النفى الذى تعطيه لا وذلك أن لا تنفى المستقبل تقول لا أفعل غداً فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غداً والمعنى أن فعله ينافى حالى .كقوله (لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ) (٢)

كما يزعم الزمخشرى أن موسى عليه السلام كان يعلم علم اليقين أن الله لا يرى بالأبصار وأن هذا لا يجوز عليه البته وإنما طلب ذلك من الله ليكون حجة قوية له على قومه بأن الله لا يرى وكان قومه قد طلبوا رؤية الله فقالوا أرنا الله جهرة (٣) فيكون هذا درساً عملياً للقوم بأن الله لا يرى فيقول فى كشافه :

---

(١) سورة الأعراف من الأية ١٤٣

(٢) الكشاف حـ٢/٩٠ والأية من سورة الحج : ١٧٣

(٣) قال تعالى فى سورة البقرة:وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ " أية ٥٥

فـــإن قـــلت كيـــف طلب موسى "عليه السلام" ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصـــفاته وما يجوز وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التى هى إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان فى جهة . وماليس بجسم أو عرض فمحال أن يكـــون فى جهـــة - وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قـــالوا أرنـــا الله جهرة - أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشـــاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا .قلت ما كان طلب الرؤية إلا ليـــبكت هـــؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا فى لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يســـمعوا النص من عند الله . بإستحالة ذلك وهو قوله : " لن ترانى " ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبه فلذلك قال رب أرنى أنظر إليك[١]

وإلى مثل هذا القول يصبوا القاضى عبد الجبار فيقول فى كتابه متشابه القرآن بعد كلام طويل حول هذه الأية الكريمة :

(.. فأما شيوخنا رحمهم الله ، فقد استدلوا بهذه الأية على أنه تعالى لا يرى ، لأنه تعالى قال " لن ترانى " وذلك يوجب نفى رؤيته تعالى فى المستقبل أبداً فإذا صح ذلك من موسى وجب مثله فى الأنبياء والمؤمنين [٢]

ويســـتدل القاضـــى عبد الجبار على نفى رؤية الله تعالى بأن الله علق رؤيته بأمر بعيد وهو أستقرار الجبل ، والجبل لم يستقر فيقول فى متشابه القرآن :

---

[١] الكشاف حـــ١/ ٨٩-٩٠

[٢] متشابه القرآن صـــ٢٩٦

وقوله تعالى (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى) يدل على إنه لا يرى حيث علق الرؤية باستقراره، والمعلوم أنه لا يستقر ، وذلك طـــريقة العرب إذا أرادوا تأكيد اليأس من الشئ علقوه بأمريبعد كونه ، فلما جعله تعالى دكاً وظهر بعد استقراره لذلك فى النفوس حل محل الأمور التى يبعد بها الشئ إذا علق بها الكلام ، لأن استقراره ، وقد جعله دكاً يستحيل لما فيه من اجتماع الضدين فما علق به يجب أن يكون بمنزلته ، فمن هذا الوجه يدل ايضاًعلى نفى الرؤية . [١]

ثم يذكر القاضى عبد الجبار أربعة وجوه حول هذه الأية تدل على نفى رؤية الله فى الدنيا والأخرة فيقول :

الذى قال المحصلون من العلماء فى ذلك أقوال أربعة :

أحدهـــا : أن موســـى "عليه السلام" ما عرف أن الرؤية غير جائزة على الله تعالى ، ومع الجهل بهذا المعنى قد يكون المرء عارفاً بربه وبعدله وتوحيده ، فلم يبعد أن يكون العلم بامتناع الرؤية وجوازها موقوفاً على السمع .

ثانيهـــا : أن موســـى "عليه السلام " سأل الرؤية عن لسان قومه ، فقد كانوا جاهـــلين بذلـــك يكررون المسألة عليه يقولون : "لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة"[٢]

فســـأل موسى الرؤية لا لنفسه – فلما ورد المنع منها ظهر أن ذلك لا سبيل إليه ، وهذه طريقة أبى على وأبى هاشم .

---

[١] متشابه القرآن صـــ٢٩٦-٢٩٧

[٢] البقرة من الاية ٥٥

وقوله تعالى (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى) يدل على إنه لا يرى حيث علق الرؤية باستقراره، والمعلوم أنه لا يستقر ، وذلك طـــريقة العرب إذا أرادوا تأكيد اليأس من الشئ علقوه بأمريبعد كونه ، فلما جعله تعالى دكاً وظهر بعد استقراره لذلك فى النفوس حل محل الأمور التى يبعد بها الشئ إذا علق بها الكلام ، لأن استقراره ، وقد جعله دكاً يستحيل لما فيه من اجتماع الضدين فما علق به يجب أن يكون بمنزلته ، فمن هذا الوجه يدل ايضاًعلى نفى الرؤية . [١]

ثم يذكر القاضى عبد الجبار أربعة وجوه حول هذه الأية تدل على نفى رؤية الله فى الدنيا والأخرة فيقول :

الذى قال المحصلون من العلماء فى ذلك أقوال أربعة :

أحدهـــا : أن موســـى "عليه السلام" ما عرف أن الرؤية غير جائزة على الله تعالى ، ومع الجهل بهذا المعنى قد يكون المرء عارفاً بربه وبعدله وتوحيده ، فلم يبعد أن يكون العلم بامتناع الرؤية وجوازها موقوفاً على السمع .

ثانيهـــا : أن موســـى "عليه السلام " سأل الرؤية عن لسان قومه ، فقد كانوا جاهـــلين بذلـــك يكررون المسألة عليه يقولون : "لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة"[٢]

فســـأل موسى الرؤية لا لنفسه – فلما ورد المنع منها ظهر أن ذلك لا سبيل إليه ، وهذه طريقة أبى على وأبى هاشم .

---

[١] متشابه القرآن صـــ٢٩٦-٢٩٧

[٢] البقرة من الاية ٥٥

ثالـــثها : أن موسى عليه السلام سأل ربه من عنده معرفةً باهرة باضطرارٍ .
وأهـــل هذا التأويل مختلفون ، فمنهم من يقول سأل ربه المعرفة الضرورية ومـــنهم من يقول بل سأله إظهار الأيات الباهرة التى عندها تزول الخواطر والوســـاوس عـــن معرفته ، وإن كانت من فعله وهو الذى اختاره أبو القاسم الكعبى .

رابعها : المقصود من هذا السؤال أن يذكر الله تعالى من الدلائل السمعية ما يـــدل عـــلى امتناع رؤيته حتى يتأكد الدليل العقلى بالدليل السمعى ، وتعاضد الدلائل أمر مطلوب للعقلاء ، وهو الذى ذكره أبو بكر الأصم [١]

هـــذا مجموع أقوال المعتزلة فى تأويل هذه الأية الكريمة ، حاولوا فيها قدر الجهد أن يثبتوا صحة مذهبهم فى نفى رؤية الله فى الأخرة ، ضاربين الصفح عمـــا جـــاء من أيات صريحة ، وأحاديث صحيحة ،وأقوال علماء الأمة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

بـــل إنهم خلفوا فى تأويلهم قواعد اللغة العربية التى نزل القرآن الكريم بها والتى خاطب الله عز وجل العرب بها.

وهـــذه الـــتاويلات الواردة عن علماء المعتزلة لم تنل القبول لدى علماء أهل الســـنة والجماعـــة ، وإنما ردوها على أصحابها لما فيها من أخطاء ظاهرة ومغالطات واضحة.

ونحـــن إيضـــا لا نســـلم بمـــا قاله أهل الإعتزال ، وإنما لنا على تأويلاتهم ملاحظات كثيرة وسوف نزيد هذا الأمر توضيحاً وتبيّانا بمشيئة الله بكثير من أدلة النقل والعقل التى ذكرها علماؤنا الأجلاء من أهل السنة والجماعة .

---

[١] انظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى حـــ١٣/٢٦٦ ط دار الغد .

وقبل ذكر هذه الملاحظات وتفنيد تلك الأراء يجدر بنا أن نعلن :

أنـــنا ندين لله تعالى بأن رؤيته عز وجل جائزة لعباده المؤمنين فى الأخرة ، وأن أبصـــار المخلصـــين مـــن الموحدين تنظر إليه يوم القيامة وهى مشرقة متهللة سعيدة بالنظر إليه يوم القيامة . قال تعالى :

" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " [١]

وهـــا هى الردود التى ندحض بها أراء المعتزلة وسفاهتهم حول ما قالوه فى هذه الأية مبالغين فى منع رؤية الله عز وجل .

يقول الفخر الرازى : إن الأية دالة على أن موسى عليه السلام سأل الرؤية ولا شك أن موسى عليه السلام يكون عارفاً بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعـــالى ، فـــلو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سألها ، وحيث سألها علمنا أن الرؤية جائزة على الله [٢]

كان ينبغى أن نكتفى بتلك السطور ، وهذه الكلمات عن رؤية المؤمنين ربهم يـــوم القيامة ، حيث إن جوازها لا غموض فيه ولا إشكال لا سيما أن النقل جـــاء صـــريحاً فى هذا الصدد .. ولكن لماناً المعتزلة عن الصراط المستقيم وجاؤا بحجج بطلانها ظاهر، وخطأها فادح كان لزاما الرد عليهم فنقول وبالله التوفيق .

اســـتدلال الزمخشرى على نفى الرؤية بحجة أن كلمة "لن " تفيد تأكيد النفى مســـتقيلاً ومـــن ثم فالرؤية منفية ومستحيلة فى الدنيا والأخرة – هذا يخالف التنزيل .

---

[١] سورة القيامة ٢٢ :٢٣

[٢] التفسير الكبير حـــ٢٦٦/١٣ ط دار الغد

يقول الله تعالى : عن اليهود " قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ "(١)

فعلى تفسير الزمخشرى لن يتمنى اليهود الموت فى الدنيا ولا فى الأخرة وهذا مما لا يخفى فساده لما فيه من مخالفة لقوله تعالى :

"وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ "(٢) فهذه الأية تبين أن اليهود وغيرهم من أهل النار يتمنون لو يمتون ، بل إنهم يتوسلون إلى الله أن يقضى عليهم بالموت حتى يخلصوا من هذا العذاب .(٣)

والجدير بالذكر أن الزمخشرى نفسه يفسر قوله : " ليقض علينا ربك" بالموت فيقول فى كشافه حـ٣/٤٢٦ .

"ليقض علينا ربك" من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا "

ثم أن كلام الزمخشرى وغيره (لايخلومن التناقض والتعارض ، والأمثال التى ضربها الزمخشرى لا يصح القياس عليها فقول الله " لن ترانى " أى بدون قيد والمثال الذى ضربه الزمخشرى "لن أفعل غداً "كلمة مقيده بالغد (٤) ويصح لمن قال لن افعل غداً – أن يفعل بعد غدا وهذا لا ينطبق على الأية

---

(١) سورة البقرة ٩٤ ـ ٩٥

(٢) الزخرف من الأية ٧٧

(٣) انظر كلمات القرآن للشيخ مخلوف صـ٣١٠ ط دار المعارف

(٤) فيض المجيد فى أنواع التوحيد لمصطفى سلامة حـ٣/٢٢٤ ط دارأم القرى

.فالمعـــنى – والله أعـــلم – لن ترانى اليوم ولا غداً ولا بعد غد إلى أن تقوم الساعة . وكذلك الأية الأخرى التى استدل بها وهى قوله تعالى :

"لـــن يخلقوا ذباباً ولو إجتمعوا له " فإنها مطلقة والمثال "لن أفعل غداً "مقيد بالغد .[١]

فالأصل فى كلمة لن أنها تفيد النفى لا التأبيد .

يقول على الصبّان – صاحب حاشية الصبان على شرح الأشمونى :

فأمـــا لنْ فحرف نفى تختص بالمضارع وتنصبه كما تنصب لا الإسم ولا تفيد تأبيد النفى ولا تأكيده خلافاً للزمخشرى الأول فى أنموذجه والثانى فى كشافه . ولا دليل على التأبيد وإلا لزم التناقض فى ذكر اليوم فى قوله تعالى :

" فَـــلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا[٢]والتكرار فى ذكر أبداً فى قوله تعالى : "وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا "[٣]

ملاحظة وتعليق :

ذكـــر الصبان وغيره أن مذهب الزمخشرى فى "لن" التأكيد والـــتأبيد ،وزعموا أن ذلك مذكور فى كتابيه " الكشاف والإنموذج " وبالبحث والـــنظر فى الكشاف والإنموذج وجدت أن الزمخشرى ذكر التأكيد أما التأبيد فلا – ولعل ما ذكره الصبان وغيره يرجع إلى سببين :

---

[١] المرجع السابق حـــ٣/٢٢٤

[٢] سورة مريم من الأية :٢٦

[٣] حاشية محمد بن على الصبان على شرح الأشمونى للألفية ابن مالك حـــ٣ /٢٠٩ : ٢١٠ بتصرف ط المكتبة التجارية الكبرى - والأية من سورة البقرة الأية ٩٥

أولهما : تحريف من النساخ حيث أشار محقق تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد " إلى أن إحدى نسخ التسهيل المخطوطة جاء بلفظ " التأييد بدل التأبيد [١]

ثانيهما : أن يكون الصبان وغيره أخذوا التأبيد من معتقد الزمخشرى ومذهبه فى الـــرؤية ولـــم يأخذوه نصاً من كتابيه المشهورين أو ربما فهموه من قول الزمخشـــرى أن لن تفيد تأكيد النفى فى المستقبل ولذلك قال : إن الله لا يرى فى الدنيا ولا فى الأخرة بناء على رأيه فى "لن" .

والذى يهمنا فى الموضوع أن "لن" فى قوله "لن ترانى" ليست دليلاً على نفى الـــرؤية فى الأخرة ولو سلمنا جدلاً أنها تفيد التأبيد على إعتقاد المعتزلة فإن هذا النفى يكون فى الدنيا لا فى الأخرة ونظير ذلك قوله تعالى :

" ولـــن يتمنوه أبداً "[٢] فقد جاء النفى المؤبد الصريح وذلك فى الدنيا أما فى الأخرة فلا نفى بل يتمنون لو يموتون .

قـــال تعـــالى : " وَنَادَوْاْ يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ "[٣] أى ليقض علينا بالموت كماسبق ذكره ..

أمـــا مـــا زعمه القاضى عبد الجبار أن رؤية الله مستحيلة حيث علق الرؤية باستقرار الجبل ..الخ

فـــإن فيه نظراً فقول القاضى : " والمعلوم إنه لا يستقر" يعوذه الدليل فمن ذا الذى زعم أن الجبل لا يستقر عندما تجلى الله له ؟

---

[١] صـــ٢٢٩ المحقق محمد كامل بركات ط دار الكتاب العربى

[٢] سورة البقرة من الأية ٩٥

[٣] سورة الزخرف من الأية ٧٧

وكـــلام القاضي حجة عليه لأن الله سبحانه علق رؤيته باستقرار الجبل ،أى عـــلى أمـــر جائز ، والمعلق على الجائز جائز فيلزم كون الرؤية فى نفسها جائـــزة . وإذا ثبت هذا وجب ان تكون رؤيته جائزة الوجود فى نفسها، لأنه لما كان ذلك الشرط – كما يقول الفخر الرازى أمراً جائز الوجود لم يلزم من فـــرض وقوعـــه محـــال ، فبتقدير حصول ذلك الشرط ،إما أن يترتب عليه الجـــزاء الـــذى هو حصول الرؤية أو لا يترتب ، فإن ترتب عليها حصول الرؤية لزم القطع يكون الرؤية جائزة الحصول وإن لم يترتب عليها حصول الـــرؤية قدح هذا فى صحة قوله إنه متى حصل ذلك الشرط حصلت الرؤية وذلك باطل[١] .

فـــلو كانت رؤية الله مستحيلة لقرن الله كلامه بما يدل على الإستحالة ، أمَا وأن الله تعـــالى قـــد قـــرن كلامه بما يجوز وقوعه وهو استقرار الجبل بعد تحركه فيدل هذا على جواز رؤينه تعالى. – يقول ابن القيم :

إن الله ســـبحانه وتعـــالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع فى مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء [٢]

ويقول أبو الحسن الأشعرى فى كتابة الإبانة فى توضيح الديانة :

" ومما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قول الله تعالى لموسى : " فإن استقر مكانه فسوف ترانى "

---

(١) الفخر الرازى حـــ١٣/٢٦٩

(٢) حادى الأرواح صـــ٢٣٠ ط مكتبة نهضة مصر الطبعة الثانية .

فـــلما كان الله عز وجل قادراً أن يجعل الجبل مستقراً كان قادراً على الأمر الذى لو فعله لرأه موسى فدل ذلك على ان الله تعالى قادرعلى أن يرى عباده نفســـه وإنه جائز رؤيته فإن قيل فلم ما قلتم أن قول الله تعالى : " فإن استقر مكانـــه فســـوف ترانى " تبعيد للرؤية ؟ قيل له . لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه ولم يقرنه بما يجوز وقوعه فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه وتعالى دل ذلك على إنه جائز أن يـــرى الله عـــز وجل ألا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعيد صلحها لمن كان حرباً لأخيها قرنت الكلام بمستحيل فقالت :

ولا أصالح قوماً كنت حربهم

حتى تعود بياضا حلكة القارى

والله عز وجل إنما خاطب العرب ببلغتها . ونحن نرجع إلى ما نجده مفهوماً فى كلامها ومعقولاً فى خطابها ... [١]

أقول : فى القرآن الكريم ما يفيد أن المستحيل يقرن بمستحيل ولا يقرن بجائز ونظير ذلك قوله تعالى :

"إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ "[٢]

فغير محتمل وغير وارد أن يدخل الجمل فى سم الخياط بل لا يتبادر هذا إلى الذهـــن عـــلى الإطـــلاق حيـــث لا خلاف على استحالته فكذلك يكون دخول المكذبين بلقاء الله الجنة مستحيلا .

---

[١] صـــ١٢ ط دار ابن زيدون

[٢] سورة الإعراف : ٤٠

أما الأوجه الأربعة التى استدل بها القاضى فلا تحظى بالقبول لدى عاقل ،إذ فيها من فساد الرى مالا يخفى ، وفيها المنقصة لسيدنا موسى "عليه السلام " لذلك قام علماء أهل السنة والجماعة بالرد على هذه الأقوال واحداً بعد واحد .

يقول الفخر الرازى " رحمه الله" فى تفسيره

قال أصحابنا .

أما الوجه الأول[١] فضعيف ويدل عليه وجهان :

الأول إجمـــاع العقلاء على أن موسى عليه السلام "ما كان فى العلم بالله أقل مـــنزلة ومرتـــبة من أرازل المعتزلة ، فلما كان كلهم عالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وفرضنا أن موسى عليه السلام لم يعرف ذلك ، كانت معرفته أقـــل درجـــة مـــن معرفة كل واحد من أرازل المعتزلة ، وذلك كفر بإجماع المسلمين .

الـــثانى : ان المعـــتزلة يدعون العلم الضرورى ، بأن كل ما كان مرئياً فإنه يجب ان يكون مقابلاً أو فى حكم المقابل .

فإما أن يقال إن موسى "عليه السلام "حصل له هذا العلم أو لم يحصل له هذا العـــلم فـــإن كان الأول كان تجويزه لكونه تعالى مرئياً، يوجب تجويز كونه تعـــالى حاصلاً فى الحيز والجهة وتجويز هذا المعنى على الله تعالى يوجب الكفر عند المعتزلة ، فيلزمهم كون موسى "عليه السلام "كافراً وذلك لا يقوله عاقل.

---

[١] الذى يزعم صاحبه "أن موسى عليه السلام "ما عرف أن الرؤية غير جائزة على الله .. الخ

وإن كان الثانى فنقول : لما كان العلم بإن كل مرئى يجب أن يكون مقابلاً أو فى حكم المقابل علماً بديهياً ضرورياً ، ثم فرضنا أن هذا العلم ما كان حاصلاً لموسى "عليه السلام "لزم أن يقال أن موسى "عليه السلام" لم يحصل فيه جميع العلوم الضرورية ومن كان كذلك كان مجنوناً وذلك كفر بإجماع الأمة [١]

ثم إن الجاهل بما لا يجوز على الله ويمتنع لا يكون نبياً كليماً بل لا يصلح للنبوة مَنْ هذا شأنه لأن الغاية من البعثة توحيد الله التوحيد الخالص ، وعبادته العباده الصحيحة قال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [٢]

والله وصف موسى بإنه رسوله وكليمه ونبيه .

قال تعالى : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً [٣]

فلزم ان يكون موسى الكليم النبى الرسول عالماً بما يجوز على الله وبما يستحيل ، ولو كان يستحيل طلب الرؤية ما طلبها موسى النبلى الرسول لأن طلب المستحيل عبث عند العقلاء فضلا عن الأنبياء والرسل عليهم "الصلاة والسلام " .

أما الوجه الثانى : هو زعْمُ القاضى أن موسى "عليه السلام "إنما سأل الرؤية لقومه لا لنفسه ، فهو إيضاً فاسد ويدل عليه وجوه :

---

[١] الفخر الرازى حـ١٣ ٢٦٦ - ٢٦٧

[٢] سورة الأنبياء : ٢٥

[٣] سورة مريم : ٥١

الأول : إنـــه لو كان الأمر كذلك لقال موسى أرهم ينظروا إليك ، ولقال الله تعالى : لن يرونى ، فلما لم يكن كذلك ، بطل هذا التأويل .

الثانى : إنه لو كان هذا السؤال طلباً للمحال لمنعهم عنه كما أنهم لما قالوا: " اجعل لنا إلها كما لهم ألهة " منعهم عنه بقوله " " إنكم قوم تجهلون "[١]

الثالث : إنه كان يجب على موسى" عليه السلام " إقامة الدلائل القاطعة على إنه تعالى لا تجوز رؤيته ، وأن يمنع قومه بتلك الدلائل على هذا السؤال فاما أن لا يذكـــر شـــيئاً من تلك الدلائل البته ، مع أن ذكرها كان فرضا كان هذا نسبة لترك الواجب إلى موسى ــ عليه السلام – وإنه لا يجوز .

الـــرابع : إن أولـــئك الأقوام الذين طلبوا الرؤية إما أن يكونوا قد آمنوا بنبوة موسى "عليه السلام – أو ما آمنوا بها .

فإن كان الأول كفاهم فى الإمتناع عن ذلك السؤال الباطل مجرد قول موسى "عليه السلام" فلا حاجة إلى هذا السؤال الذى ذكره موسى "عليه السلام" .

وإن كـــان الثانى لم ينتفعوا بهذا الجواب لأنهم يقولون له لا نسلم أن الله مُنع من الرؤية ، بل هذا قول افتريته على الله تعالى ، فثبت إن على كلا التقديرين لا فائدة للقوم فى قول موسى "عليه السلام "

ـ كما حكى القرآن الكريم ـ "أرنى انظر إليك " [٢].

---

(١) قال تعالى فى سورة الأعراف أية :١٣٨ " وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون "

(٢) الفخر الرازى حـــ١٣/٢٦٦ : ٢٦٨ .

ومما يدل على أن موسى "عليه السلام " سال الرؤية لنفسه لا نيابة عن قومه ان القرآن الكريم لم يقص هذه القصة عن أصحاب موسى أو قومه ، لو كان قـــوم موسى طلبوا ذلك لأنكر عليهم موسى ولقصها القرآن منسوبة إلى قوم موسى كما بين لنا سبحانه وتعالى عن أصحاب عيسى " الحواريين" إذ طلبوا من عيسى أن يسأل الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء .

قـــال تعـــالى : " إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "[١]

فـــالحواريون طلبوا من عيسى ان يسأل ربه مائدة من السماء وهناك قراءة " هـــل تَسْـــتَطِيعُ ربَّـــك أَن يُـــنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً "[٢] " اى هل تستطيع أن تسأل ربـــك "[٣] ففى هذه القصة الوضوح والبيان أن السائلين هم أصحاب عيسى ، كذلك واضح موقف سيدنا عيسى "عليه السلام "من القوم ، وهو الإنكار لهذا الســـؤال والنصـــح للقوم " قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " [٤] ونسب الله جل جلالـــه القصة إلى الحوارين أصحاب عيسى "عليه السلام" ولم يكن شئ من

---

[١] سورة المائدة ١١٢

[٢] وهى قراءة للكسائى قال صاحب البحر المحيط وقرأ الكسائى هل تستطيع رَبَّك بالتاء من فوق.رَبَّك بنصب الباء وهى قراءة على ومعاذ وابن عباس وعائشة وابن جبير قالت عائشة : كان الحواريون أعرف بالله أن يقولوا هل يستطيع ربك .. .. نزهتهم عن بشاعة اللفظ وعن مرادهم ظاهره .. . انظر البحر المحيط لأبى حيان حـــ٤/٥٤ ط دار الكتاب الإسلامى الطبعة الثانية سنـــــ١٤١٣هـــ - ١٩٩٢م ـــــة

[٣] تفسير القرآن العظيم حـــ٣/١٣٩

[٤] المائدة من الأية : ١١٢

هذا فى سؤال موسى "عليه السلام " ربه سبحانه وتعالى : ان يريه ينظر إليه الوجه الثالث : وهو قول القاضى أن موسى سأل ربه المعرفة الضرورية .. او إظهار الايات الباهرة التى عندها تزول الخواطر والوساوس .. .. الخ

هذا كله بعيد ولا يصح والدليل على بعده :

أولا : أن الله تعالى أرى سيدنا موسى من الأيات مالا غاية بعدها كالعصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم واظلال الجبل فكيف يمكن بعد هذه الأحوال طلب اية ظاهرية قاهرة ؟!

ثانياً : إنه عليه السلام كان يتكلم مع الله بلا واسطة ففى هذه الحالة كيف يليق به أن يقول اظهر لى أية قاهرة ظاهرة تدل على إنك موجود ؟!ومعلوم أن هذا الكلام فى غاية الفساد .

ثالثاً : أنه لو كان المطلوب اية تدل على وجوده ، لأعطاه تلك الأية كما أعطاه سائر الأيات ولكن لا معنى لمنعه عن ذلك ، فثبت أن هذا القول فاسد .

الوجه الرابع : هو الذى ذكره القاضى نقلا عن أبى بكر الأصم وخلاصته ان المقصود منه أية سمعية تقوى ما دل العقل عليه ، فهو إيضا بعيد فلو كان المراد ذلك لكان الواجب أن يقول : أريد يا إلهى أن يقوى بامتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر فى العقل ، وحيث لم يقل ذلك بل طلب رؤيته علمناً أن هذه التاويلات بأسرها فاسده.[١]

هذا ، وهناك إستنباطات كثيرة حول هذه الأية الكريمة لعلماء أهل السنة والجماعة منها ما ذكره ابن قيم الجوزية فى كتابه . " حادى الأرواح إلى بلاد الفراح " يقول رحمه الله :

---

(١) حـ١٣ /٢٦٨ تفسير الفخر الرازى

وبيان الدلالة من هذه الأية من وجوه عديدة :

الوجـــه الأول : إنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم أن يسأل ربه مالا يجـــوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيا لله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عـــباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه ؟!

الوجـــه الـــثانى : أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه . ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحى الموتى لم ينكر عليه ، ولما سال عيسى ابن مريم ربه أنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال : " إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُبِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَالَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ [١]

الوجـــه الـــثالث : إنه أجابه بقوله لن ترانى ولم يقل لا ترانى ولا إنى لست بمـــرئى ولا تجوز رؤيتى والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله . وهذا يدل عـــلى أن الله سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الوجه الرابع : وهو موضح للوجه الثالث – وهو قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى – فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف .

---

[١] سورة هود ٤٦ :٤٧

الوجـــه الخـــامس : أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانـــه وليس هذا بممتنع فى مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا فى ذاتهالم يعلقها بالممكن فى ذاته ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء . كما سبق ذكر ذلك

الوجـــه الســـادس : قوله سبحانه وتعالى " فلما تجلى ربه للجبل وجعله دكاً " وهـــذا مـــن أبيـــن الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فإنه إذا أجاز أن يتجـــلى للجـــبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه ؟!

الوجه السابع : أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ومـــن جـــاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكلم [١]

وقد جاز على الله التكلم والتكليم قال تعالى :

" وَكَـــلَّمَ اللَّهُ مُوسَـــىٰ تَكْـــلِيماً [٢].. إذاً فالرؤية جائزة للعباد إلا أن العبادَ لا يطيقونها كما لم يطقها الجبل ..

ثم إن عدم رؤية الشئ أوعدم فعله لا يدل على استحالة رؤيته أو استحالة فعله – وعلى سبيل المثال : لو قال الطبيب لمريضٍ ما لا تأكل السمك ولا تشرب اللـــبن فـــلا يدل هذا على استحالة أكل السمك أو شرب اللبن إنما هذا وذاك

---

[١] حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح صـــ٢٢٩ : ٢٣٠

[٢] سورة النساء من الأية ١٦٤

ممكـــن إلا أن جسد هذا المريض ــ لضعفه – لم يطق هذا المأكول مع ذاك المشروب .

يقول الإمام الفخر الرازى رحمه الله :

" لو كان الله تعالى مستحيل الرؤية لقال : لا أُرَى ، بضم الهمزة وفتح الراء . ألا ترى إنه لو كان فى يد رجل حجر فقال له إنسان ناولنى هذا لآكله، فإنه يقول له هذا لا يؤكل ولا يقول له لا تأكل . ولو كان فى يده بدل الحجر تفاحة ، لقـــال له: لا تاكلها أى هذا مما يؤكل ، ولكنك لا تأكلها فلما قال تعالى" لن تـــرانى " ولم يقل لا أرى ، علمنا أن هذا يدل على أنه تعالى فى ذاته جائز الرؤية [١]

ومما يدل على أن الله يرُى قوله تعالى :

" فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً " فالتجلى هو الرؤية والمقصود من الأية أن الأنسان لا يطيق رؤية الله سبحانه وتعالى بدليل أن الجبل مع عظمته لما رأى الله تعالى إندك وتفرقت أجزاؤه ، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه تعالى جائز الرؤية .

فإذا قيل أن الجبل جماد والجماد يمتنع أن يرى شيئاً ــ فإنه لا يستحيل على الله أن يخلق فى ذات الجماد الحياة والعقل والفهم ، ثم يخلق فيه رؤية متعلقة بذات الله – والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى :

---

[١] التفسير الكبير حـــ١٣/٢٦٩

"يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ" [١] فكونه مخاطباً بهذه الخطاب مشروط بحصول الحياة والعقل فيه فكذا هاهنا .[٢]

وكذلك جعل الله فى الجماد حياة من خلالها يرى الله سبحانه ويسبح له ويخاطبه رب العزة جل جلاله . وذلك كله جاء فى القرآن الكريم –

قال تعالى : "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا [٣].

" فقد بينت الأية أن كل شئ يسبح بحمد الله تعالى ، الشجرة تسبح ، والأسطوانه تسبح ، والدابه تسبح حتى الثوب كذلك يسبح بحمد الله .[٤]

ويقول جل جلاله : "ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" [٥]

فقد قال أكثر أهل العلم : خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد تعالى :[٦]

إذاً قو له تعالى : " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا" تعد من أقوى الأدلة وأوضح البراهين على جواز رؤية رب العالمين .

فإن الذى جاز عليه أن يتجلى للجبل الذى لا عقل له لا يستحيل عليه أن يتجلى لرسله وانبيائه والصالحين من عباده ويريهم نفسه .

---

[١] سورة سبأ من الأية : ١٠

[٢] الفخر الرازى حـ١٣/٢٧٠

[٣] سورة الإسراء ٤٤

[٤] تفسير الطبرى حـ٨/٩٢ ط دار الغد

[٥] سورة فصلت ١١

[٦] القرطبى حـ١٥/٣٤٤ ط دار الكتب

وكذلك قول الله تعالى – عن سيدنا موسى :

" رب أرنى انظـــر إليك " يعد من أصدق الأدلة على جواز رؤيته سبحانه لأن من خصة الله بالنبوة والرسالة وشرف التكليم يستحيل عليه أن يطلب من ربه عز وجل محالا [١]

---

[١] من مقال رؤية الله سبحانه وتعالى بين المثبتين والنافين لأستاذنا الدكتور/ محمد عبد الصبور بمجله كلية أصول الدين والدعوة فرع اسيوط العدد الرابع عشر ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

شبهات أخرى للمعتزلة
فى نفى رؤية الله تعالى

أثار المعتزلة شبهات أخرى زعموا من خلالها أن رؤية الله مستحيلة.

الشـــبهة الأولى : قـــالوا إن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام أنه خر صعقا ، ولو كانت الرؤية جائزة ، فلِمَ خر عند سؤالها صاعقاً ؟!

الشبهة الثانية : إن موسى "عليه السلام " لما أفاق قال سبحانك ، وهذه الكلمة للـتنزيه فوجب أن يكون المراد منه تنزيه الله تعالى عن الرؤية فثبت بهذا أن نـــفى الرؤية تنزيه لله تعالى ، وتنزيه الله إنما يكون عن النقائص والأفات ، فوجـــب كـــون الرؤية من النقائص والآفات وذلك على الله محال . فثبت أن الرؤية على الله ممتنعه .

الشبهة الثالثة : قول الله تعالى حكاية عن موسى لما أفاق أنه قال (تبت إليك) ولولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه ، ولولا أنه ذنب ينافى صحة الإسلام لما قال (وأنا أول المؤمنين) [١]

---

(١) تفسير الفخر الرازى حـــ١٣/٢٧٢ ط دار الغد ..

رد هذه الشبهات وبيان بطلانها

الشـــبهة الأولى: أن موسى ــ عليه السلام ــ لم يخر صعقاً نتيجة عذاب أصـــابه بســـبب سؤاله وإنما سأل سؤاله هذا لاشتياقه لرؤية الله بعد أن سمع كلامه .

يقول ابن جرير الطبرى ــ رحمه الله ــ

لما تخلف موسى "عليه السلام " بعد الثلاثين حتى سمع كلام الله ، إشتاق إلى النظر إليه فقال : رب أرنى انظر إليك قال : لن ترانى وليس لبشر أن يطيق أن يـــنظر إلىّ فى الدنيـــا . من نظر إلىّ مات قال :إلهى سمعت منطقك ، واشـــتقت إلى الـــنظر إليك ، ولأن انظر إليك ثم أموت ، أحب إلى من أن أعيش ولا أراك ، قال انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى [١]

فسيدنا موسى ــ عليه السلام ـ لم يخر صعقاً لأنه سأل ربه الرؤية ، وإنما لما رأى الجـــبل قـــد دك دكاً ، ولم يجعل الله الجبل دكاً عقابا لموسى وإنما دليل قطعى على عدم تحمل الإنسان رؤية الله تعالى .

الـــرد عـــلى الشبهة الثانية : إدعاء المعتزلة أن قول موسى – بعد أن أفاق– ســـبحانك – يدل على تنزيه الله عن الرؤية .. الخ هذا لا يستساغ وليس فيه من الادلة ما يؤيده حيث إن كلمة سبحان .(اسم علم للتسبيح يقال سبحت الله تسبيحا وسبحانا وتفسيره تنزيه الله عما لا ينبغى ولا يليق [٢] كما أن زعمهم أن الرؤية من النقاص والأفات التى يتنزه الله عنها – لا يقبل فإن نفى الرؤية

---

[١] تفسير الطبرى حـــ٦ : ٥٦

[٢] تفسير الفخر الرازى حـــ٥/١٩

يعد صفة نقص لا كمال لأن الذى لا يرى المعدم والمعدم ليس بشئ وإن الذى يعد كمالا عدم الإحاطة مع إثبات الرؤية وقد أثبتنا ذلك فى الحديث عن قوله تعالى : "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار "[١]

الرد على الشبه الثالثة :

قولهـــم : إن موسى لما أفاق قال (تبت إليك) ولولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه ولولا أنه ذنب ينافى صحة الإسلام لما قال (وأنا أول المؤمنين)

إذاً فهذه الشبهة تدور حول شيئين :

الاول : قول موسى تبتُ إليك وهذا يقتضى ذنبا على زعم المعتزلة .

الثانية : قوله عن موسى أيضاً " وأنا أول المؤمنين "

أمـــا قو له تبت إليك فلا يشترط الذنب البته لاسيما فى الأنبياء لأن منصبهم الجـــليل ينبغى أن يكون منزها مبرأً من كل ما لا يليق به ، ثم ان رسول الله محمداً "صلى الله عليه وسلم " كان يستغفر الله ويتوب إليه فى اليوم مائه مرة روى مســـلم بســـنده فى صحيحة أن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم - قال إنه ليغان على قلبى وإنى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة [٢] وإنه" صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يستغفروا الله ويتوبوا إليه (ولم يوجه النداء الى المذنبين فقط) ـــ فعن ابن عمر ـــ رضى الله عنهما – قال -

---

[١] سورة الأنعام من الأية ١٠٣

[٢] مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار . باب استحباب الإستغفار والإستكثار منه حـــ١٧/٢٣ .

قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم "يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب فى اليوم إليه مائة مرة" [١]

ولا يـــدل هذا على أنه "صلى الله عليه وسلم " قد أذنب ، ثم إن إجماع الأمة على عصمة الأنبياء .يقول القرطبى رحمه الله.

أجمعـــت الأمـــة عـــلى أن هـــذه الـــتوبة ما كانت عن معصية فإن الأنبياء معصومون [٢].

وقيـــل الرؤية كانت جائزة ، إلا إنه "عليه السلام " سألها بغير الأذن وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، فكانت التوبة عن هذا المعنى لا عما ذكروه [٣] .

وقيل تبت إليك من قتل القبطى [٤].

وقيل قاله على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الأيات[٥]

أقـــول هـــذا هو الأقرب إلى الصواب والذى يليق بأنبياء الله عليهم الصلاة والســـلام وبالمؤمنين كلما رأوا أية إزدادوا خشوعاً وإيماناً مع إيمانهم .. قال تعـــالى : " إِنَّمَـــا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً "[٦]

---

[١] مسلم حـــ٢٤/١٧ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار . باب استحباب الإستغفار والإستكثار منه .

[٢] القرطبى حـــ٢٧٩/٧

[٣] الفخر الرازى حـــ٢٧٢/١٣ وانظر القرطبى حـــ٢٧٩/٧

[٤] القرطبى حـــ٢٧٩/٧

[٥] المرجع السابق حـــ٢٧٩/٧

[٦] سورة الأنفال من الأية ٢

هـذا ولـم يكـتف عـلماء المعتزلة بنفى رؤية الله فى الأخرة رغم الأدلة الواضـحة ، والأحاديث الواردة ، بل إنهم أمطروا وابلاً من الشتائم على من خـالفهم هذا الرأى من أهل السنة والجماعة فهذا الزمخشرى ـ أحد علمائهم ـ تسـمح له نفسـه أن يهجو أهل السنة والجماعة بما يجب أن يتورع عنه المسلم حيث قال فى كشافة :

ثـم تعجـب من المتسمين بالإسلام ، المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ، ولا يغّرنك تسترهم بالبلكفة والقول ما قال بعض العدلية فيهم :

لجماعة سمو هواهم سنة وجماعة حمر لعمرى مؤكفه

قد شبـهوه بخلقه وتخوفوا شنـع الـورى فتسترا بالبلكفة(١)

ولكن أهل السنة والجماعة لم يتركوا الزمخشرى وإنما ردوا عليه قوله.

ورموه بأسوأ القول فهذا ناصر الدين الأسكندرى صاحب الإنتصاف يصف الزمخشرى بأنه عدو لأصحاب رسول الله "صلى الله عليه وسلم " فيقول :

لـولا الإستنان بحسان بن ثابت الأنصارى صاحب رسول الله "صلى الله عليه وسلم " وشـاعره و المنافح عنه وروح القدس معه لقلنا لهؤلاء المتلقبين بالعدلية سلاماً، ولكن كما نافح حسان عن رسول الله" صلى الله عليه وسلم " أعداءه فنحن ننافح عن أصحاب سنة رسول الله "صلى الله عليه وسلم " أعداءهم فنقول :

---

(١) الكشاف حـ١/٩٢ والبلكفة أى بلا كيف لأن كيف اسم مبهم غير متمكن ، وهو للأستفهام عن الأحوال وقد يقع للتعجب كقوله تعالى " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ " البقرة من الأية ٢٨وإذا ضم إليه ما صح أن يجازى به تقول كيفما تفعل أفعل المختار الصحاح صـ٥٨٥

وجماعة كفروا برؤية ربهم حـــقاً ووعـــد الله مـــالن يخـــلفه
وتلقبـــوا عـــدلية قلـــنا أجل عـــدلوا بربـــهم فحسبهمو ســـفه
وتلقبوا الناجـــين كلا إنـــهم إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفه[١]

وقال أخر :

هل نحن من أهل الهوى أم أنتمو
ومـــن الذى مـــنا حـــمير مؤكفه
اعكس تصب فالوصف فيكم ظاهر
كالشمس فارجع عن مقال الزخرفة
يكفـــــيك فى ردى عليـــــك بأننا
نحتج بالأيـــــات لا بالسفســـــطة
وبنفى رؤيتـــــه فأنت حـــرمتها
إن لم تقل بكـــــلام أهـــل المعرفة
فنراه فى الأخـــرى بـــلا كيـــفية
وكذلك من غير إرتسام للصـــــفة[٢]

أقـــول : ما هكذا ينبغى أن يكون الحواريين المسلمين وإن اختلفوا فى عظيم الأمر ،فقد أخطأ الزمخشرى خطأ فادحاً إذ عرّض بأهل السنة والجماعة قائلاً "المتسمين بالأسلام " وكأنهم فى نظره غير مسلمين لأنهم قالوا برؤية الله فى الأخرة – وجَهِلَ الزمخشرى أو غاب عنه أن الذين قالوا برؤية الله هم خيار الخلق وعلى رأسهم سيد الخلق "صلى الله عليه وسلم" ، وجميع أصحابه والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين .

---

[١] الإنصاف على الكشاف حـــ٢/٩٢

[١] فيض المجيد فى انواع التوحيد حـــ٣/٢٢٦-٢٢٧ مصطفى سلامة ط ام القرى الطبعة الاولى سنة ١٤١٧هـــ- ١٩٩٦م .

وكمـــا نعيب على الزمخشرى سوء أدبه كذلك لا نسلم بما قاله الإسكندرى لا سيما أنه يزعم أنه يستن بحسان بن ثابت فقد كان حسان" رضى الله عنه " يهجو الكافرين وشتان بيـــن من يهجو كافراً يخالفه فى العقيدة وبين من يهجو مسلماً يخالفه فى أمر وإن جل ثم بأى حجة حكم الإسكندرى على الزمخشرى أنه فى لظى أو شفه – أى شفه منها ؟!

هل استهوته قافية الشعر فمن أجلها غض الطرف عن الحكم الفقهى ؟!

أم إنـــه لم يطق وصف الزمخشرى لأهل السنة فوقع فيما وقع فيه الزمخشرى وإن لم يشعر ؟!

تسأل الله السلامة من الخطا ، والعصمة من الزلل ، وان يغفر لنا زالتنا ، ويتجاوز عن هفواتـــنا .ولقد أحسن أبو حيان صنعاً إذ رد على الزمخشرى قوله وهو ممسك زمام نفسه فلم ينطق لسانه بكبير خطأ حيث قال :

شـــبهت جـــهلاً صـــدر أمة أحمد
وذوى البصـــائر بالحمير المـــؤكـــفة

وجب الخسار عليك فانظر منصفاً
فى أية الأعراف [١] فهـــى المنصـــفة

أتـــرى الكـــليم أتى بجهل ما أتى
وأتى شيوخك بما أتوا عن معـــرفـــة

إن الوجـــوه إليـــه ناظـــرة بـــذا
جـــاء الكـــتاب فـــقـــلتموا هذا ســـفه

نطق الكتاب وانت تنطق بالهوى
فهوى الهوى بك فى المهاوى المتلفة[٢]

---

[١] يقصد قوله تعالى " قال رب ارنى انظر إليك " سورة الأعراف من الأية ١٤٣

[٢] البحر المحيط حـــ٤/٣٨٦ ط مكتبة ومطابع النصر الحديثة ص.ب ٥٢٦ الرياض

تنطع المعتزلة

لـــم يكـــتف المعتزلة بالأيات التى يوهم ظاهرها عدم رؤية الله تعالى ، أو يستنبط منها على حد زعمهم كقوله تعالى :

" لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار "

وقوله سبحانه : " قال لن ترانى "

بـــل إنهم عمدوا إلى الأيات الصريحة، فى دلالتها على رؤية الله تعالى – أو التى تثبت رؤيـــة الله جـــل جلاله ، نقلاً وعقلاً ، عمدوا إلى تلك الأيات وأولوها تأويلاً يتفق مع أهوائهم زاعمين أن شبهاً من أهل السنة والجماعة دارت حول هذه الأيات وأن الصحيح ما قالوه وهو أن الله لا يرُى فى الدنيا والأخرة .

ولعل هذا تنطع من المعتزلة ، وتشدد مرفوض ، وحتى تتضح لنا الصورة جلية سوف نذكر إن شاء الله – هذه الأيات وما قاله أهل الإعتزال حولها .

١- قول الله :

"لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ"[١]

فـــرغم أن حديـــثاً صحيحاً جاء فى هذه الأية الكريمة يبين أن الزيادة هى رؤية الله تعالى إلا أن المعتزلة ــ كعادتهم ــ ردوا الحديث مدعين أنه لم يثبت ، وزعموا (أنا الدلائـــل العقلية دلت على أن رؤية الله تعالى ممتنعة) [٢]ومن ثمَّ فإن الزيادة ليست رؤية الله تعالى ... .. يقول الزمخشرى حول هذه الأية :

"الحســـنى : المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة وهى التفضل ويدل على ذلك قوله تعالى : "وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ " [٣]

---

[١] سورة يونس من الأية ٢٦

[٢] الفخر الرازى حـــ٨/٣٣٩

[٣] الكشاف حـــ٢/١٨٨ والأية من سورة فاطر : ٣٠

ثم يتطاول الزمخشرى كعادته – على علماء أهل السنة والجماعة ويصفهم بصفات لا تليق بهم ويقدح فيما صح من الحديث فيقول :

وزعمت المشبهة والمجبرة (يريد أهل السنة) أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع : إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه[١]

أما القاضى عبد الجبار وهو رأس الإعتزال فقد قال فيمن أثبتوا الرؤية ـــ من خلال هذه الأية – قولاً عظيماً وخلط بين من يعتقد جواز الرؤية ، وبين من يعتقد لمس الله وجواز معانقته فيقول فى كتابه متشابه القرآن .

وقوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " ربما تعلق به من يقول بجواز الرؤية على الله تعالى ، ويروُى فيه ما يقوى تأويله [٢]، وليس للأية ظاهر ، لانه لم يذكر ما تلك الزيادة ، فمن أين أن المراد به ما قالوه؟!

ولو كان المراد به الرؤية على مذهبهم لكانت الزيادة أعظم من الحسنى ، ويجب أن يكون الله تعالى يلتذ بالنظر إليه ويشتهى، فيكون ذلك من جملة النعيم واللذات!! وهذا خروج من الدين ، وان كان القول بأنه جسم يقتضيه ، لأنه إذا صح فيه ذلك لم يمتنع أن يشتهى النظر إليه . بل لمسه ومعانقته تعالى الله عن ذلك [٣]

وتعليل ذلك عندهم : أن النظر إلى وجه الله تعالى يوجب التشبيه ، لأن النظر عبارة عن تقليب الحدقة إلى وجه المرئى ، وذلك يقتضى كون المرئى فى الجهة ، لان الوجه اسم للعضو المخصوص ، وذلك أيضا يوجب التشبيه ، فثبت أن هذا اللفظ لا يمكن حمله على الرؤية ، فوجب حمله على شئ أخر.[٤]

---

[١] المرجع السابق نفس الجزء والصفحة

[٢] لعله يقصد الأحاديث الواردة فى ذلك

[٣] متشابه القرآن صـ٣٦١ :٣٦٢

[٤] تفسير الفخر الرازى حـ١٦/٣٣٩

والشئ الأخر الذى يحمل عليه يبينه الجبائى فيقول :

الحسنى عبارة عن الثواب المستحق ، والزيادة ما يزيده الله تعالى على هذا الثواب من التفضيل . قال : والذى يدل على صحته القرآن ، وأقوال المفسرين .

أما القرآن : فقولة تعالى : "ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله "[١]

وأمـــا أقوال المفسرين : فنقل عن على "رضى الله عنه" أنه قال : الزيادة غرفة من لؤلـــؤة واحدة . وعن ابن عباس أن الحسنى هى الحسنة ، والزيادة عشر أمثالها،وعن الحسن ،عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

وعـــن مجاهد: الزيادة مغفرة الله ورضوانه – وعن يزيد بن سمرة : الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ماتريدون أن أمطركم . فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم [٢]

وقـــالوا : ان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى ليست من جنس نعيم الجنة .[٣]

هـــذه مـــزاعم المعتزلة حول هذه الأية الكريمة – التى أثبت العلماء المنصفون من خلالها جواز رؤية الله تعالى ، وهى مزاعم ليس لها ما يقويها من حديث صحيح ، أو رأى سديد ، بل جاء الحديث بعكس ما يزعمون لذلك فإنا نستعين بالله ثم بأقوال علماء أهل السنه والجماعة .

ونبين بطلان تلك المزاعم .. .. التى تتلخص فى الأتى :

أولا : قـــول المعـــتزلة أن الدلائل العقلية دلت على أن رؤية الله ممتنعة .. هذا مردود عليهم لان العلماء (بينوا فى كتب الأصول أن تلك الدلائل فى غاية الضعف ،

---

[١] سورة فاطر من الاية : ٣٠

[٢] الفخر الرازى حـــ١٦/٣٣٩ والكشاف حـــ٢/١٨٨

[٣] الفخر الرازى حـــ١٦ /٣٣٩

ونهايـــة السخافة ،وإذا لم يوجد فى العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الأخبار الصحيحة بإثبات الرؤية ، وجب إجراؤها على ظواهرها. [١]

ثم إن موسى كليم الله ورسوله طلب رؤية الله تعالى :

" قـــال رب أرنى انظـــر إليك " فهذا يعد دليلاً عقلياً ودليلاً نقلياً فى نفس الوقت على جـــواز رؤية الله سبحانه لأن سيدنا موسى "عليه السلام " يستحيل أن يكون جاهلاً بما ينبغى طلبه ومالا ينبغى ،وما دام قد طلبها فهى ممكنة كما سبق أن بينا ذلك .

ثانيا : إدعاء الزمخشرى وإخوانه المعتزلين ، أن الحديث الوارد فى هذا الشأن مرقوع أى غيـــر صـــحيح هـــذه دعـــوة باطلة ويكفى أن الحديث رواه مسلم فى صحيحه .

والـــترمذى فى تحفـــة الأحـــوذى ، وابن ماجه فى سننه ونص الحديث كما جاء فى صـــحيح مســـلم : عن صهيب عن النبى "صلى الله عليه وسلم " قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلـــنا الجـــنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ثم تلا هذه الأية " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " [٢]

لذلك لم يكن غريباً أن يقول أكثر من صحابى من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وسلم " أن الزيادة فى الأية هى رؤية الله جل جلاله .

فعن أبى بكر الصديق "رضى الله عنه " " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" قال النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى [٣]

---

[١] الفخر الرازى جـــ ١٦ / ٣٣٩

[٢] مسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين فى الأخرة لربهم سبحانه وتعالى حـــ ١/١٧٣ وانظر الترمزى حـــ٣٠٧/٧ كتاب صفة الجنة باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ط دار إحياء التراث العربى .

[٣] تفسير الطبرى حـــ٦١٥/٦

وعن أبى تميمة الهُجَيْمى قال ، سمعت أبا موسى الأشعرى يخطب على منبر البصرة يقــول : إن الله يــبعث ملكاً إلى أهل الجنة فيقول : "يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكــم " فيــنظرون ، فيــرون الحلى والحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولــون : "نعــم قد أنجزنا الله ما وعدنا " ثم يقول : "هل أنجزكم الله ما وعدكم " ؟ ثلاث مرات ، فلا يفقدون شيئاً مما وعدوا ، فيقولون : "نعم" فيقول قد بقى لكم شئ أن الله يقول : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " ألا إن الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله "

وعــنه أنه سمع أبا موسى الأشعرى يحدث عن رسول الله" صلى الله عليه وسلم " " إن الله يــبعث يوم القيامة منادياً ينادى أهل الجنة بصوت يُسمع أولهم وأخرهم : " أن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن .[١]

ثالــثاً : إدعاؤهم أن تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله يوجب التشبيه لان النظر عبارة عن تقليب الحدقة إلى وجه المرئى ..

هذه فرية مردودة حيث إن تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى وردت عنى النبى "صلى الله عليه وسلم" وكبار الصحابة "رضى الله عنهم" . فإذا قال المعتزلة أن ذلك لا يصح لأنه يوجب التشبيه لزم أن يكون المعتزلة أعلم بكتاب الله من رسول الله "صلى الله عــليه وســلم "ومــن كبار الصحابة "رضى الله عنهم ". وهذا ما لا يخفى فساده وبطلانه ..

وإن كــان هذا التفسير قد أفاد إثبات الرؤية ، وأفاد إثبات الجسمية ، فقد قام الدليل ، كمــا يقــول الفخــر الرازى على إنه ليس بجسم ، ولم يقم الدليل على امتناع رؤيته فوجب ترك العمل بما قام الدليل على فساده فقط [٢]

---

[١] المرجع السابق حـــ٦/٦١٤

[٢] الفخر الرازى حـــ١٦/٣٤٠

ولا يختـــلف المعتزلة معنا أن الأدله العقلية والنقلية أقيمت على أن الله سبحانه وتعالى لا يشبه أحداً من خلقة .

وقال تعالى﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١]

وقـــال جـــل جلالـــه : " قـــل هـــو الله أحـــد الله الصـــمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " [٢]وعلى هذا يتقرر" أن الله سبحانه وتعالى يُرى ولكن ليس فى جهة لأنه لا يشـــبه أحداً من خلقه وإذا كنا لم نره فى الدنيا فإنما لعجز فى الرائى لا فى المرئى فإذا كنا فى الدار الأخرة أكمل الله قوانا حتى نطيق رؤيته عز وجل[٣]

رابعاً : أما قولهم الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى ليست من جنس نعيم الجنة – فقد أجاب علماؤنا بما يفيد أن الزيادة لا تكون من جنس المزيد عـــليه فى كـــل الحالات وإنما إذا كان المزيد عليه مقدراً بمقدار معين كقول الرجل لغيره : "" أعطيتك عشرة أمداد من الحنطة وزيادة ، فيجب هنا ان تكون الزيادة من الحنطة .

أمـــا قو له " أعطيـــتك الحنطة وزيادة فيجب هنا ان تكون تلك الزيادة غير الحنطة ، والمذكـــور فى هـــذه لفظ " الحسنى " وهى مطلقة غير مقدرة بقدر معين ، فوجب ن تكون تلك الزيادة عليها شيئاً مغايراً لكل ما فى الجنة [٤]

أما قول الله تعالى :" لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ "[٥]

والذى استأنس به المعتزلة كدليل على نفى الرؤية وأن الزيادة فى قوله :

---

[١] سورة الشورى من الأية ١١

[٢] سورة الأخلاص كلها .

[٣] مقال رؤية الله تعالى بين المثبتين والنافين لأستاذنا الدكتور محمد عبد الصبور مجلة كلية أصول الدين والدعوة فرع اسيوط عدد ١٤ عام ١٤١٦هـــ

[٤] الفخر الرازى حـــ١٦/٣٤٠

[٥] سورة فاطر أية ٣٠

" لـــلذين احســـنوا الحســـنى وزيادة " إنما هى زيادة الأجر . مثل قوله ويزيدهم من فضله" فنقول : لا مانع عند بعض المفسرين أن تكون الزياده فى قوله :

ويزيدهم من فضله" أن يزيدهم النظر إلى وجه الكريم سبحانه .

يقول الفخر الرازى رحمه الله "

ليوفيهم أجورهم : أى ما يتوقعونه ولو كان أمراً بالغ الغاية .

ويـــزيدهم مـــن فضـــله " أى يعطهم مالم يخطر ببالهم عند العمل ، ويحتمل أن يكون يزيدهم النظر اليه فهو غفورعند إعطاء الأجور ، شكور عند إعطاء الزيادة [١]

٢ــ قول الله جل جلاله :

" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ "[٢]

فإن المتدبر لهذه الأية الكريمة يجدها كما يقول ابن القيم – منادية نداء صريحاً بأن الله ســـبحانه وتعالى يرُى عيانا بالأبصار يوم القيامة .[٣] ورغم ذلك زعم أهل الإعتزال إنهـــا لا تفيد رؤية الله ، محتجين بتأويلات فاسدة ، ومستشهدين بأبيات شعر هابطة ، منها ما هو موضوع محرف عن الصواب ، ومنها ما لا يصلح للإحتجاج وهذه بعض تأويلاتهم وحججهم حول هذه الأية يقول القاضى عبد الجبار حول هذه الأية :

ربما قيل إنه أقوى دليل على أن الله تعالى يرى فى الأخرة .

وجوابنا: أن من تعلق بذلك أن كان ممن يقول بأن الله تعالى جسم ، فإنا لا ننازعه فى أنـــه يرى . بل فى أنه يصافح ، ويعانق ، ويلمس ، تعالى الله عن ذلك ، وإنما نكلمه فى أنـــه ليس بجسم ، وإن كان ممن ينفى التشبيه عن الله فلا بد أن يعترف بأن النظر إلى الله تعالى لا يصح ، لأن النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشئ طلباً لرؤيته ، وذلك لا يصح إلا فى الأجسام .

---

[١] الفخر الرازى حـــ٢٤/٥١

[٢] سورة القيامة ٢٢ :٢٣

[٣] حادى الأرواح صـــ٢٣٦

فيجب أن يتأول على ما يصح النظر إليه وهو الثواب [١]، كقوله تعالى : " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ "[٢] فإنا تأولناه على أهل القرية لصحة المسالة منهم ، وتبين ذلك أن الله ذكر ذلك ترغيباً فى الثواب كما ذكر قوله "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ[٣] " زجراً عن العقاب [٤]

أما الزمخشرى فقد قصر لسانه عند هذه الأية – كما يقول ابن المنير – فقال تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله: " إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ "[٥] " إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ "[٦] " إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ [٧] " " وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" [٨] "عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"[٩] كيف دل فيها التقديم على معنى الإختصاص ومعلوم أنهم ينظرون إلى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد فى محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الأمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظور إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الأختصاص والذى يصح معه ان يكون من قول الناس أنا الى فلان ناظر ما يصنع بى بمعنى التوقع والرجاء

ومنه قوله القائل : " وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتنى علماً

---

(١) وكانه يريد أن يقول معنى الأية إلى ثواب ربها ناظرة.

(٢) يوسف من الاية : ٨٣

(٣) القيامة ٢٤ : ٢٥

(٤) تنزية القرآن عن المطاعن صـ٤٤٢ ط دار النهضة الحديثة

(٥) القيامة ١٢

(٦) القيامة ٣٠

(٧) الشورى ٥٣

(٨) الزخرف من الاية ٨٥

(٩) هود من الاية ٨٨

والمعـــنى لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه [١]

فالزمخشـــرى يزعم بأن المعنى تنتظر الثواب والنعمة والكرامة من الله وحده ، وليس المعـــنى أنهـــا تنظر إلى الله تعالى ، وكذلك بقية علماء المعتزلة يزعمون أن الناظر بمعـــنى المنتظر ويقولون أولئك الأقوام ينتظرون ثواب الله قال تعالى : " فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ " [٢]

كما أنهم يزعمون أن النظر المقرون بحرف إلى ليس اسماً للرؤية واستدلوا على ذلك بعدة وجوه منها .

١- قول الله تعالى " وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ "[٣]

وحجـــتهم فى هـــذا أن الله أثبت النظر حال عدم الرؤية ، فدل على أن النظر غير الـــرؤية ، ويقال نظرت إلى الهلال فما رأيته ، ولم أزل انظر إلى الهلال حتى رأيته ، فالـــنظر الموصـــول بـ لى محمـــول على تقليب الحدقة لأنه يوصف بالشدة والشزر والأزورار - العـــدول عـــن الشئ - والرضى والتجبر والذل والخشوع وشئ منها لا يصلح للرؤية بل هى أحوال يكون عليها الناظر عند تقلب الحدقة نحو المرئى [٤]

٢- قول الله تعالى :

" وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "[٥]

وقول الشاعر: وجوه ناظرات يوم بدر إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

---

[١] الكشاف حـــ٤/١٦٥

[٢] الطبرى حـــ١٢/ ٣٧٢ والفخر الرازى حـــ٣٦/١٦ ـــ سورة النمل أية ٣٥

[٣] الأعراف من الأية ١٩٨

[٤] شرح المواقف صـــ٢١٤ :٢١٥ ، وانظر الفخر الرازى حـــ٣٥/١٦

[٥] سورة آل عمران من الأية :٧٧

قـــالوا حـــول الأية : لو قال لا يراهم كفى، فلما نفى النظر ولم ينف الرؤية دل على المغايرة.[١]

أما قول الشاعر :

فقد أثبت النظر المقرون بحرف إلى مع أن الرؤية ما كانت حاصلة .[٢]

٣- وأخيراً زعم المعتزلة أن "إلى " ليست حرف التعدى بل هو واحد الألاء .

والمعنى : وجوه يومئذ نعمة ربها منتظرة [٣]

هذه تاويلات المعتزلة حول الأية الكريمة، وقد بذلوا قدر الجهد لمحاولة إثبات استحالة رؤية الله تعالى وأنها غير جائزة شرعاً وليس هناك دليل يثبتها إلا أن هذه التأويلات لم يكتب لها القبول لدى الناس وقد ردها عليهم أهل السنة والجماعة ، وأثبتوا بطلانها وأنهـــا خـــلاف مافســـره الصحابة والتابعون "رضى الله عنهم " كما أن فيها المخالفة لقواعد العربية ،

والقرآن الكريم نزل – كما قال ربنا- " بلسان عربى مبين "[٤]

وكذلـــك بعـــض أبيـــات الشعر غير صحيحة ، والأمثال غير ثابتة فى كلام العرب ، ونفصل هذا الإجمال فنقول وبالله التوفيق .

أولاً : زعمُ القاضى عبد الجبار أن النظر إلى وجه الله تعالى يقتضى التشبيه والتجسيم زعـــم باطل حيث أقيمت الأدلة النقلية والعقلية على ان الله تعالى ليس بجسم ولا يشبه أحدا من خلقه كما سبق ذكر[٥] ذلك وحسبنا قول الله تعالى :

---

[١] الفخر الرازى جـــ١٦ / ٣٦

[٢] المرجع السابق نفس الجزء صفحة ٣٥

[٣] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـــ١٩ / ١١٠

وانظر الفخر الرازى جـــ٣١ / ٣٧

[٤] سورة الشعراء اية : ١٩٥

[٥] انظر ص ١٥٢ من هذا البحث

" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [١]

وقول جل جلاله :

" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ". [٢]

ثم إن الله سبحانه وتعالى قص علينا نبأ موسى بالحق فقال جل جلاله : " قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ " [٣] فلو كان النظر يقتضى التشبيه والتجسيم كما يزعم القاضى عبد الجبار – وأنه عبارة عن تقليب الحدقة إلى جانب المرئى – لاقتضت الأية أن موسى "عليه السلام " أثبت لله تعالى وجهة ومكاناً وذلك محال[٤].

حيث لا يجوز أن يكون موسى ــ عليه السلام – الذى ألبسه الله تعالى جلباب التبيين وعصمه بما عصم به المرسلين فيسأل ربه ما يستحيل عليه وإذا لم يجز ذلك على موسى عليه السلام– فقد علمنا إنه لم يسأل ربه مستحيلاً ، وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل ، ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا – كما زعمت المعتزلة ، ولم يعلم ذلك موسى ــ عليه السلام – وعلموا هم لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى ــ عليه السلام – وهذا ما لا يدعيه مسلم .[٥]

هذا، وإن كان كل ما يُرى يحتاج إلى كَيْف ومكان فهذا فى الدنيا أما فى الأخرة فإن الحال ليست كذلك ولا يبعد – كما القرطبى– قلب العادة غداً، حتى يخلق الرؤية والنظر فى الوجه وهو كقوله تعالى "أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي

---

[١] سورة الشورى من الاية ١١

[٢] سورة الإخلاص

[٣] سورة الأعراف من الأية ١٤٣

[٤] تفسير الفخر الرازى حـ١٦/٣٨

[٥] الإبانه عن أصول الديانه صـ١٤

سَوِّياً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ".[١] فقيل يا رسول الله كيف يمشون فى النار على وجوههم ؟. قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادرٌ أن يمشيهم على وجوههم ".[٢]

ومما يقوى ذلك أن الله سبحانه وتعالى قلب عادة الرؤية فى الدنيا لرسوله "صلى الله عليه وسلم" فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة "رضى الله عنه" قال :

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" : " ما يخفى علىّ خشوعكم ولا ركوعكم إنى لأراكم من وراء ظهرى "[٣]

وفى رواية للنسائى تزيد الأمر تبياناً فعن أنس رضى الله عنه " أن النبى "صلى الله عليه وسلم" كان يقول : " استووا استووا فوالذى نفسى بيدى إنى لأراكم من خلفى كما أراكم من بين يدى " سنن النسائى كتاب الإمامة باب كم مرة يقول استووا – حـ٢/٩١ ط دار الحديث القاهرة سنة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م

وفى صحيح البخارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" " يا عائشة هذا جبريل يقرؤك السلام . قالت وعليه السلام ترى مالا أرى تريد النبى " صلى الله عليه وسلم" [٤]

---

[١] سورة الملك : ٢٢

[٢] القرطبى حـ١٩/١١٠ ، وانظر تفسير ابن كثير حـ٤/٦٢٣ والحديث رواه البخارى ونصه " أن رجلاً قال يا نبى الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال أليس الذى أمشاه على الرجلين قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة " انظر صحيح البخارى حـ٨/٣٥٠ ك التفسير ب الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم يوم القيامة حديث رقم ٤٧٦٠ .

[٣] صحيح البخارى حـ١/٦١٢ كتاب الصلاة باب عظة الإمام الناس فى أتمام الصلاة وذكر القبلة حديث رقم ٤١٨ ط الريان .

[٤] الحديث رواه البخارى حـ٦/ ٣٥٢ كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم حديث رقم ٣٢١٧ .

فالرسول " صلى الله عليه وسلم " لم يكن فى مقابلتهم ببصره أثناء الصلاة ، ولكنه يخبر أصحابه أنه يراهم – وهو الصادق المعصوم عن الكذب .

وفى بيت السيدة عائشة لم تر أم المؤمنين جبريل عليه السلام ولكن النبى" صلى الله عليه وسلم" رأه وسمعه وبلَّغ السيدة عائشة ذلك هو يدل على أن النبى" صلى الله عليه وسلم " : قد اعطاه الله بقدرته المطلقه رؤيةَ مالم يقدر على رؤيته أحد من الناس لذا قالت عائشة " رضى الله عنها " ترى ما لا أرى " حيث رأى جبريل ولم تره هى "رضى الله عنها"

وصدق حسان بن ثابت حيث قال :

نبى يرى ما لم ير الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مشهد [١]

إذاً فليس بمحال أن نرى ربنا فى الأخرة وإن لم يتسن لنا رؤيته فى الدنيا ، ونقوى على رؤية ما لم نقو عليه فى الدنيا ، ولعل حديث رسول الله "صلى الله عليه وسلم" الذى رواه الترمذى والإمام أحمد بن حنبل – يثبت لنا أن الصالحين الأتقياء يرون فى الأخرة ما لا سبيل إلى رؤيته فى الدنيا . فعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال : قال النبى"صلى الله عليه وسلم" : إن فى الجنة غرفاً تُرى ظهورها من بطونها ،وبطونها من ظهورها فقام أعرابى فقال : لمن هى يا رسول؟ قال : لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام وأدام الصيام ، وصلى لله بالليل والناس نيام" ورواه الترمذى حـ٦/ ١٠٩ كتاب البر والصلة / ٥٣ باب ما جاء فى قول المعروف – وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق .

أما القياس الذى ذهب إليه القاضى عبد الجبار بحمل هذه الأية على قوله تعالى : " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ " [٢] فإنه قياس بعيد لا يصح لما فيه من قياس المستحيل على الممكن

---

[١] الطبرى حـ١/٦٥٥

[٢] سورة يوسف من الاية : ٨٢

،فقو له تعـــالى : " واسأل القربة" يستحيل أن نسأل ذات القرية وإنما نسأل أهلها ، أما قو له تعالى " إلى ربها ناظرة " فليس مستحيلا وليس هناك ما يمنع أن تنظر إلى ربها حقيقـــة علاوة على ما جاء من أحاديث صحيحة ذكرت فى هذا المضمار تؤيد ما ذهب إليـــه أهـــل السنة والجماعة وتبطل ما ذهب إليه القاضى عبد الجبار وأقرانه من أهل الإعتزال .

ثم إن القرية لا تكون قرية إلا بأهل يسكنون فيها، فإذا جاء الحديث عنها فالمراد أهلها ، فإن لم يكن فيها أهل فإنها تسمى وادياً. فقد سماها القرآن واديا عندما كانت خالية من الناس .

قال تعالى عن سيدنا إبراهيم

" رَّبَّنَا إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ "[١] والمراد بهذا الوادى مكة المكرمة فلما عمرت بالناس سماها القرآن قرية فقال سبحانه مخاطباً سيدنا محمداً "صلى الله عليه وسلم "

" وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا "[٢] فأم القرى مكة والمراد أهلها .[٣]

ثانياً : ما زعمه الزمخشرى ومن وافقة من المعتزلة بأن معنى قوله تعالى:

" إلى ربها ناظرة " منتظرة الكرامة والثواب ، والزعم بان الناظر بمعنى المنتظر.. .. .. الخ .فهذا فيه خلط بين قواعد اللغة العربية لا يخفى .حيث إن النظر فى اللغة له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه .

فـــإن عـــدى بنفسه كان بمعنى التوقف والإنتظار فإن العرب إذا أرادت الإنتظار قالوا نظرته كما قال تعالى :

---

[١] سورة إبراهيم من الأية ٣٧

[٢] سورة الأنعام من الأية ٩٢

[٣] القرطبى حـــ٧/٣٨

"فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً " [١] وقال سبحانه : "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ[٢]" وقال جل جلاله "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً "[٣]

وقال الشاعر :

فإنكما إن تنظرانى ساعة من الدهر تنفعنى لدى أم جُنْدُب[٤]

فلما أراد الإنتظار قال تنظرانى ولم يقل تنظران الى . وقال اخر :

الم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غداً للناظرين قريب[٥]

وكذا قول قراد بن أجدع فى البيت المشهور الذى يضرب به المثل لانتظار الموعد :

وأن يك صدر هذا اليوم ولى فإن غداً لناظره قريب

وإذا أرادت بالنظر التفكر والتدبر قالوا : نظرت فيه[٦] – ومنه قوله تعالى :

"قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ "[٧] اى انظروا نظر استدلال واعتبار ماذا فى السموات والأرض من الأيات الدالة على عظمة الله ، والعبر باختلاف الليل والنهار ، وخروج الزروع والثمار .[٨]

وإذا عدى باللام كان معناه : العطف والرحمة كأن تقول : نظر الأمير للرجل الفقير بعين الرحمة ، أى شفق به وعطف عليه .

---

[١] سورة محمد من الية ١٨

[٢] الأعراف من الية ٥٣

[٣] يس من الأية ٤٩

[٤] انظر القرطبى حـ١٩/١٠٨ والشاعر هو امرء القيس وانظر الإبانه عن اصول الديانة صـ١٤

[٥] إحياء علوم الدين حـ٤/٣٩٨ .

[٦] القرطبى حـ١٩/١٠٩

[٧] سورة يونس من الأية ١٠١

[٨] تفسير النسفى حـ٢/١٣٦ ط إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى

اعتبار.[١]

ولا يجـــوز أن يكون عنى نظر الإنتظار لما فى الإنتظار من تنغيص للعيش وتكدير للحياة ، وأهل الجنة لا يوصفون بذلك ، ولا ينتظرون دفع نقمة عنهم ، بـــل إن لهـــم فى الجنة ما لاعين رأت ولا أذن سمعت من العيش السليم ، والنعيم المقيم ، وإذا كان هذا هكذا لم يجز ان يكون منتظرين لأنهم كلما خطر ببالهم شئ أتوا به مع خطوره ببالهم [٢]

إذاً الإنـــتظار وما فيه من تنغيص وأرق لا يتلائم مع أهل الجنة المكرمين ، ولا يكون صفة مـــدح والأية تمدح المؤمنين ذوا الوجوه النضرة .. .. ..

إذاً فالأقسام الثلاثة لا تصح ان تكون مراد الأية وإذا فسدت الأقسام الثلاثة ـــ كمـــا يقول أبو الحسن الأشعرى ـــ صح القسم الرابع من أقسام النظر وهو أن معـــنى قوله "إلى ربها ناظرة " أنها رائية ربها عز وجل .. .. ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكر النظر مع الوجه والنظر إذا ذكرمع ذكر الوجه كان معناه نظر العينين اللتين فى الوجه.[٣]

والقرآن الكريم كثير ما يعبر عن العين بالوجه.

قال تعالى : "فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً "[٤] . قال القرطبى : اى على عيـــنيه.[٥] وكذا قوله تعالى : " قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وُجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

---

[١] الإبانة عن أصول الديانة صـــ١٣

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـــ١٩/١١٠ وانظر الإبانه صـــ١٣ للأشعرى

[٣] الإبانه عن أصول الديانه صـــ١٣ :١٤ بتصرف وتقديم وتأخير .

[٤] سورة يوسف من الأية ٩٣

[٥] القرطبى حـــ١٩/١١٠

تَرْضَاها }[1] فذكر الوجه وإنما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة .[2]

وقـــول المعتزلة "تنتظر ثواب ربها " أو إلى ثواب ربها ناظرة فيه تكلف وصـــرف للأية عن ظاهرها الواضح ، ثم إن ثواب الله شئ والنظر إلى الله جـــل جلاله شئ آخر، والله تعالى قال :" إلى ربها ناظرة " ولم يقل إلى غيره ناظرة .

وحمـــل الأيـــة على الحقيقة وعلى ظاهرها أولى من حملها على المجاز ، لا ســـيما أن حمـــلها عـــلى المجاز لم يرد به نقل ثابت ، بل إن هناك أكثر من حديث يثبت أن الرؤية حقيقية .. ..

يقـــول أبـــو الحسن الأشعرى : والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهـــره إلا لحجـــة وإلا فهو على ظاهره ألا ترى أن الله عز وجل لما قال صـــلوا لى واعبدونى لم يجز أن يقول قائل أنه أراد غيره ويزيل الكلام عن ظاهره فلذلك لما قال إلى ربها ناظرة لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة . [3]

ثم يقال لهؤلاء المعتزلة إن جازلكم أن تزعموا أن قول الله عز وجل إلى ربها ناظـــرة إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة فلم يجاز لغيركم أن يقول أن قوله عز وجل لا تدركه الأبصار أراد بها لا تدرك غيره ولم يرد أنها لا تدركه ؟!

---

[1] سورة البقرة من الأية ١٤٤

[2] الإبانه صـــ١٤

[3] المرجع السابق نفس الصفحة

وهذا ما لا يقدرون على الفرق فيه [١]

ثالثا : زعمهم أن "إلى" ليست حرف التعدى وإنما واحد الألاء والمعنى وجوه يومئذ نعمة ربها منتظرة .

وهـــذا تأويل باطل ،لأن واحد الألاء يكتب بالألف لا بالياء ، ثم الألاء نعمة الدفع ، وهم فى الجنة لا ينتظرون دفع نقمة عنهم .[٢]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

ومن قال أن المراد بإلى مفرد ا لألاء وهم النعم – فقد أبعد النجعة – وأبطل فيمـــا ذهـــب إليـــه ، وأيـــن هو من قوله تعالى : " كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " [٣]قال الشافعى رحمه الله ما حجب الكفار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل .[٤]

وقـــال الإمـــام مالك رضى الله تعالى عنه " لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه [٥].

رابعاً : الأيات والأمثال وأبيات الشعر التى استدل بها المعتزلة على أن النظر فى الأية غير الرؤية :

١- قول الله تعالى : " وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ "[٦]

---

[١] المرجع السابق نفس الصفحة

[٢] الجامع لأحكام القرآن حـــ١٩/١١٠

[٣] سورة المطففين اية : ١٥

[٤] تفسير القرآن العظيم حـــ٤/٧٠٥ - ٧٠٦ بتلخص

[٥] شرح البيجورى على الجوهرة صـــ١٣٤ .

[٦] سورة الأعراف من الأية ١٩٨

وحجـــتهم فى هـــذا أن الله أثـــبت النظر فى حال عدم الرؤية فدل على أن النظرغير الرؤية مثل ذلك أن يقال :

نظرت إلى الهلال فما رأيته، ولم أزل انظر إلى الهلال .. .. الخ

ولنا على هذا تعليق :

الإستدلال بهذه الأية الكريمة على نفى رؤية الله تعالى أراه بعيداً عن الصواب لأن هذه الأية التى احتج به المعتزلة إنما تتحدث عن الأصنام ، ولا خلاف فى أنهـــا لا تبصـــر شيئاً ، ولا ترى أحداً ، والخلاف بيننا وبين المعتزلة فى رؤيـــة الله للمؤمنين ، وهل يقصد المعتزلة ان قوله تعالى " إلى ربها ناظرة " أن المؤمـــنين ينظرون إلى الله ولا يرونه كما أن الأصنام ينظرون إلى الشئ ولا يبصرون ؟!

إن كـــان كذلك فهذا قياس فاسد لما فيه من قياس الإنسان على الجماد : ثم إن وصـــف نظـــر الأصـــنام فى هذه الأية ليس حقيقة ، وإنما عيون مفتوحة ، بجواهر مصنوعة فكأنها تنظر إليك . يقول القرطبى حول هذه الأية :

" وتـــراهم كالناظرين إليك " وخبَّر عنهم بالواو وهى جماد لا تبصر ، لأن الخبر جرى على فعل من يعقل ، وقيل كانت لهم أعين من جواهر مصنوعة ولذلك قال : " وتراهم ينظرون إليك " .[١] أما قولهم : نظرت إلى الهلال فما رأيـــته ، ولـــم أزل أنظر إلى الهلال حتى رأيته " فيجاب عليه بأنه لا يصلح دليلاً حيث لم يصح نقله عن العرب ، والصواب أن يقال :

نظـــرت إلى مطـــلع الهـــلال فـــلم أر الهلال . وإن سلمناه قلنا ربما يحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه فيكون النظر مجازاً عن تقليب الحدقة من

---

[١] القرطبى حـــ٧ ٣٤٤

بـــاب إطـــلاق اسم المسبب الذى هو الرؤية عن سببها الذى هو التقلب ثم إن تقليب الحدقة طلباً للرؤية بدون الرؤية لا يكون نعمة بل فيه نوع عقوبة فلا يكون مراداً فى الأية .[١]

قوله تعالى: " وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "[٢]

يزعم المعتزلة ان هناك مغايرة بين الرؤية والنظر بدليل أنه تعالى نفى النظر ولم ينف الرؤية.

والجـــواب عـــلى ذلـــك أن الأية لا تتحدث عن الرؤية وليس المراد بالنظر المشـــاهدة أو الـــرؤية وإنما المراد بقوله : " لا ينظر إليهم " عدم العطف عليهم بخير ، وعدم المن عليهم بفضل .

يقـــول ابن جريرالطبرى حول هذه الأية : ولا ينظر إليهم :لا يعطف عليهم بخير،مقتاً من الله لهم ، كقول القائل لآخر ، " إنظر إلىَّ نظر الله إليك " بمعنى تعطَّـــف علىَّ تعطف الله عليك بخير ورحمة كما يقال للرجل : "لا سمع الله لـــك دعاءك " يراد لا استجاب الله لك . والله لا نخفى عليه خافية . وكما قال الشاعر :

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول [٣]

أما قول الشاعر الذى زعموا أنه أثبت النظر المقرون بحرف إلى ولم يقصد به الرؤية وهو :

وجوه ناظرات يوم بدر إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

---

[١] شرح المواقف صـــ٢١٤

[٢] سورة آل عمران من الأية :٧٧

[٣] تفسير الطبرى حـــ٣/٤٦٣

فهذا الشعر محرّف عن موضعه والرواية الصحيحة هى :

وجوه ناظرات يوم بكر إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

المراد من هذا الرحمن مسيلمة الكذاب ، لأنهم كانوا يسمونه رحمن اليمامة فأصحابه كانوا ينظرون إليه ويتوقعون منه التخلص من الأعداء .[١]

---

[١] الفخر الرازى حـ٣١ / ٣٩

أدلة المعتزلة العقلية

لم يكتف المعتزلة بأدلة النقل على نفى الرؤية بل تمسكوا بأدلة عقلية زعموا أنها تصلح دليلا على نفى رؤية البارئ سبحانه وتعالى :

من هذه الادلة :

قولهم لابد لتحقيق الرؤية فى المشاهد من شروط ثمانية هى :

١- أن تكون حاسة الأبصار سليمة .

٢- كون الشئ جائز الرؤية .

٣- مقابلة المرئى للرائى ،

٤- عدم غاية الصغر لأن الصغير جداً لا يدركه البصر قطعاً.

٥- عدم غاية الطاقة بأن يكون كثيفاً أى ذا لون فى الجملة ولو كان ضعيفاً.

٦- ألا يكون فى غاية القرب .

٧- ألا يكون المرئى فى غاية البعد.

٨- ألا يكون بين الرائى والمرئى حجاب حائل يمنع من الرؤية[١]

هذا ، وللقاضى عبد الجبار سؤال يعجب من إثبات رؤية الله تعالى فيقول: كيـــف يراه أهل الجنة دون أهل النار ؟ إما أن يقرب منهم أو يقابلهم فيكون حالهم معه بخلاف أهل النار وهذا يوجب أنه جسم يجوز عليه القرب والبعد والحجاب [٢]

---

[١] شرح المواقف صـــ٢١٩ /٢٢٠

[٢] الفخر الرازى حـــ ٤٩٥/١٢

وكأن المعتزلة يريدون أن يقولوا أن رؤية الله سبحانه وتعالى لكى تتحقق يلزم أن يكون الله فى جهة من الجهات أو يكون مقابلاً للرائى مما يستلزم التجسيم والتشبيه وهذا مستحيل على الله ومن ثمَّ تكون رؤية الله مستحيلة .

ولكن يجاب على هذه الشروط التى وضعها المعتزلة بأنها قائمة على قياس الغائب على الشاهد وهذا لا يجوز ولا يصلح دليلاً لعدم تطابق المثلية بين الله سبحانه وتعالى وأى شئ أخر نراه .

قال تعالى: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "[١]

فــلا يصـــح أن نقيس علم الإنسان وقدرته بعلم الله جل جلاله وقدرته. فمن صفات الله تعالى العلم والقدرة ، وأيضا يوصف بهما الإنسان ولكن مع وجود فــرق بين علم الله وقدرته وعلم الإنسان وقدرته ، ولا يصح بحال أن نقيس صفات الإنسان على صفات الله تعالى ، وإذا ما قسنا شروط الرؤية بالنسبة لله تعــالى على شروط الرؤية بالنسبه للإنسان لزمنا أن نقيس شروط غيرها، وعــلى سبيل المثال " صفة العلم " كى يكون الإنسان عالماً فإنه يحتاج شيخاً يعلمه مع المزيد من القراءة والبحث والإجتهاد حتى يصير عالماً . فهل يجوز أن نشترط ذلك على الله تعالى حتى نثبت علمه كما اشترط المعتزلة على الله بعض ما ذكر حتى تتحقق وتثبت رؤيته فإن كان هذا لا يصح فكذلك لا تقاس رؤية الله فى الأخرة على رؤية الإنسان فى الدنيا

لأى شئ ما .

لأن رؤيـــة الله فى الأخـــرة لا تطـــبَّق عليها المعاير التى تطبق على الرؤية البصرية فى الدنيا ..

---

[١] سورة الشورى من الأية : ١١

فــلا يســتحيل على الله تعالى أن يعطينا فى الأخرة قدرة عظيمة بها نستطيع رؤيــته وذلــك دون أشتراط لمعايير إنسانية ، أو قوانين كونية ، وإنما نراه سبحانه غير محدود بجهة ولا مقابلة أو انطباع صورة المرئى فى العين أو غير ذلك من شروط الرؤية فى الحياة الدنيا .

يقول الفخر الرازى رحمه الله :

ســلمنا أن الأبصــار البته لا تدرك الله تعالى فلِمّ لا يجوز حصول إدراك لله تعــالى بحاســة سادســة مغايــرة لهذه الحواس كما كان ضرار بن عمرو يقــول بــه ؟ ...وهــب أن رؤية الأجسام والأعراض عند حصول سلامة الحاســة وحضور المرئى وحصول سائر الشرائط واجبة ، فلم قلتم إنه يلزم مــنه أن يكــون رؤية الله تعالى عند سلامة الحاسة وعند كون المرئى بحيث تصبح رؤيته واجبة ؟ ألم تعلموا أن ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ، ولا يلزم من ثبوت حكم فى شئ ثبوت مثل ذلك الحكم فيما يخالفه[١]

أمــا ســؤال القاضى عبد الجبار والذى يعجب من أن أهل الجنة يرون ربهم دون أهل النار وأن هذا يقتضى أن يقرب منهم أو يقابلهم .. ..

فيقــال له ما المانع أن يتجلى الله ويراه أهل الجنة ولا يراه أهل النار ؟ أليس فى قدرة الله ذلك ؟؟!

ثم إن الله جعل رؤية الشئ وعدمه فى آن واحد ومكان واحد فى الدنيا – كما رأى رسول الله "صلى الله عليه وسلم " جبريل ولم تره السيدة عائشة "رضى الله عنها" كما سبق – وكما جعل الله أم جميل – زوجة أبى لهب ترى أبا بكر ولــم تــر رســول الله "صلى الله عليه وسلم " رغم أنه كان بجوار أبى بكر

---

[١] الفخر الرازى حـــ١٢/٤٩٤/٤٩٦

الصـــديق فـــإذا كان هذا قد حدث فى الدنيا ألا يحدث فى الأخرة حيث تتبدل الأشياء ، وتتغير الأوضاع ويرى الناس من العجائب مالم يروا فى الدنيا ؟! فلا عجب إذاً أن يرى أهل الجنة ربهم ، وأهل النار لا يرونه لا لأجل القرب أو البعد كما زعم القاضى – بل لأنه يخلق الرؤية – كما يقول الفخر الرازى فى عيون أهل الجنة ، ولا يخلقها فى عيون أهل النار [١]

---

[١] الفخر الرازى حـــ١٢/٤٩٧

مذهب أهل السنه والجماعة

فى رؤية الله يوم القيامة

يـــرى أهل السنة والجماعة أن رؤية الله تعالى جائزة فى الدنيا وفى الأخرة ، ولكن لم تقع فى الدنيا إلا لسيدنا محمد" صلى الله عليه وسلم" .

يقول شيخ الإسلام البيجورى :

الرؤية جائزة عقلاً دنيا وأخرى لأن البارى سبحانه موجود وكل موجود يصح أن يرى، فالبارى عز وجل يصح أن يرى لكن لم تقع دنيا لغير نبينا " صلى الله عـــليه وسلم" وواجبة شرعاً فى الأخرة كما أطبق عليه أهل السنة بالكتاب والسنه والإجماع أما الكتاب فأيات كثيرة منها قوله تعالى :

"وُجُـــوهٌ يَوْمَـــئِذٍ نَّاضِـــرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"[١] وقوله سبحانه "لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ"[٢] فإن الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر لوجهه الكريم كمـــا قـــال جمهور المفسرين . وقوله جل جلاله : "عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ"[٣] وأمـــا الســـنة فأحـــاديث كثيرة كحديث :" أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر"[٤] والتعبير بالسين فى الحديث لأن القيامة قد قربت .. وأما الإجماع

---

(١) القيامة ٢٢ :٢٣

(٢) يونس من الأية : ٢٦

(٣) المطففين أية : ٢٣

(٤) الحديث رواه مسلم بألفاظ قريبة من هذا فى كتاب الإيمان باب إثبات رؤية الله فى الأخرة حـــ٣/١٧-١٨ ونصه " هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك .

فهـــو أن الصـــحابة "رضى الله عنهم" كانوا مجمعين على وقوع الرؤية فى الأخرة .[١]ويرى الإمام الشافعى "رحمه الله" فى قوله تعالى : " كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ [٢]. دليلاً قاطعاً على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة فيقول :

"فلما حجبهم فى السخط كان فى هذا دليل على أنهم يرونه فى الرضا" .[٣]

واستحســـن الإمـــام ابـــن كثير أستشهاد الإمام الشافعى فقال وهذا الذى قاله الشافعى "رحمه الله " غاية فى الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الأية .[٤]

وإذا كانت الاية بينت ان الكافر محجوب عن رؤية ربه عقاباً له فإن مفهوم المخالفة يقتضى أن يفوز المؤمن برؤية ربه جزاء له ، وإلا فما علة التبكيت للكافرين .. فالأية دليل قوى على رؤية الله يوم القيامة ومن علمائنا من يرى أن حمل الأية على غير الرؤية لا يصح .

قـــال القرطبى : قال الزجاج : فى هذه الأية دليل على أن الله عز وجل يرى فى القيامة ولولا ذلك ما كان فى هذه الأية فائدة ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجـــبون ... فأعـــلم الله جـــل ثناؤه أن المؤمنين ينظرون إليه ، وأعلم أن الكافرين محجوبون عنه ، وقال مالك بن أنس فى هذه

---

[١] شرح البيجورى على الجوهرة صـــ ١٣٣-١٣٤ المطبعة العربية الحديثة.

[٢] سورة المطففين أية :١٥

[٣] أحكام القرآن للشافعى حـــ١/٤٠ ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان سنة ١٤٠٠-١٩٨٠

[٤] تفسير القرآن العظيم حـــ٨/ ١٩٩ .

الأية : لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأولياءه حتى رأوه .[١]

ويقول الإسفراييني :

" ... وأن تعلم أن القديم سبحانه يُرى وتجوز رؤيته بالأبصار ، لأنه ما لا تصلح رؤيته لم يتقرر وجوده كالمعدوم وكل ما صاح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات ودلائل هذه المسأله فى كتاب الله كثيرة .

منها قوله تعالى : " تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ "[٢]

واللقاء إذا أطلق فى اللغة وقع على الرؤية وخصوصاً حيث لا يجوز فيه التلاقى بالذوات والتماس بينهما .

ومنها قوله تعالى :

" لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " .[٣]

ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤية الرب جل جلاله .[٤]

وإذا كان صاحب شرح الجوهرة ذكر إجماع الصحابة "رضى الله عنهم " على ثبوت رؤية الله تعالى ، فإن ابن القيم ذكر فى كتابه حادى الأرواح إجماع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - فقال : اتفق عليها-أى على ثبوت الرؤية - الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على

---

[١] الجامع لأحكام القرآن حـ١٩/٢٦١ .

[٢] سورة الأحزاب من الأية ٤٤

[٣] سورة يونس اية : ٤٦

[٤] انظر التبصير فى الدين لأبى المظفر الإسفراييني صـ٩٤ ط الأنوار الطبعة الأولى

تـــتابع القـــرون .وأنكـــرها أهـــل الـــبدع المـــارقون ، والجهميـــة المـــتهوكون ،[١]والفرعونية المعطلون ، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منســـلخون ، والرافضـــة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ومن حبل الله متقطعون ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون ، وعن بابه مطرودون ، أولئك أحزاب الضلالة وشيعة اللعين .[٢]

ولما كان أهل الباطل والهوى لا يحتجون بأية أو حديث صحيح على مذهبهم إلا وفى ذلـــك مـــا يدل على نقيض قولهم فإن الأدلة التى تمسك بها المعتزلة عـــلى نـــفى الرؤية هى أدلة على ثبوتها أقرب وأصوب ، وأوضح وأبين .. ومن ذلك إحتجاجهم بقوله تعالى :

" لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار "[٣] وقوله سبحانه :

" قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى "[٤]

ففى أية الأنعام المذكورة أنفا يزعم المعتزلة بأن فيها مدحاً لله بأنه لا يُرى .

ويرد صاحب المواقف فيقول :

هـــذا مدعـــاكم فأين الدليل ؟! بل لنا فيه الحجة على صحة الرؤية ، لأنه لو أمتـــنعت رؤيته ما صح المدح ، إذ لا مدح للمعدوم بأنه لا يرى حيث لم يكن له ذلك ، وإنما المدح فيه للممتنع

---

(٢) المتحيرون الحمقى .

(٣) حادى الأرواح صـــ٢٢٨ - ٢٢٩

(٣) الأنعام من الأية : ١٠٣

(٤) الأعراف من الأية ٤٣

المتعزز بحجاب الكبرياء .[١]

ورحم الله ابن القيم حيث قال فى قوله تعالى " لا تدركه الأبصار " هى على جواز الرؤية أدل منها على إمتناعها فإن الله سبحانه وتعالى إنما ذكرها فى سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه بنفى السِنَة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفى اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ونفى الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وأُلهيته وقهره ، ونفى الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ، ونفى الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ، ونفى النسيان وعزوب شئ عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفى المثل المتضمن كمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً فإن المعدوم يشارك الموصوف فى ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فلو كان المراد بقوله " لا تدركه الأبصار " إنه لا يُرى بحال لم يكن فى ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له فى ذلك لأن العدم الصرف لا يُرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يُمدح بما يشاركه فيه العدم المحض . فإذاً المعنى أنه يُرى ولا يُدرك ولا يحاط به كما كان المعنى فى قوله :

---

[١] المواقف للقاضى عبد الرحمن الإيجى صـ٣٠٩ مكتبة المتنبى بالقاهرة

" وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة " [١] إنه يعلم كل شئ . وفى قوله : " ولا يظلم ربك أحداً " [٢]

إنه كامل العدل وفى قوله : " ولا تأخذه سنة ولا نوم " [٣]أنه كامل القيومية .

فقو له : " لا تدركه الأبصار " يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شئ وأنـــه لعظمـــته لا يُـــدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشئ ، والـــرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب سبحانه وتعالى يُرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به وهذا الذى فهمه الصحابة والأئمة من الأية : إن الله أعظم من أن تدركه الأبصار [٤]

وقوله تعالى : " قال لا ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تـــرانى "[٥]هى دليل قاطع وبرهان ساطع وحجة دامغة على أن الله جائز أن يرى وإن كان المعتزلة اتخذوها دليلا على استحالة رؤية الله تعالى.

يقول صاحب المواقف :

---

[١] سورة يونس من الأية ٦١

[٢] سورة الكهف من الأية ٤٩

[٣] سورة البقرة من الأية ٢٥٥

[٤] حادى الأرواح صـــ٢٣٤ : ٢٣٥

[٥] سورة الأعراف من الأية ١٤٣

فليس واجباً علينا معرفة كيفية رؤية الله تعالى يوم القيامة ، وإنما واجب علينا الإيمان بوقوع رؤيته للمؤمنين تفضلاً وتكرماً منه سبحانه وتعالى ..

يقول ابن حجر "رحمه الله "

وتجـــوز الـــرؤية فى الأخرة لأن أبصار المؤمنين فيها باقية فلا استحالة أن يُـــرى الـــباقى بالباقى ، بخلاف حالة الدنيا فإن أبصارهم فيها فانية فلا يُرى الـــباقى بالفـــانى ، وتواترت الأخبار النبوية بوقوع هذه الرؤية للمؤمنين فى الأخرة ، وبإكرامهم بها فى الجنة ، ولا إستحالة فيها فوجب الإيمان بها وبالله التوفيق [١]

---

[١] فتح البارى فى شرح صحيح البخارى للإمام ابن حجر العسقلانى حـــ١٥٣/٨ ط الريان

رأيتا فى الموضوع

والـــذى نراه صواباً فى هذا الموضوع وندين الله تعالى عليه هو ما ذهب إليه أهـــل السنة والجماعة وهو أن رؤية الله تعالى فى الأخرة جائزة وواقعة وأن المؤمـــنين ســـوف يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر .. وأن ذلك ثابت بالكتاب والسنة وأن رؤيته جل جلاله بغير كيفية أو تحديد مكان أما فى الدنيا فإن أحداً لا يتسنى له رؤية الله جل جلاله ولم تثبت لأحد فى الدنيا إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم "

يقول صاحب الجوهرة :

ومنه أن ينظر بالأبصار ... لكن بلا كيف ولا انحصار

للمؤمنين إذ بجائز علقت ... هذا وللمختار دنيا ثبتت [١]

وأنها أشرف أنواع النعيم فى الجنة وأعلى درجات الدرجات فيها وأجلها قدراً وأعظمهـــا شأناً بها تقر عيون الخلص من المؤمنين الموحدين ، وجديرة أن يتنافس فيها المتنافسون ،ويتسابق إليها المتسابقون ، ومن أجلها يجب أن يعمل العامـــلون حـــتى يـــنالوها من رب العالمين القائل فى كتابه الكريم : " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ " [٢]

وإذا كـــان الناس فى دنيا الناس يسعدون برؤية من يرون ، ويشرفون بشرف مـــن يـــلقون ، فـــإن رؤية الله والنظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة لها من الشرف والتيه ما يجعل صاحبه ينسى كل شئ ولو كان فى نعيم الجنة – يقول ابن القيم رحمه الله عن شرف الرؤية وعظمة مكانتها :

---

[١] تحفة المريد على جوهرة التوحيد صـــ١٣٤ - ١٣٨

[٢] سورة يونس من الأية ٢٦

" إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم " [١]

وهـذا الشـرف يحـظى به كل المؤمنين فقد روى أبو داود عن ابى رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه ؟ قال ابن معاذ :

" مُخلّيا به يوم القيامة ؟ قال نعم ياأبا رزين . قالوما أية ذلك فى خلقه ؟ قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر . قال ابن معاذ : ليلة البدر مخليا به قلنا بلى . قال : فالله أعظم " قال ابن معاذ : فإنما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم .[٢]

مـن هـذا الحديـث نستنبط أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة فى الجنة ، ومعلوم أن الجنة درجات فإن أكرم أهل الجنة الذين يحظون برؤية الله صباحاً ومساء فقد روى الترمذى عن ابن عمر" رضى الله عنهما" قال : قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " " إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جِنَانه[٣] وازواجـه ونعيمـه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية " ثم قرأ رسول " صلى الله عليه وسلم "

" وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " [٤]

---

[١] حادى الأرواح صـ٢٢٨

[٢] سنن أبى داود حـ٤/٣٣٤ باب الرؤية حديث رقم ٤٧٣١ ط دار الفكر

[٣] جمع "جنة" أى بساتينه انظر تحفة الأحوذى حـ٧/٣٠٨

[٤] رواه الترمذى حـ٧/٣٠٨-٣٠٩ ك صفة الجنة ب ما جاء فى رؤية الرب وقال ابو عيسى : قد روى هذا الحديث من غير وجه عن اسرائيل ، عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً

هذا ، وقد ذكر العلماء أصناف الخلق فى رؤية الله سبحانه وتعالى ، فمـــنهم من يحظى بها كل يوم ، ومنهم من يحظى بها كل جمعة، ومنهم من يحظى بها دون إنقطاع . يقول شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى "رحمه الله " . ومحل الرؤية الجنة بلا خلاف فيراه أهلها فى مثل يوم الجمعة والعيد ، ويراه خواصهم كل يوم بكرة وعشية ، وبعضهم لا يزال مستمراً فى الشهود[١] .

ولكـــن البيجورى لم يأت بما يثبت ذلك لذا لا نستطيع الجزم بما قاله ، هذا بالنسبة لرؤية الله تعالى فى الأخرة .

أما فى الدنيا فلا خلاف على أنها لم تقع لأحد من الناس غير النبى "صلى الله عليه وسلم" إلا الأشعرى فإن له قولين فى وقوعها للأولياء أرجحهما المنع . (فـــالحق إنها لم تثبت فى الدنيا إلا للنبى "صلى الله عليه وسلم" ومن إدعاها غيره فى الدنيا يقظه فهو ضال بإطباق المشايخ حتى ذهب بعضهم إلى تكفيره .. .. فـــإن صـــح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك أمكن تأويله وذلك أن غلبات الأحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى إذا كثر اشتغال السر بشئ صار كأنه حاضر بين يديه كما هو معلوم بالوجدان لكل أحد).[٢]

هـــذا ، والـــذى يجعلنا نعتقد مذهب اهل السنة والجماعة فى رؤية الله تعالى ونـــراه صـــواباً تطمئن إليه النفس ، ويستريح إليه القلب أن أدلتهم صحيحة مـــنقولة مـــن القـــرآن الكـــريم والسنة الصحيحة وما أجمع عليه الصحابة " رضـــوان الله عـــليهم " – وأن ما أبدوه من أدلة عقلية لها وجاهتها ولا يمكن للعقلاء إنكارها .

---

(١) انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجورى صـــ١٣٦

(٢) المرجع السابق صـــ١٣٨

المبحث الثانى : الصفات ليست شيئاً غير الذات

الصفات ليست شيئاً غير الذات

يتعلق بالتوحيد لدى المعتزلة رأيهم فى الصفات حيث كان لهم موقف يخالف مـــا عليه أهل السنة والجماعة فإنهم يقولون أن الصفات ليست شيئاً زائداً عن الـــذات والـــذى دفعهم إلى هذا القول اعتقادهم بأن وجود صفات غير الذات يؤدى إلى التعدد فى ذات الله ، ويعتقدون أن هذا من الشرك..

والبحث فى هذه الأمور لم يكن محبذاً عند سلفنا الصالح - رضى الله عنهم - فقد كان اهتمامهم قائما على الإيمان بأن الله موجود ، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العليا ، والكمال المطلق ، دون ماخوض فى هذه الصفات من حيث إنها عين الذات أو زائدة عن الذات.

يقول الشهرستانى :

إن جماعـــة كـــثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقـــدرة ، والحيـــاة والإرادة ، والســـمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام ، والعزة والعظمة ، ولا يفرقون بين صفات الذات ، وصفات الفعـــل بـــل يسوقون الكلام سوقاً واحداً ، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين، والوجه ، ولا يؤولون ذلك إلا انهم يقولون :

هذه الصفات قد وردت فى الشرع فنسميها صفات خبرية [١]

وكـــان القرآن الكريم الورد الموروود عندهم يلجأ إليه وإلى السنة كل من يريد معرفة صفات الله تعالى ، وما يجب الإيمان به من عقائد ، لا يصدرون عن غيـــره ، ولا يطمئنون لسواه ، كانوا يفهمون العقائد من أيات الكتاب ، وهى

---

[١] الملل والنحل للشهر ستانى حـــ١/٩٢ ط الحلبى

بيـــنات ، وما اشتبه عليهم حاولوا فهمه بأساليب اللغة وهم بها خبراء ، وإن تعـــذر عـــليهم توقفوا وفوضوا الأمور لله غير مبتغين فتنة ، ولا راغبين فى زبيغ[١]

ويـــرى فضيلة الشيخ سيد سايق ــ رحمه الله ــ أن البحث فى صفات الذات تكلف لا يعود على المسلمين بخير ، وأن من الخير الكف عنه .. فيقول :

ونحـــن نـــرى مَـــنْ رأى من العلماء وأئمة الدين ، أن هذا من الدخيل على الإســـلام ، ومـــن البدع الطارئة على العقيدة ومن المنكرات التى يجب على المسلمين أن يتنزهوا عنها ، فإن ذات الله أجل من أن تتناول على هذا النحو ، وهذا نوع من التفكير مما نهينا عنه ، ولم يكلفنا الله به ، لأنه خارج عن نطاق العقل المحدود ــ وذات الله فوق الإدراك . " لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ "[٢]

إن كـــل مـــا كُلِفـــنا بـــه أن نعلم أن الله موجود ، وأن له الأسماء الحسنى والصـــفات العليا والكمال المطلق ، وما وراء ذلك يجب الإمساك عنه ، ولا يحل البحث فيه فالعلم به لا ينفع والجهل به لا يضر . [٣]

ومـــما تجـــدر الإشارة إليه أن الصحابة الكرام ــ رضوان الله عليهم ــ لم يسألوا رسول الله "صلى الله عليه وسلم " ــ عن شئ بما وصف به الله نفسه ولكـــن كـــانوا يسألون عن الصلاة والزكاة والصيام والحج والمحيض ،.. .. وغيرذلك مما لله فيه أمر ونهى ، وكانوا يسألوا عن أحوال يوم القيامة وما به

---

[١] تاريخ المذاهب الإسلامية صـــ١٢٦

[٢] سورة الأنعام اية ١٠٣

[٣] العقائد الإسلامية للشيخ السيد سايق صـــ٧٢ ط الفتح للإعلام العربى .

من جنة ونار ــ أما عن الصفات الإلهية فلم يرد شئ عن ذلك فيما نعلم ولو سألوا لنقل عنهم ذلك كما نقلت الإحاديث الواردة عنه "صلى الله عليه وسلم" فيما يتعلق بأمور الدين التى كُلّف بها كل المسلمين ــ يقول المقريزى- "رحمه الله " ومن أمعن النظر فى دواوين الحديث النبوى ، ووقف على الأثار السلفية ، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم ، عن أحد من الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم ــ أنه سأل رسول الله " صلى الله عليه وسلم " عن معنى شئ مما وصف الرب ــ سبحانه نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد

" صلى الله عليه وسلم " بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ، ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفةُ ذاتٍ أو صفة فعل ، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة ، والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة والعظمة ، وساقوا الكلام سوقاً واحداً وهكذا أثبتوا ــ رضى الله عنهم ــ ما أطلقه الله ــ سبحانه ــ على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك ، مع نفى مماثلة المخلوقين ، فأثبتوا ــ رضى الله عنهم ــ بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل لم يتعرض ــ مع ذلك ــ أحد منهم إلى تأويل شئ من هذا ، ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى إثبات نبوة محمد "صلى الله عليه وسلم" سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ، ولا سائل الفلسفة .[١]

---

[١] المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والأثار المعروف بالخطط المقريزية لابى العباس المقريزى حـ٢/٣٥٦ ط المكتبة الثقافية الدينية الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧م .

ومـــن المســـلم به أن معرفة حقيقة الذات الإلهية أمراً ليس فى مقدور العقل الإنســـانى أن يصل إليه ــ لآن لهذا العقل حداً ينتهى إليه كما أن للبصر حداً ينتهى إليه ، وليس ذلك عيباً فى العقل وتقصيراً منه وإنما هى طبيعته البشرية الـــتى مـــنحها الله لـــه ، ومن ثمّ نهانا رسول الله " صلى الله عليه وسلم "عن محاولة التفكير فى الذات الإلهية [١] لما يعرفه عن عبث تلك المحاولة ، وليس معنى ذلك أننا نجهل إلٰهنا أو أننا نعبد ما لا نعرفه فإن الله معروف عند عباده بصفاته وأفعاله وإن احتجبَ عنهم بذاته وحقيقته ، فهو فى احتجابه بارز كما أنه فى بروزه محتجب .[٢]

قـــال تعالى " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [٣] فالله تعالى له صفات وصف نفسه بها ، وأسماء سمى نفسه بها ، وأسلم السبل الإيمان بهذه الأسماء وتـــلك الصفات بدون تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .. وأحسن ما يقال فى ذلك مـــا قاله الإمام الشافعى "رحمه الله " : (أمنت بكلام الله على مراد الله وكلام رسول الله على مراد رسول الله) .[٤]وقال أبو حنيفةـــ رحمه الله ــ لا ينبغى لأحد ان ينطق فى ذات الله بشئ بل يصفه بما وصف به نفسه[٥]

---

[١] ثبت أن النبى "صلى الله عليه وسلم" قال : " يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربَّك فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته " صحيح مسلم حـــ٢/١٥٤ ك الإيمان ب بيان الوسوسة فى الإيمان .

[٢] من قضايا علم الكلام د/ عبد الفتاح أحمد الفاوى صـــ٨ ط مؤسسة الرسالة .

[٣] سورة الشورى من الأية ١١

[٤] العقائد الإسلامية فضيلة الشيخ / السيد سايق صـــ٥٩

[٥] شرح العقيدة الطحاوية صـــ٢٩١

وهـذا يـدل عـلى أن سلفناً الصالح - رضى الله عنهم ـ لم يكونوا كثيرى الإهـتمام بكيفية الصفات والأسماء التى تتعلق بذات الله سبحانه وتعالى وإنما كانوا يؤمنون : " أن الله وصف نفسه بصفات ، وسمى نفسه بأسماء ، واخبر عن نفسه بأفعال ، وأخبر أنه يحب ويكره ويمقت ويرضى ويغضب ويسخط ، ويجئ ويأتى وينزل إلى سماء الدنيا وأنه استوى على عرشه ، وأن له علماً وحيـاة وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً ووجهاً ، وأن له يدين ، وأنه فوق عباده وأن الملائكـه تعـرج إليـه وتـنزل بالأمر من عنده ، وأنه قريب وانه مع المحسـنين والصابرين والمتقين ، وان السمـوات مطويات بيمينه ووصفه رسوله ـ صلى الله وعليه وسلم ـ بأنه يفرح ويضحك ، وأن قلوب العباد بيـن أصـابعه وغيـر ذلك .[١] وكل ما ذكره ابن القيم ـ رحمه الله ـ من صفات فإنها جاءت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة فقد جاء فى القرآن ما يثبت ان الله سبحانه وتعالى يحب ويكره ، ويرضى ويغضب .

قـال تعالى : "يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ " [٢]

وقال سبحانه " كَرِهَ اللَّهُ انبِعاثَهُمْ " . [٣]

وقال جل جلاله : "رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ " [٤]

---

[١] انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم تحقيق سيد إبراهيم صـ٣٠ ط دار الحديث

[٢] سورة المائدة من الأية ٥٤

[٣] سورة التوبة من الأية ٤٦

[٤] سورة البينه من الأية ٨

وقـــال جل شأنه : " وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَـلَيْهِ " [١] وغير ذلك من الأيات التى تثبت الصفات لله تعالى .. وكذالك جاءت الأحاديث عن رسول الله "صلى الله وعليه وسلم " تذكر صفات الله جل جلاله . فعن أبى هريرة "رضى الله عنه" ــ قال :

قـــال رســـول الله "صـــلى الله وعليه وسلم" " لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها " [٢]

وثـــبت عنه "صلى الله وعليه وسلم" أنه أخبر أن الناس يأتون أدم يوم القيامة " فيقولـــون يـــا أدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكه فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول أدم ان ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله .. الحديث [٣]

وفى الصحيح " أكثر ما كان النبى "صلى الله عليه وسلم "

يحلف لا ومقلب القلوب [٤] . وثبت عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله "صلى الله عليه وسلم" يقول أن قلوب بنى أدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء [٥] .

---

[١] سورة النساء من الأية ٩٣

[٢] رواه مسلم كتاب التوبة حـــ١٧ / ٦٠

[٣] رواه مسلم جـــ٣ /٦٧ كتب الايمان باب الشفاعة

[٤] البخارى حـــ ٣٨٨/١٣ كتاب التوحيد باب مقلب القلوب حديث رقم ٧٣٩١

[٥] مسلم حـــ١٦/ ٢٠٣ :٢٠٤ كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشأء

ومـــن دعائه " صلى الله عليه وسلم " : اللهم مصرِّف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك " .[١]

فالأيـــات ، وكذالـــك الأحـــاديث واضـــحة ومبينة أن لله تعالى صفات ولكن المعـــتزلة خـــالفوا ذلـــك المنهج ، ولعل كثرة العلوم واتساع الفلسفة جعلهم يحكِّمـــون العقـــل فى كل شئ وجعلوه أساس بحثهم فنفوا بعض الصفات أو عطلوها ومن ثمَّ لقبوا بالمعطلِّة .. يقول الدكتور – الذهبى رحمه الله

وأما تلقيبهم بالمعطلة فلأنهم يقولون بنفى صفات المعانى . فيقولون الله عالم بذاتـــه ، قـــادر بذاتـــه ، حى بذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة ، لأنه لو شاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص الوصف لشاركته فى الإلوهية .[٢]

والجدير بالذكر أن المعتزلة قالوا ــ مثل كل المسلمين ــ بإله واحد .

ولكـــنهم فلسفوا الوحدانية فقالوا : حقيقته أحدية فردية لا كثرة فيها بوجه من الوجـــه ، فليســـت لـــه كـــثرة مقدارية كالتى للأجسام ولا كثرة معنوية كما لأشخاصـــنا المركبه من ما هية وتشخص إنما هو واحد تام الأحدية ، ليس ذا أجزاء مقدارية ، ولا أجزاء معنوية .

فلما فسروا التوحيد بهذا المعنى الدقيق ثارت أمامهم مشكلة أو أثاروها هم ، وهى مســـألة " صـــفات الله " هـــل هى عيـــن ذاتـــه ، أو غير ذاته ..... ذلـــك لأن القرآن صرح بأوصاف الله فى مواضع متفرقة ، وهذه الأوصاف

---

[١] المرجع السابق

[٢] التفسير والمفسرون حـــ١/٣٤٩ وانظر الملل والنحل للشهر ستانى حـــ١/٤٤ــ ٤٥

تنحصر فى سبع : العلم ، والحياة ، والقدرة ، والإرادة والسمع ، والبصر ، والكلام .

فتساءل المعتزلة بعد تقريرهم التوحيد "على مذهبهم " هل هذه الصفات هى الذات نفسها أم هى زائدة عن الذات ؟ .. فهناك صفات سلبية لفظاً ومعنى لا تثبت شيئاً إيجابياً مثل " ليس كمثله شئ" [١] وهناك صفات إيجابية لفظاً سلبية معنى ، وهى كذلك لا تثبت شيئاً إيجابياً كالوحدانية والقدم ، فمعنى الوحدانية عدم الشرك ، ومعنى القدم إنعدام الأوّلية ، وليست هذه محل نظر المعتزلة ، وهناك صفات إيجابية كالأرادة والقدرة والعلم فهل هى تثبت شيئاً زائداً عن الذات ؟ وهل الله عالم بعلم زائد عن الذات ، وقادر بقدرة زائدة عن الذات ، وحى بحياة زائدة عن الذات ؟ فلما فسر المعتزلة التوحيد بما فسروه كانوا مضطرين أن يقولوا إن ذات الله وصفاته شئ واحد ، لأنه لو كان الله عالماً بعلم زائد على ذاته وحياً بحياة زائدة على ذاته ــ كما هو الحال فى الإنسان لَـلَزِم أن يكون هناك صفة وموصوف ، وحامل ومحمول ، وهذه هى حالة الأجسام والله منزه على الجسمية ، ولو قلنا إن كل صفة قائمة بنفسها لتعددت القدماء ، وبعبارة أخرى لتعددت الإلهة .[٢]

والذى حمل المعتزلة على القول بذلك أن النصارى واجهوهم بالأقانيم الثلاثة التى يفتتحون بها قائلين : " باسم الأب ، والإبن ، والروح القدس إله واحد أمين " . وأنتم أيها المسلمون تقولون بسبعة ألهة ، إذ تقولون بقدم الذات

---

[١] سورة الشورى من الأية ١١

[٢] ضحى الإسلام لأحمد أمين حـ٣/ ٢٨ ــ ٢٩ ط مكتبة النهضة المصرية الطبعة التاسعة .

ومعها سبع صفات قديمة ، ففكر المعتزلة لمواجهة النصارى وإبطال حجتهم بـــالعقل فى حجة يردون بها عليهم ، فأنكروا وجود صفات خارجة (زائدة) عن الذات فقالوا : الله جل جلاله عالم بذاته ، بصير بذاته .. .. الخ .

لا بصـــفة تســـمى صـــفة العـــلم ، أو البصر .. .. الخ . ـــ فكأنهم ـــ لذلك اضطروا إلى القول بما قالوا عقلاً . حرصاً على إبطال حجج النصارى والرد عـــليهم ، نصـــراً للإســـلام وعـــدم إظهاره بالضعف فى حججه ومسلماته ، ومقرراته ، واسسه أمام إعدائه .. .. [١]

ولكن ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ يرى أن الضلال هو الذى قادهم إلى التعطيل فيقول :

إن الأصل الذى قادهم إلى التعطيل ، أصل واحد وهو منشأ ضلال بنى أدم ، وهـــو الفرار من تعدد صفات الواحد وتكثر أسمائه الدالة على صفاته وقيام الأمور المتجددة به ، وهذا لا محذور فيه ، بل هو الحق لايثبت كونه سبحانه ربـــاً و إلهـــاً وخالقاً إلا به ، ونفيه جحد للصانع بالكلية ، وهذا القدر اللازم لجميـــع طوائف أهل الأرض على اختلاف مللهم وعلومهم ، حتى لمن أنكر الصـــانع بالكلية ، فإنه مضطر إلى الإقرار بذلك وإن قام عنده ألف شبهة أو أكـــثر على خلافه ، وأما من أقر بالصانع فهو مضطر إلى أن يقر بكونه حياً عالمـــاً قـــادراً مريداً حكيماً فعالا ، ومع إقراره بذلك فقد اضطر إلى القول بتعدد صفات الواحد ، وتكثر أسمائه وأفعاله ، فلو تكثرت لم يلزم من تكثرها وتعددها محذور بوجه من الوجوه .[٢]

---

[١] المعتزلة لإستاذنا الدكتور وردانى عبد الراضى عبد الله صـــ١٥٧ ط الأمانة

[٢] الصواعق المرسلة حـــ١/١٩١ ط دار الحديث

وليس هناك من شك أن المعتزلة ــ وإن كانوا قد هربوا من القول بتعدد القدماء إلى القول بتعطيل الصفات ، او تأويلها إلى ما أولوها به ، إلا انهم وقعوا فى خطأ جسيم ، وهو تعريض الذات إلى القول بعدم وجودها وإنكارها بالكلية .. وقد قرر هذا المعنى العلامة ابن القيم ــ رحمه الله ــ فى رده على المعتزلة المعطلة معنونا كلامه بقوله " اصول المعارضين بالشرع والعقل تنفى وجود الصانع لا صفاته فحسب ، فقال :

إن اصولهم التى عارضوا بها الوحى تنفى وجود الصانع فضلاً عن كونه واجب الوجود ، لأن الصفات التى وصفوه بها صفات معدوم ممتنعة فى العقل والخارج ، فالعقل لا يتصوره إلا على سبيل الفرض الممتنع كما تفرض المستحيلات ولا يمكن فى الخارج وجوده فإن ذاتاً هى وجود مطلق لا ماهية لها سوى الوجود المطلق المجرد عن كل ما هية ولا صفة لها البته، ولا فيها معنيان متغايران فى المفهوم ولا هى هذا العالم ، ولا صفة من صفاته ولا داخلة فيه ولا خارجة عنه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه ، ولامحاذية له ، ولا فوقه ولا تحته ، ولا عن يمينه ولا عن يساره ، ولا تُرى ولا يمكن ان ترى ولا تدرك شيئاً ، ولا تدرك هى بشى من الحواس ولا متحركة ، ولا ساكنة ولا توصف بغير السلوب والإضفات العدمية ، ولا تتعت بشئ من الأمور الثبوتية ، هى بامتناع الوجود أحق منها بإمكان الوجود فضلا عن وجوبه ، وتكليف العقل الإعتراف بوجود هذه الذات ووجوبها كتكليفه الجمع بين النقيضين ومعلوم أن مثل هذه الذات لا تصلح لفعل ، ولا ربوبية ولا إلهية ، فإى ذات فرضت فى الوجود فهى أكمل منها فالذى جعلوه واجب الوجود هو أعظم إستحالة من كل ما يقدر مستحيلاً ، فلا يكثر بعد هذا عليهم إنكارهم لصفاته : كعلمه وقدرته ، وحياته ، وسمعه ، وبصره ولا إنكارهم لكلامه وتكليمه ، فضلاً عن استوائه على عرشه ونزوله إلى سماء

الدنيـــا ،ومجيـــئه، وإتيانه ، وفرحه ، وحبه ، وغضبه ، ورضاه .. فمن هدم قواعد البيت من أصلها ، كان عليه هدم السقف والجدران أهون .[١]

وكان الأولى بالمعتزلة ان يردوا على أبا طيل ومزاعم النصارى بما هو حق وصواب حتى يمحقوا باطلهم قال تعالى :

" بَـلْ نَقْـذِفُ بِـالْحَقِّ عَـلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ "[٢]

وقال سبحانه : " وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً " [٣]

هذا وإن كان ما ذهب إليه النصارى من أقانيم وتثليث باطلاً فإن إنكار صفات المعـــانى عـــند المعتزلة أو تعطيلها فاسد مردود . وقد قام علماء أهل السنة والجماعة ببيان فساد الرأى الإعتزالى فيقول شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى فى شرحه لقول إبراهيم اللقانى " صاحب الجوهرة :

" وعلمه ولا يقال مكتسب فاتبع سبيل الحق واطرح الريب .

يقول البيجورى ــ رحمه الله ــ :

لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يطلق على علمه أنه مكتسب لأنه يلزم منه قيام الحوادث بذاته تعالى ، ويلزم منه أيضاً سبق الجهل فى حقه تعالى وهو محال ، ومما ورد مما يوهم اكتساب علمه تعالى كقوله جل من قائل " ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى "[٤] مؤول على أن المراد ــ والله أعلم ــ ليظهر لهم

---

[١] الصواعق المرسلة صـــ١٤٧ تحقيق سيد إبراهيم ط دار الحديث

[٢] سورة الأنبياء ١٨

[٣] سورة الإسراء ٨١

[٤] سورة الكهف من الأية ١٢

متعـــلق علمنا ، ولا يقال إنه من باب تنزيل المتكلم منزلة من لم يعلم .. فإن قيـــل ظاهر الأية التعليل مع أن أفعال الله لا تعلل . أجيب بجعل لامه للعاقبة والفائدة .

وكما لا يقال علمه مكتسب لا يقال علمه ضرورى ولا نظرى ولا بديهى أما الضـــرورى فهـــو وإن كان يطلق على مالا يتوقف على نظر واستدلال وهو صـــحيح فى حقـــه تعالى لكن يطلق أيضاً على ماقارنته الضرورة فيمتنع أن يقـــال : عـــلمه ضرورى خوفاً من توهم هذا المعنى ، واما النظرى فهو ما توقف على النظر والإستدلال فهو مرادف للكسبى فيمتنع أن يقال علمه نظرى لاســـتلزامه الحـــدوث ، وأما البديهى فهو وإن كان يطلق على ما لا يتوقف عـــلى نظر واستدلال فيكون مرادفاً للضرورى ولكن يطلق أيضا على العلم الحاصـــل للـــنفس بغته يقال : بدء النفس الأمر إذا أتاها بغتة فيمتنع أن يقال علمه بديهى لإ يهامه هذا المعنى .

وقوله : " فاتبع سبيل الحق " أى إذا علمت وجوب القدرة والإرادة والعلم له تعـــالى فاتـــبع طريقاً هو الحق ، ويصح ان يقال فاتبع سبيل أهل الحق أى طريقهم والمراد به معتقد أهل السنة من وجوب صفات المعانى له تعالى .

والقصـــد هـــنا الـــرد على المعتزلة النافين لصفات المعانى . لئلا يلزم تعدد القدماء فى نظرهم وهذه شبهة فاسدة لأنه لا يضر إلا ذوات القدماء ولا تعدد الصـــفات مع اتخاذ الذات ، وقولهم قادر بذاته مريد بذاته وهو هذيان إذ لا يعقل قادر بلا قدرة ومريد بلا إرادة .. وهكذا .[١]

---

[١] شرح البيجورى على الجوهرة صـــ٨٢ ــ ٨٤ بتصرف ط المطبعة العربية الحديثة سنة ١٣٩٨هـــ ــ ١٩٧٨م

والـــذى أدى بالمعـــتزلة إلى هـــذا الهذيـــان ، وذلك الشطط تلك الطريقة التى اتخذوهـــا فى معرفة العقائد وهى طريقة عقلية خالصة ، وإن كانوا يحاولون إلا يخالفوا نصاً قرآنياً ، وإن بدا خلاف فى ظاهر النصوص بين رأى يقرونه ونص يقرؤنه ، أولوا النص بما لا يخرج عن معناه ولا يخالف رأيهم . وهذه الطريقة أساسها الثقة بالعقل ، وللعقل نزوات وعرة ومن ثمَّ لم يكن غريباً أن يقعـــوا فى كثير من الهنات دفعتهم إليها نزعتهم العقلية الخالصة .. وكان من الطبعى أن يندد كثير من علماء أهل السنة والجماعة بمذهبهم هذا .. .. فهذا ابن القيم يخاطبهم قائلاً :

فهذه ثمرة عقولكم ، وحاصل معقولكم .. .. ثم أنشد ــ رحمه الله ــ قائلاً :

" فعلى عقولكم العفـــــاء فإنـــكم عاديتم المعقـــول والمنقـــولاْ
وطلبتم أمـــراً محـــالاً وهو إد راك الهدى لا تتبعون رســولاً
وزعمتم أن العقـــول كفـــيلة بالحـــق أين العـــقل كان كفيلاً
وهو الذى يقضى فينقض حكمـــه عقـــل ، ترون كليهما معلـــولاً
وتراه يحزم بالقضـــــاء وبعد ذا يلقى لديه باطـــلاً معـــقـــولاً
لا يستقل العـــقل دون هـــدايـــة بالوحى تأصيـــلا ولا تفصـــيلا
كالطرف دون النور ليس بمدرك حتى تراه بكـــرة وأصـــيلا
فإذا الظلام تلاطمت أمواجـــه وطمعت بالأبصار كنت محـــيلا
وإذا النبـــوة لم ينلك ضيـــاؤها فالعقل لا يهديك قـــط ســـبيلا
نور النبوة مثل نور الشمس للـــ عين البصيرة فاتخذه دليـــــلا
طرق الهدى مســـدودة إلا علـــى من أم هذا الوحى والتنزيـــــلا
فإذا عادلت عن الطريق تعمـــداً فاعلم بأنك ما اردت وصـــولاً
ياطالباً درك الهدى بالعقـــل دو ن النقل ، لن تلـــقى لذاك دليلاً
كم رام قبـــلك ذاك من متـــلدد حيران عاش مدى الزمان جهولاً

مازالت الشبهات تغزو قلبه حتى تشحط بينهن قتيلاً
فتراه بالكلى والجزئى والـ ذاتى طول زمانه مشغولاً
فإذا أتاه الوحى لن يأبه له ويقوم بين يدى عداه مثيلا
ويقول تلك أدلة لفظية معزولة عن أن تكون دليلا
وإذا تمر عليه قال لها أذهبى نحو المجسم أو خذى التأويلا
وإذا أبت إلا النزول عليه كا ن لها القِرى التحريف والتبديلا
فيحل بالإعداء ماتلقاه من كيد يكون لحقها تعطيلا
واضرب لهم مثلا بعميان خلوا فى ظلمة لا يهتدون سبيلا
فتصادموا بأكفهم وعصيهم ضرباً يدير رحى القتال طويلا
حتى إذا ملوا القتال رأيتهم مشجوج أو مبعوج أو مقتولاً
وتسامح العميان حتى اقبلوا للصلح فازداد الصياح عويلا[1]

ثم يواصل ابن القيم ــ رحمه الله ــ حديثه فى وصفهم بالمعطلة وما أدى إليه إعتقادهم الخاطئ الفاسد المخالف للكتاب والسنة فيقول :

" فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التى مضمونها نبذ الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف . وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس فى نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص . فلما اعتقدوا التعطيل ، وانتفاء الصفات فى نفس الأمر ، ورأوا أنه لابد للنصوص من معنى ، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى ــ وهذا الذى هو طريق السلف عندهم ، وبين صرف اللفظ عن حقيقته وما وضع له ،

---

(١) الصواعق المرسلة حـ١/١٤٤ ــ١٤٥ ط دار الكتب العربية .

إلى مـــا لم يوضع له ولا دل عليه ، بأنواع من المجازات وبالتكلفات الـــتى هى بالألغـــاز والأحاجى أشبه منها بالبيان والهدى ، فصار هذا الـــباطل مركباً من فساد العقل والجهل بالسمع ، فلا عقل ولا سمع ، فـــإن الـــنفى والـــتعطيل إنما اعتمدوا فيهما على شبهات فاسدة ظنوها معقولات ، وحرفوا لهما النصوص السمعية عن مواضعها .

فـــلما ابتـــنى أمـــرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الذين هم أعلم الأمة بالله وصفاته .[١]

ومما يبطل قول المعتزلة " أن الله قادر بذاته ، عالم بذاته " حى بذاته لا بعلم ، ولا قـــدرة ولا حياة ، أن فى إثبات اسماء الله تعالى إثبات صفاته لأنه كما يقول ــ البيهقى إذا ثبت كونه موجوداً ، فوصف بأنه حى ، فقد وصف بزيادة صفة على الذات هى الحياة .

وإذا وصف بأنه قادر فقد وصف بزيادة صفة هى القدرة .

وإذا وصف بانه عالم فقد وصف بزيادة صفة هى العلم ، كما إذا وصف بأنه خالق فقد وصف بزيادة صفة هى الخلق.. إذ لولاهذه المعانى لاقتصر فى أسمائهعلى ما ينبئ عن وجود الذات فقط .. [٢]

وقـــد أفـــرد علماء أهل السنة والجماعة أبواباً لإثبات صفات الله ، التى نفاها أهل الإعتزال أو عطلوها فهذا البيهقى يعنون فى كتابه الأسماء و الصفات : " باب ما جاء فى إثبات الحياة " وعنواناً آخر :

---

[١] الصواعق المرسلة لابن القيم حـــ١٨/١ : ١٩ ط دار احياء الكتب العربية

[٢] الاسماء والصفات للبيهقى صـــ ١٣٧ ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان –

" بـــاب مـــا جاء فى إثبات صفة العلم " وهكذا بقية الصفات ثم يذكر الأيات والأحاديث التى تثبت ذلك .

فممـــا يثـــبت صفة الحياة لله قوله تعالى " اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ "[١] وقوله سبحانه : " الٓمٓ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ " [٢] وقوله جل جلاله : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ " [٣]

وعن ابن عباس "رضى الله عنهما" قال إن رسول الله "صلى الله عليه وسلم " كـــان يقـــول الـــلهم لـــك أسملت وبك امنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت .اللهم إنى أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت والجن والإنس يموتون " [٤]

وفى حادثة الإفك فاستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول فقال :

مـــن يعذرنى. [٥] من رجل بلغنى أذاه فى أهل بيتى فالله ما علمت على أهلى إلا خيـــراً ، ولقـــد ذكروا رجلاً [٦]ما علمتُ عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل عـــلى أهـــلى إلا مـــعى فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال أنا اعذرك منه يا

---

[١] سورة البقرة من الأية : ٢٥٥ .

[٢] سورة آل عمران ١: ٢

[٣] سورة الفرقان من الأية ٥٨

[٤] انظر الاسماء والصفات للبيهقى صـــ ١٣٩ والحديث فى الصحيحين وهذه الرواية لمسلم حـــ١٧/ ٣٨ : ٣٩ كتاب الذكر والدعاء باب الأدعية .

[٥] من يقوم بعذرى إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومنى ... وقيل معناه من ينصرنى والعذير الناصر انظر شرح النووى حـــ١٧/١٠٩

[٦] هو صفوان بن المعطل ـــ رضى الله عنه ـــ

رســـول الله ـــ إن كـــان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخـــزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ـــ وكان رجـــلاً صالحاً ولكن اجتهلته [١]الحمية [٢] فقال لسعد بن معاذ كذبت ـــ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أُسَيد بن الحضير ـــ وهو ابن عم سعد بن معـــاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت ـــ لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل مع المنافقين [٣].

وفيه أن سعد بن عبادة وأسيد بن الحضير" رضى الله عنهما " أقسما بحياة الله تعالى وبقائه حيث قالا لعمر الله بين يدى النبى"صلى الله عليه وسلم" [٤]والذى نراه ان تعدد الصفات لا يلتزم منه تعدد الذات فالنفس مثلا نفس أمارة بالسوء ونفس لوّامة ونفس مطمئنة لا يستدعى ذلك أن يكون للإنسان أكثر من نفس ، بـــل إن الـــنفس الأمـــارة بالسوء قد تتهذهب فتلوم صاحبها على ذنب اقترفه

---

[١] أى جعلته جاهلا قال صاحب مختار الصحاح استجهله عده جاهلاً واستخفه ايضاً المختار الصحاح صـــ١١٥ باب " كلمة جواء " والمعنى كما قال النووى استخفته واغضبته وحملته على الجهل شرح النووى حـــ١٧/١١٠

[٢]الحمية : الأنفة والعار المختار الصحاح صـــ١٥٨ باب الحاء كلمة " حمى "

[٣] الحديث فى الصحيحين وهذه رواية مسلم حـــ١٧/١٠٩ ـــ ١١٠ كتاب التوبة باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف . وانظر البخارئ حـــ٨/٣٤٥ كتاب التفسير باب " إن الذين يحبون أن تشبع الفاحشة فى الذين امنوا " حديث رقم ٤٧٥٧

[٤]الأسماء والصفات صـــ١٤١ـــ ١٤٢

فتصبح نفساً لوامة وقد تزداد تهذيبا حتى تصبح نفساً مطمئنة تستحق نداء الله لها يوم القيامة "يَآ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِيۤ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً "[1] هـذا ، وقـد وقعت مناظرات بين المعتزلة وعلماء أهل السنة اعتمد فيها المعـتزلة على العقل فلم يهتدوا وكانت نهايتهم السكوت أو وصف الله بما لا يليق فى حين أن علماء أهل السنة اعتمدوا على النقل فاهتدوا إلى أقوم السبيل من هذه المناظرات :

أن رجـلا وهو أبو الحسن الأشعرى سأل الجبائى المعتزالى ــ هل يجوز أن يسـمى الله عاقلاً ؟ فقال الجبائى لا لأن العقل مشتق من العقال ، والعقال بمعـنى المـانع ، والمانع فى حق الله محال . فقال الأشعرى للجبائى فعلى قياسـك لا يسمى الله تعالى حكيماً ، لأن هذا الإسم مشتق من حكمة اللجام ، وهى الحديدة المانعة للدابة عن الخروج ، ويشهد لهذا قول حسان :

فنحكم بالقوا فى من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

بمعنى نمنع بالقوافى من هجانا .

وقال آخر :

أبنى حنيفة حكموا سفهاءكم إنى اخاف عليكمُ أن أغضبا

أى امنعوا سفهاءكم ، فإذا كان اللفظ مشتقاً من المنع ، والمنع على الله محال ، لـزمك أن تمنع إطلاق " حكيماً " عليه تعالى فلم يجد الجبائى جواباً. وسأل الأشعرىَّ : ما تقول أنت ؟

قال أجيز حكيماً ، ولا أجيز عاقلا .. لأن طريقى في مأخذ أسماء الله السماع الشـرعى ، لا القيـاس اللغوى ، فأطلقت حكيماً لأن الشرع أطلقه ، ومنعت

---

[1] سورة الفجر ٣٧: ٣٨

عاقلا لأن الشرع منعه ولوا أطلقه الشرع لأطلقته. [١]ومشياً وراء النزعات العقلية الخالصة لزم الجبائى القول بان الله تعالى مطيع للعبد إذا أجاب دعاءه ، وكان سبب هذا اللزوم أن ابا الحسن الأشعرى سأله قائلاً :

" ما معنى الطاعة عندك ؟ " فقال موافقة الإرادة . وكل من فعل مراد غيره فقد أطاعه . فقال أبو الحسن : يلزمك على هذا الأصل أن يكون الله تعالى مطيعاً لعبده إذا فعل مراده ، ولو جاز على الله أن يكون مطيعاً لعبده لجاز أن يكون خاضعاً له ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [٢]..

ونظراً لاعتماد المعتزلة على العقل وتقديسه وتقديمه على الوحى وجد كثيرون من ذوى الإلحاد فى المعتزلة عشاً يفرخون فيه بمقاصدهم وأرائهم ، ويلقون فيها دسهم على الإسلام والمسلمين ، حتى إذا ظهرت أغراضهم أقصاهم المعتزلة عنهم ، فابن الراوندى كان يعد منهم وأبو عيسى الوراق واحمد بن حائط وفضل الحدثى كانوا ينتمون إليهم ، وهؤلاء أظهروا أراء هادمة لبعض المقررات الإسلامية ، وكان منهم من اتهم بأنه استؤجر لليهود لإفساد عقيدة المسلمين . فكان إنتماء هؤلاء فى أول أمرهم ــ وان فصلوا عنهم عند ظهور شنائعهم ــ سبباً فى أن ينالهم رشاش مما لطخوا به، وإن أقسم شيوخ المعتزلة أنهم منهم براء فالاتهام مازال عالقاً ، لأنه أسبق إلى الأذهان من البراءة .[٣]

---

(١) ظهر الإسلام لأحمد أمين حـ٤/٦٨ ــ٦٩ مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثالثة

(٢) الفرق بين الفرق صـ١٩٤ : ١٩٥ بتصرف ط مكتبة دار التراث

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد ابو زهرة صـ١٢٨ ــ١٢٩

وأرى أن مذهـــب المعتزلة أصابه شذوذ فى الفكر العقدى ، وخلل فى الإتجاه الفكرى ، وجروا على المسلمين متاعب وإن لم يقصدوا ذلك ولكن تلك عاقبة من يطلق لنفسه العنان ولو فى ظلال النصوص ..

المبحث الثالث : خلق القرآن

بداية القول بخلق القرآن

الجانب السياسى : هذه المسألة أخذت الحظ الأوفر من الإهتمام فى العصر العباسى وبالتحديد فى عصر ثلاثة من خلفاء بنى عباس هم : المأمون والمعتصم والواثق ــ تلك الفترة التى اضطربت فيها النفوس والعقول وأذهقت فيها حرية العقيدة ، وأوذى المتورعون فى ألفاظهم والمتوقفون فى علمهم عند حدود النص إيذاءً شديداً دون ذنب إرتكبوه ، أو جريرة اقترفوها إلا العكوف على كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله " صلى الله عليه وسلم" والسكوت عما سكت عنه السلف خشية أن يضلوا فى نزعات الفكر وزيغ العقول[١]

والجدير بالذكر ان هذه المسالة أسبق فى الوجود من عصر الخلفاء الثلاثة المذكورين انفاً ــ فقد بذر بذرتها الجعد بن درهم ــ معلم مروان الحمار آخر خلفاء بنى أمية . يقول ابن كثير ــ رحمه الله ــ فى كتابه البداية والنهاية :

" وهو ــ أى الجعد بن درهم " أول من قال بخلق القرآن فى أمة محمد " صلى الله عليه وسلم " وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان وأخذ بيان عن طالوت ابن اخت لبيد بن أعصم " زوج ابنته " وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذى سحر رسول الله " صلى الله عليه وسلم" عن يهودى باليمن ،وأخذ عن الجعد الجهم ابن صفوان ، واخذ بشر المريسى عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبى دؤاد عن بشر .[٢]

---

[١] تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة صـ١٤١

[٢] البداية والنهاية حـ٩/٤٠٤ ط دار المعرفة بيروت ــ لبنان الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م.

بداية القول بخلق القرآن

هذه المسألة أخذت الحظ الأوفر من الإهتمام فى العصر العباسى وبالتحديد فى عصـــر ثلاثة من خلفاء بنى عباس هم : المأمون والمعتصم والواثق ــ تلك الفـــترة الـــتى اضـــطربت فيها النفوس والعقول وأذهقت فيها حرية العقيدة ، وأوذى المتورعون فى ألفاظهم والمتوقفون فى علمهم عند حدود النص إيذاءً شـــديداً دون ذنـــب ارتكبوه ، أو جريرة اقترفوها إلا العكوف على كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله " صلى الله عليه وسلم" والسكوت عما سكت عنه السلف خشية أن يضلوا فى نزعات الفكر وزيغ العقول[١]

والجديـــر بالذكر ان هذه المسالة أسبق فى الوجود من عصر الخلفاء الثلاثة المذكورين انفاً ــ فقد بذر بذرتها الجعد بن درهم ــ معلم مروان الحمار آخر خلفاء بنى أمية . يقول ابن كثير ــ رحمه الله ــ فى كتابه البداية والنهاية :

" وهـــو ــ أى الجعـــد بن درهم " أول من قال بخلق القرآن فى أمة محمد " صلى الله عليه وسلم " وقد أخذ الجعد يدعقه عن بيان بن سمعان وأخذ بيان عـــن طالوت ابن اخت لبيد بن أعصم " زوج ابنته " وأخذها لبيد بن أعصم الســـاحر الـــذى سحر رسول الله " صلى الله عليه وسلم" عن يهودى باليمن ،وأخـــذ عن الجعد الجهم بن صفوان ، واخذ بشر المريسى عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبى دؤاد عن بشر .[٢]

---

[١] تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة صـــ١٤١

[٢] البداية والنهاية حـــ٩/٤٠٤ ط دار المعرفة بيروت ــ لبنان الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـــ ــ ١٩٩٧م.

وكأن وراء كل مصيبة وفتنة تظهر فى المجتمع المسلم يهودياً .

وقتل الجعد بن درهم فى الكوفة قتلة شنيعة مشينة . وكان ذلك يوم "عيد الأضحى" حيث خطب فى الناس خالد بن عبد الله القسرى والى الكوفة ، فقال فى خطبته تلك : أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فإنى مضحٍ بالجعد ابن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه فى أصل المنبر .[١]

ولعل والى الكوفه خالد القسرى استنتج هذا الإستنتاج من قول الجعد: إن القرآن مخلوق .

ثم جاء الجهم بن صفوان بعد مقتل الجعد بن درهم ليقول المقولة نفسها " " إن القرآن مخلوق " وجهم هذا من أهل خرسان من الموالى وأقام بالكوفة ، وكان فصيحاً خطيباً يدعو الناس فيجذبهم إلى قوله وكان كاتباً للحارث ابن شريح وقد خرج الحارث على بنى أمية فى خرسان واتبعه كثير من أهلها وكان يدعو إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله واستعمال أهل الخير والفضل وقد هزم الحارث وأسر جهم بن صفوان فقتل .[٢]

ولكن بعد قتل كل من الجعد بن درهم ، والجهم بن صفوان لم يمت المذهب ، ولم تمح الفكرة من الأذهان ، وإنما بدأ الخوض فيها من جديد فى عهد هارون الرشيد إلا أنها لم تجد قبولاً أو اهتماماً من الناس ، ولم تجد مناخاً تنمو

---

[١] البداية والنهاية حـ٩/٤٠٥ ط دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية سنة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م

[٢] فجر الإسلام لأحمد امين حـ١/٢٨٦ـ ٢٨٧ ط مكتبة النهضة المصرية الطبعة التاسعة سنة ١٩٧٨م .

فيـــه وتنتشـــر وذلـــك لأن هارون الرشيد كان لا يشجع الخوض فى العقائد والجدل ، بل يروى أنه حبس طائفة من المجادلين فى العقائد ومنهم المعتزلة ، لـــذا لم يشجع الكلام فى شان القرآن أهو مخلوق أو غير مخلوق ولما بلغته مقالة بشر [١] المريسى فى القرآن قال لئن أظفرنى الله به لأقتلنه ،

فظل بشر متخفيا طوال خلافة هارون الرشيد حتى مات فى ذى الحجة سنة ثمان عشرة وماتين ــ ويقال سنة تسع عشرة ومائتين [٢]. ذلك لأن الرشـــيد كان يرى أن الذى يزعم أن القرآن مخلوق فهو حلال الدم ، بل إن قتله يكون قربة إلى الله .

يقـــول ابـــن كثير . رحمه الله : وقال بعضهم دخلت على الرشيد وبين يديه رجـــل مضـــروب العـــنق والسيّاف يمسح سيفه فى قفا الرجل المقتول .فقال الرشيد :قتلته لأنه قال القرآن مخلوق ،فقتله على ذلك قربةإلى الله عز وجل[٣]

بعد هذا السرد نستطيع أن نقول :

إن مســـألة خلق القرآن أسبق فى الوجود من عصر الخلفاء الثلاثة من بنى عـــباس ، حيث ظهرت فى آخر الدولة الأموية فقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بـــن سمعان الذى أخذها عن طالوت اليهودى الذى أخذها عن يهودى باليمن وقد أخذ عن الجعد الجهم بن صفوان " كما سبق ذكر ذلك .

---

[١] هو بشر بن غياث بن أبى كريمة المريسى ــ يقال ان أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة ــ انظر البداية والنهاية حـــ١٠/٢٨١ ط السعادة .

[٢] انظر تاريخ الخطيب البغدادى حـــ٧/٦٧ ط دار الكتاب العربى وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد ابو زهرة صـــ١٤٢

[٣] البداية والنهاية حـــ١٠/٢١٥.

ورغم ان كلا من الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ، قد قتلا لكن الفكرة لم تقتل بل ظلت تنمو ويدور حولها الجدل ، وتتسع فيها المناظرة ، وتؤلف فيها الكـــتب ولكن أحداً لم يفكر فى أن تأخذ هذه المسألة الصبغة الرسمية وتكون عقيـــدة ديـــنية يكره الناس على أعتناقها حتى جاء المأمون وفعل ذلك بعد أن اتخذ خطوات مرتبه .. ..

المأمون ومسألة خلق القرآن

كان المأمون مثقفاً ثقافة واسعة، وشغف من أجل ذلك بالبحث العلمى والأدبى ، فقد قيل عنه :

(لم يل الخلافة من بنى العباس أعلم منه، إذ كان يعد من كبار العلماء حيث سمع الحديث من أبيه ، ومن هشيم ، وعياد بن العوام وغيرهم وبرع فى علم الفقـــة والعـــربية ولما كبر عُنى بالفلسفةومهر فيها فجر ذلك إلى القول بخلق القـــرأن - [١]حيـــث كـــان عقلـــه فلســـفياً حراً فى تفكيره مع التقيد بأصول الديـــن[٢]ولآن المـــأمون كان يصبو إلى حرية التفكير ، والإعتماد على العقل أصـــبح مذهـــب الإعـــتزال أقرب المذاهب إلى نفسه فقرّب المعتزلة منه ، (وجعـــل جـــل حاشيته منهم وأكرمهم أبلغ الإكرام ، حتى يروى أنه كان إذا دخل عليه أبو هشام الفوطى من المعتزلة تحرك له حتى يكاد يقوم ، ولم يكن يفعل ذلك .مع أحد من الناس .[٣]

وبذلك أصبحوا ذوى نفوذ فى القصر ، وكان من أظهرهم ثمامة بن الأشرس وأحمد بن أبى داؤد [٤].

وأحـــس المعـــتزلة بمنزلـــتهم فى نفسه ، لاسيما عندما اختار خاصته منهم واخـــتص أحمـــد بـــن أبى د ؤاد ، فزينوا له القول بخلق القرآن حيث كانت

---

[١] تاريخ الخلفاء للسيوطى صـــ٣٠٦ : ٣٠٧ ط السعادة .

[٢] ضحى السلام لآحمد أمين حـــ٣/١٦٣.

[٣] تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد ابو زهرة صـــ١٤٢

[٤] ضحى الإسلام أحمد أمين حـــ٣/١٦٣

الفرصة سانحة لهم أن يقترحوا على المأمون ما يريدون ، وهم واثقون بأنها لا ترد بل ستكون محل نظر واعتبار إن لم تنل القبول والإعجاب لدى المأمون ، يقول ابن خلكان :

ولا نعلم أحداً غلب على سلطانه فى زمانه إلا يحى بن أكثم ، وأحمد بن أبى دؤاد.[١] ولكن مع ميل المأمون إلى مذهب الإعتزال كان بجانب ذلك يفكر فى مسألة أخرى وهى :

هل يظل الإعتزال مذهباً كغيره من المذاهب ويُترك كل إنسان حراً إن يعتنق منها ما يراه صواباً ، ولا دخل للدولة فى ذلك لأن المسألة ليست مسألة كفر وإيمان ، إنما هى أراء داخل حدود الإسلام ، فلا سبيل إلى الإقناع فيها إلا الحجة والبرهان ، أو أن الدولة تتخذ شعارها الإعتزال وتحمل الناس عليه ، ويكون المذهب مذهبها الرسمى ، كما أن الإسلام دينها الرسمى ؟ [٢]

وانقسم الناس فريقين فى هذا الشأن .

الفريق الأول : يرى أن الدولة لا شأن لها بذلك ، والناس أحرار فى إعتقاد ما يرون ، والخليفة لا ينبغى أن يدخل فى نصرة مذهب على مذهب .

والفريق الثانى : كان يرى حمل الناس على ما تَثبتْ عندهم صحته ، ويحسن للخليفة حمل الناس على ذلك ، وكان من أظهر هؤلاء ثمامة وابن أبى داؤد .

أما الفريق الأول فكان على رأسهم يحى بن أكثم قاضى المأمون ،

---

[١] وفيات الأعيان لابن خلكان حـ٦/١٤٧ـ ١٤٨ ط دار صادر

[٢] ضحى الإسلام لأحمد أمين حـ٣/١٦٤ .

ويـــزيد بـــن هـــارون الواسطى ، فيحى بن أكثم قال للمأمون عندما هم بلعن معاوية : " والرأى أن تدع الناس على ما هم عليه ، ولا تظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفرق ، فإن ذلك أصلح فى السياسة ، وأحرى فى التدبير .

أمـــا يزيد بن هارون فقد كانت له مكانةٌ عند المأمون لذا كان المامون يحذر مخالفـــته حتى لا يختلف معه الناس ويضطرب الوضع .. .. فمما روى عن المأمون أنه قال :

" لـــولا مكانة يزيد بن هارون لأظهرت القول بخلق القرآن " فقال له بعض جلســـائه . ومن يزيد بن هارون حتى يتقيه أمير المؤمنين ؟! فقال إنى أخاف أن أظهرته يرد علىَّ فيختلف الناس وتكون فتنةٌ ، وأنا أكره الفتنةَ .[١]

وشـــاء القـــدر ان يضعف الحزب الأول فقد مات يزيد بن هارون سنة ست ومائتين من الهجرة ، وعزل يحى بن أكثم عن منصب قاضى القضاة سنة سبع عشـــرة ومائـــتين وتولى مكانه ابن أبى دؤاد فكان ذلك سبباً فى أن تنجح كفة المؤيدين .. .. فأعلن المامون أن المذهب الحق هو ان القرآن الكريم مخلوق وأخذ يدعو لذلك فى مجلس مناظراته ، وأدلى فى ذلك بما يراه حججاً قاطعة فى هذا الموضوع . وقد ترك المناقشة حرة ، والناس أحرار فيما يقولون .. ولكـــن فى سنة ثمان عشرة ومائتين بدا له أن يدعو الناس بقوة السلطان إلى إعتناق هذه الفكرة ..[٢] ولكنه اتخذ خطوات نحو ذلك أرى من الخير ذكرها .

---

[١] ضحى الإسلام حـــ٣/١٦٤ بتصرف .

[٢] انظر تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة صـــ٤٦٢ وانظر ضحى الإسلام لأحمد أمين حـــ٣/١٦٤.

سياسة المأمون فى حمله الناس على القول بخلق القرآن

اتخـــذ المأمون خطوات نحو ذلك بدأها بالإنذار لمن لم يقل إن القرآن مخلوق بأن يحرم من مناصب الدولة .. ثم بالوعيد الشديد الذى وصل إلى التعذيب بل إلى ضرب العنق وهو يزعم أنه يبتغى حفظ الدين وإقامته والعمل بالحق فى الرعية لذلك أرسل إلى واليه ببغداد كتاباً بدأه بمقدمة طويلة قال فيها :

أما بعد : فإن من حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الأجتهاد فى إقامة دين الله الـــذى اســـتحفظهم ، ومواريـــث النـــبوة التى أورثهم ، وأثر العلم الذى استودعهم ، والعمل بالحق فى رعيتهم والتشمير لطاعة الله فيهم . والله يسال أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد والإقساط فيما ولاه من رعيته برحمته ومنته وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الـــرعية وســـفلة العامة ممن لا نظر له ولا رويّة ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته والإستضاء بنور العلم وبرهانه فى جميع الأقطار والأفاق أهلُ جهالة بـــالله وعـــمى عنه وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به ونكوب عن واضـــحات إعلامه وواجب سبيله وقصور أن يقدروا الله حق قدره ، ويفرقوا بيـــنه وبين خلقه لضعف أرائهم ونقص عقولهم وجفائهم عن التفكير والتذكر وذلـــك أنهـــم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن فأطبقوا مجـــتمعين عـــلى أنه قديم أول لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه وقد قال الله :

" إِنَّاجَعَلْنَاهُقُرْآناً عَرَبِيّاً " [١] فكل ما جعله الله فقد خلقه [٢] فاجمع من بحضرتك من القضاة وأقرا عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا ، فابدأ بأمتحانهم فيما يقولون . وتكشيفهم عما يعتقدون فى خلق الله القرآن وإحداثه وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه فإذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه وكانوا على سبيل الهدى والنجاة فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس ، ومسألتهم عن علمهم فى القرآن وترك إثبات شهادة من لم يقرّ أنه مخلوق محدّث . واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك وتفقد أثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر فى الدين والإخلاص للتوحيد واكتب لأمير المؤمنين بما يكون فى ذلك إن شاء الله .[٣]

نلاحظ من هذا الكتاب ألا ضرر على من لم يقل بخلق القرآن إلا حرمانه من مناصب الدولة ، وعدم سماع شهادته إن كان شاهداً ، ويبدو أن المأمون لم يغب على ذهنه أن مناصب الدولة ليست ذات قيمة عند العلماء من الفقهاء والمحدثين ، وإنما من شأن العلماء المخلصين الزهد فيها . فأراد أن يحملهم على الإقرار بخلق القرآن وإن لم يريدوا أن يتولوا عملاً أو يؤدوا شهادة

---

[١] سورة الزخرف من الأية ٣

[٢] ولا شك أن هذا خطأ حيث إن هناك فرقاً بين كلمتى خلق وجعل كما سنبين ذلك أن شاء الله فى الرد على المعتزلة .

[٣] تاريخ الأمم والملوك للطبرى حـ٧/١٩٥ -١٩٧ بتصرف ط الأعلمى للمطبوعات بيروت لبنان

(فكأنـــه اعـــتقد أنه ــ وهو خليفة المسلمين وراعيهم ــ مسئول عن رعيته ومن هذا أنه مسئول عن توحيدهم ، والقول بقدم القرآن شبه إشراك ، فيجب أن يرد الناس عن ذلك كما يرد الكافر عن كفره .[١]

فجـــاء الكتاب الثانى أضاف إلى ذوى المناصب فى الدولة والمتصلين بها ــ المحدثيـــن والفقهـــاء ، وكـــل مـــن تصدى للفتوى والتعليم والإرشاد ، فأمر بامتحانهم وإرسال إجابتهم عن مسألة خلق القرآن . [٢]

واختار المأمون سبعة من كبار المحدثين أراد أن يرسلوا إليه وهم :

محمـــد بن سعد الواقدى صاحب الطبقات الكبرى ــ وأبو مسلم مستمل يزيد بـــن هارون ويحى بن معين وزهير بن حرب أبو خثيمه واسماعيل ابن داود وإسماعيل بن أبى مسعود وأحمد بن الدَّورقى ،[٣]

ويـــبدو ان هـــؤلاء كـــانوا من وجوه المحدثين فى بغداد ، وممن شنعوا على المأمون بالقول بخلق القرآن ومن رؤس الذين يقولون بقدمه . ولعل المأمون رأى أنهم إن حضروا أمام الخليفة نفسه كان ذلك أرهب لهم ، وحملتهم الهيبة والرهـــبة عـــلى متابعة الخليفة فيما يقول ، فينقاد الناس لهم ويتبعون قولهم فتنقطع الفتنة . وقد صدقت فراسته فى الشطر الأول ، وخاب ظنه فى الشطر الثانى حيث أجاب القوم " تقية " بما يريد الخليفة ، ولكن الفتنة لم تنقطع .

يقول الطبرى رحمه الله : فى كتاب تاريخ الأمم والملوك :

---

(١) تاريخ الأمم والملوك حـــ٧/١٩٨ بتصرف للطبرى .

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة صـــ١٤٣

(٣) ضحى الإسلام حـــ٣/١٦٩ــ ١٧٠

فلما حضروا وامتحنهم المأمون وسألهم جميعاً عن خلق القرآن فأجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق فأعادهم إلى بغداد وأمر إسحاق بن إبراهيم أن يجمع الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث فى داره ، وأن يقول أمامهم هؤلاء السبعةُ بمثل ما قالوا به أمام المأمون ففعلوا وخلى سبيلهم . [١]

ويلاحظ أن اسم الإمام أحمد بن حنبل ــ رضى الله عنه ــ لم يوجد بين هؤلاء السبعة . لعله لم يكن معروفاً إذ ذاك بشدة المعارضة وأن شهرته فى هذا أتت بعد هذا التاريخ ، أو كما روى بعضهم ان اسمه كان بين هؤلاء ولكن ابن أبى دؤاد نصح باستبعاده ، لأنه يعرف صلابته ، فلم يكن من مصلحة القضية أن يكون بينهم ، وقد روى أن ابن حنبل حزن لهذا الحادث وقال : " لو كانوا صبروا وقاموا لله لكان انقطع الأمر وحَذَرَهم الرجل (يعنى المأمون) ولكن لما أجابوا إجترأ على غيرهم " .. وكان ابن حنبل إذا ذكرهم يغتم ويقول : " هم أول من ثلموا هذه الثلمة " [٢]

جمع إسحاق بن إبراهيم الفقهاء والمشايخ فى داره ليمتحنهم ــ كما أمره المأمون ــ فالفقهاء يتولون الفتيا والحكام يتولون الحكم والمحدثون يتولون التعليم ، وكلها أمور لا يريد المأمون أن يتولاها إلا من قال بخلق القرآن ، ولكن القوم توقفوا ولم يصرح أحد منهم أن القرآن مخلوق ــ الأمر الذى أثار المأمون وأغضبه ــ

---

[١] تاريخ الطبرى حـ٧/١٩٧،

[٢] انظر أحمد بن حنبل والمحنة للأستاذ walter n, patt on نقلاً من ضحى الإسلام حـ٣/١٧١ .

وهـــذه بعـــض نمـــاذج من الأسئلة والأجوبة التى دارت بين إسحاق وبعض العلماء .. ..

ذكر ابن جرير الطبرى رحمه الله ــ فى تاريخه المحاورات والمناقشات التى دارت بيـــن إسحاق بن إبراهيم والعلماء من الفقهاء والمحدثين ، تذكر بعضاً مـــنها وهـــو ما كان بين إسحاق بن إبراهيم ومحدث الفقهاء وفقيه المحدثين الإمام أحمد بن حنبل ــ رضوان الله تعالى عليه ــ .

يقول إسحاق : ما تقول فى القرآن ؟.

الإمام أحمد : هو كلام الله .

إسحاق : أمخلوق هو ؟

الإمام أحمد : هو كلام الله لا أزيد عليها .

إسحاق : ما معنى إنه تعالى سميع بصير؟ .

الإمام أحمد : هو كما وصف نفسه .

إسحاق : فما معناه ؟ .

الإمام أحمد : لا أدرى هو كما وصف نفسه .[١]

امتحان أخر كان من إسحاق بن إبراهيم إلى رجل من مشاهير العلماء وهو : بشر بن الوليد .

إسحاق بن إبراهيم : ما تقول فى القرآن ؟

بشر بن الوليد : القرآن كلام الله .

إسحاق بن إبراهيم : لم أسألك عن هذا . أمخلوق هو ؟

بشر بن الوليد : الله خالق كل شئ .

---

[١] تاريخ الأمم والملوك للطبرى حـــ٧/٢٠١

إسحاق : هل القرآن شئ ؟

بشر : هو شئ .

إسحاق : فمخلوق هو ؟

بشر : ليس بخالق .

إسحاق : لا أسألك عن هذا ، أمخلوق هو ؟

بشر : ما أحسن غير ما قلت لك .[١]

وصمم بشر على ذلك ولكن إسحاق بن إبراهيم لم يدعه وإنما قال : أتشهد أن لا إله إلا الله ــ أحداً فرداً لم يكن قبله شئ ولا بعده شئ ولا يشبهه شئ من خلقه فى معنى من المعانى ولا وجه من الوجوه ؟ قال نعم . فقال للكاتب اكتب ما قال ــ فكتب ثم امتحنهم رجلا رجلاً فأكثرهم امتنع من القول بخلق القرآن ، فكان إذا الرجل منهم امتحنه بالرقعة التى وافق عليها بشر بن الوليد من إنه يقال لا يشبهه شئ من خلقه فى معنى من المعانى ولا وجه من الوجوه فيقول: نعم كما قال بشر . ولما انتهت النوبة إلى امتحان أحمد بن حنبل فقال : أتقول إن القرآن مخلوق ؟ فقال : القرآن كلام الله لا أزيد على هذا . فقال له ما تقول فى هذه الرقعة ؟ فقال : أقول " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير "

فقال رجل من المعتزلة : إنه يقول سميع بأذن ، بصير بعين ــ فقال له إسحاق : ما أردت بقولك سميع بصير؟ فقال أرد ت منها ما أراده الله منها وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك [٢].هكذا كانت أجابة كل من الإمام

---

[١] المرجع السابق حـ٧/٢٠١

[٢] البداية والنهاية حـ١٠/٢٧٣

احمـــد بن حنبل والعلامة بشر بن الوليد الكندى وكذلك كانت إجابة كثير من العلماء مثل على بن أبى مقاتل وأبو حسان الزيادى وابن البكاء هؤلاء كانت إجابتهم لا تختلف كثيراً عن إجابة الإمام أحمد وبشر الكندى . لذلك ترى أن الحاجةَ غير ماسة لذكر الحوار الذى دار بينهم وبين إسحاق بن إبراهيم والذى ظهرمـــنه مدى تمسك هؤلاء العلماء بالحق وعدم المداهنة للسلطان أو واليه. ولكـــن فريقاً أخر من الناس (العلماء) خارت نفوسهم ، وضعفت عزيمتهم وحرصوا على متاع الدنيا ، كوظيفة لدى السلطان ، أو رزق من بيت المال أو منصـــب كالإفـــتاء فقـــالوا بخلق القرآن وهم يعلمون إنهم يقولون غير ما يعتقدون ، يقول ابن كثير ــ رحمه الله ــ

وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مصانعة مكرهًا لأنهم كـــانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه ، وإن كان له رزق على بيت المال قطع ، وإن كان مفتياً منع من الإفتاء ، إن كان شيخ حديث ردع من الإسماع والأداء .. ووقعت فتنةٌ صماء ومحنة شنعاء وداهية دهياء فلا حول ولا قوة إلا بالله . [1]

حرر إسحاق بن إبراهيم جميع أقوال الممتحنين . وأرسلها إلى المأمون فثارت ثائـــرته ، وجن جنونه فأرسل كتاباً فيه التعنيف والتقريع والوعيد الشديد الذى وصـــل إلى ضرب عنق من لم يقل بقوله . فقد جاء فى الكتاب : ومن لم يقل إن القـــرآن مخلوق فابعثه إلى عسكر أمير المؤمنين . مقيداً محتفظاً به حتى يصـــل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه رأيه . ومن رأيه أن يضرب عنق من لم يقـــل بقوله . فعند ذلك عقد النائب ببغداد مجلساً أخر وأحضر أولئك وفيهم

---

[1] المرجع السابق والجزء نفسه والصفحة نفسها .

إبـــراهيم المهدى وكان صاحباً لبشر بن الوليد الكندى ، وقد نص على قتلهما إن لـــم يجيبا على الفور ، فلما امتحنهم إسحاق أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى : " إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ " [١]إلا أربعة هم :

أحمد بن حنبل ، محمد بن نوح ، الحسن بن حماد سجاده وعبيد الله بن عمر القواريرى .

فقيدهـــم وأرصدهم ليبعث بهم إلى المأمون ، ثم استدعى بهم فى اليوم الثانى فامتحـــنهم فأجاب سجاده إلى القول بذلك فأطلق. ثم امتحنهم فى اليوم الثالث فأجاب القواريرى إلى ذلك فأطلق قيده.

وأخـــذ أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح لأنهما أصرا على الإمتناع من القول بذلـــك . فـــأكد قيودهمـــا وجمعهما فى الحديد ، وبعث بهما إلى الخليفة وهو بطـــرطوس . وجعل الإمام أحمد يدعو الله عز وجل أن لا يجمع بينهما وبين المأمون وإن لا يرياه ولا يراهما ..

فأهلكه الله قبل وصولهما إليه ، واستجاب الله سبحانه دعاء عبده ووليه الإمام أحمـــد بن حنبل فلم يريا المأمون ولا رأهما . فلما بلغهم موت المأمون ردوا إلى الرقة ثم أذن لهم بالرجوع إلى بغداد .[٢]

مات المأمون وودع الدنيا ، ولكن فتنة خلق القرآن لم تمت ولم تنته بل اتسع نطاقهـــا ، وزادت ويلاتها ، وكانت شراً مستطيلاً على المتوقفين من الزهاد والعـــلماء والمـــتفقهين والمحدثين وأهل الفتيا فى الدنيا وذلك لأن المأمون ـــ

---

[١] سورة النحل من الأية ١٠٦.

[٢] البداية والنهاية حـــ١٠/٢٧٣ ـــ٢٧٤ ، لابن كثير وانظر تاريخ الأمم والملوك للطبرى حـــ٧/٢٠٥ ط مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت لبنان .

عفـــا الله ـــ أوصى أخاه المعتصم بالتمسك بمذهبه فى خلق القرآن ، ودعوة الناس إليه بقوة السلطان ، وكأنه فهم أن تلك الفكرة التى استحوذت عليه دين واجب الإتباع وفرض لا يبرأ منه حتى يؤديه ويدعو إليه ويحمل الناس عليه قهراً ، وقد جاء فى هذه الوصية : يا أبا إسحاق إدن من ، واتعظ بما ترى ، وخذ بسيرة أخيك فى خلق القرآن .[١]

لذلـــك لمـــا سُـــلمت القيادة للمعتصم امتدت المحنة ، آخذة دوراً أشد وأقصى وكـــانت وصية المأمون بحمل الناس على القول بخلق القرآن وبقاءا بن ابى دؤاد أصـــل البلاء فى هذا . لاسيما أن المعتصم لم يكن على قدر من الثقافة التى كانت لدى المأمون فإنه كان رجلاً جندياً وكان كما قال الإمام السيوطى ـــ ذا شجاعة وقوة وهمة وكان عرياً من العلم . [٢]

لـــذا كـــان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة ، وكانت ثقافته من جنس ثقافة الذين يســـمعون أحـــاديث الناس والعلماء لذلك لم تكن هناك مجالس المناظرة فى قصره كالتى كانت فى عهد المأمون .[٣]

ويبدو أن المعتصم كان يكره العلم منذ الصغر فقد روى الصولى . عن محمد بـــن ســـعيد عـــن إبراهيم بن محمد الهاش قال : كان مع المعتصم غلام فى الكتاب يتعلم معه ، فمات الغلام ، فقال له الرشيد "أبوه" يا محمد مات غلامك

---

[١] تاريخ الأمم والملوك حـــ٧/٢٠٩ .

[٢] تاريخ الخلفاء صـــ٣٣٤

[٣] ضحى الإسلام لأحمد أمين حـــ٣/١٧٧ ـــ ١٧٨

، قال : نعم يا سيدى واستراح من الكتاب . فقال : وإن الكتاب ليبلغ منك هذا ، دعوه لا تعلموه . قال فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة [١]

وكان لقلة ثقافة المعتصم أثر سيئ فى ولايته حيث كان يرى أنه ملزم بامتحان الناس فى خلق القرآن لا شئ إلا أنه وُكِّلَ بذلك من المأمون . [٢]

فلم تصدر عنه متشورات جديدة فيها معان وحجج جديدة وكتب إلى الأمصار بالإستمرار فى امتحان الناس بخلق القرآن وأمر أن يعلموا الصبيان ذلك ، وقاس الناس منه مشقة فى ذلك حيث قتل خلقا وضرب الإمام أحمد بن حنبل ــ كما سنبين ذلك أن شاء الله .

---

[١] تاريخ الخلفاء للسيوطى صـ٣٣٤

[٢] يبدو ذلك من قوله للإمام أحمد لولا أنك كنت فى يد من كان قبلى لم اتعرض إليك ،البداية والنهاية حـ١٠/٧٨٣ ط دار المعرفة الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧

المعتصم يواصل المحنة ويمتحن الناس

لمـــا جاء الخبر بموت المأمون فرح الإمام أحمد ومن معه ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولى الخلافة ، وقد انضم إليه أحمد بن أبى دؤاد وأن الأمر شديد فـــردوا إلى بغـــداد فى سفينة وفى الطريق مات محمد بن نوح وصلى عليه لإمام أحمد بن حنبل[١] رضوان الله عليهما ..

وبعد موت محمد بن نوح أصبحت المعارضة محصورة فى الإمام أحمد وحده فظـــل وحده يتحمل العذاب المعنوى من نفاق ابن أبى دؤاد ومن على شاكلته ويســـام العذاب والهوان من المعتصم ومن فى سلطته ، ولكن لم يضعف ولم يـــلن وإنما ظل ثابتاً على عقيدته ، متمسكاً برأيه لا يضره من خذله ولا من خالفـــه وكان جديراً بأن يكون من الطائفة الذين وصفهم رسول الله صلى الله عـــليه وسلم " فقال: " لا تزل طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتى أمر الله وهم كذلك .. [٢]

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير حـــ١٠/٧٨٢ـــ٧٨٣ ط دار المعرفة الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـــ ـــ ١٩٩٧م.

[٢] الحديث فى الصحيحين وهذه رواية مسلم حـــ١٣/٦٥ كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم " لا تزل طائفة من أمتى ظاهرين على الحق . وانظر صحيح البخارى حـــ١٣/٣٠٦ ك الإعتصام بالكتاب والسنة ب لا تزل طائفة من أمتى ظاهرين على الحق

أحضـــر المعتصـــم الإمـــام أحمـــد من السجن ، وأجلسه قريباً وكان بجوار المعتصـــم أحمد بن أبى دؤاد ودار بينهم هذا الحوار الذى رواه ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية ــ فقال قال الإمام أحمد :

فجلست وقد اثقلنى الحديد [١] فمكثت ساعة ثم قلت : يا أمير المؤمنين إلى ما دعا إليه ابن عمك رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قال إلى شهادة أن لا إله إلا الله قلت : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله .

قال ثم ذكرت له وفد عبد القيس .[٢] ثم قلت فهذا الذى دعا إليه رسول الله"

---

[١] الحديد الذى كان مكيلا به رضى الله عنه

[٢] حديـــث عبد القيس فى الصحيحين وروايةَ مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ــ قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله "صلى الله عليه وسلم " : فقالوا يا رسول الله إن هـــذا الـــحى من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر فلا نخلص إليك إلا فى شهر الحرام فمرنا بأمر نعمل به وندعو إليه من وراءنا قال أمركم بأربع وإنها كم عن أربع الإيمـــان بالله ثم فسرها لهم فقال " شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصـــلاة وايـــتاء الزكاة وإن تؤدوا خمس ما غنمتم وإنهاكم عن الدُّبَّاء والحنتم والنَّقير والمُقيـــر " مســـلم حـــــ١/١٨٠ ــ ١٨٣ ــ ك الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله "صلى الله عليه وسلم" وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه ــ وفى الحديث كلمات غريبة من الخير ضبطها ثم شرحها .

الدباء: بضم الدال وهو القرع اليابس أى الوعاء منه .

الحنـــتم : بحاء مهمله مفتوحة ثم نون ساكنة الواحدة حنتمة وأختلف فى معناها وأصح الأقـــوال وأقواها أنها جرار خضر . قاله الأكثرون أو كثيرون من أهل اللغة وغريب الحديث والمحدثين والفقهاء . والثانى أنها الجرار كلها والثالث أنها جرار يؤتى بها من مصر مقيرات الأجواف . والرابع عن عائشة "رضى الله عنها "جرار حمر أعناقها فى

صـــلى الله عـــليه وســـلم" قال ثم تكلم ابن ابى د ؤاد بكلام لم أفهمه ثم قال المعتصـــم : لولا أنك كنت فى يد من كان قبلى لم أتعرض إليك . ثم قال يا عبد الرحمن ألم أمرك أن ترفع المحنة ؟ قال أحمد : فقلت الله أكبر هذا فرج للمسلمين، ثم قال : ناظره يا عبد الرحمن ــ فقال لى عبد الرحمن ما تقول فى القـــرآن ؟ فـــلم أجبه ، فقال المعتصم : أجبه فقلت : ما تقول فى العلم ؟ فسكت ، فقلت القرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله ، فسكت فقالوا فيما بينهم يا أمير المؤمنين كفرنا وكفرك ، فلم يلتفت إلى ذلك ، فقـــال عـــبد الرحمن "كان الله ولا قرآن " فقلت كان الله ولا علم ؟ فسكت . فجعلوا يتكلمون من هنها وههنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين اعطونى شيئاً من كـــتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به ، فقال ابن أبى د ؤاد . وأنت لا تقول

جنوبها يجلب فيها الخمر من مصر ... أما النقير فإنه جذع ينقر وسطه ، وأما المقير فهو المزفت المطلى بالقار وهو الزفت وقيل الزفت نوع من القار والصحيح الأول فقد صح عن ابن عمر "رضى الله عنهما" أنه قال المزفت هو المقير ومعنى النهى عن هذه الأربـــع فهو أنه نهى عن الإنتباذ فيها وهو أن يجعل فى الماء حبات من تمر أو زبيب أو نحوهمـــا .. وإنمـــا خصت هذه بالنهى لأنه يسرع إليه الإسكار فيها فيصير حراماً نجسا فنهى عنه لما فيه من إتلاف المال.. ..

ثـــم ان النهى كان فى أول الأمر ثم نسخ بحديث بريدة "رضى الله عنه" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم" ــ قال : " كنت نهيتكم عن الإنتباذ إلا فى الأسقية فانتبذوا فى كل وعـــاء ولا تشربوا مسكراً ".. انظر شرح صحيح مسلم للإمام النووى حـــ١/١٨٥ ــ وحديث النسخ رواه مسلم فى كتاب الأشربة باب النهى عن الإنتباذ فى المزفت والدباء والحنتم والنقير وبيان أنه منسوخ وأنه اليوم حلال مالم يصر مسكراً . حـــ١٣/١٦٨.

إلا بهذا وهذا ؟ فقلت : وهل يقوم الإسلام إلا بهما . وجرت مناظرات طويلة واحتجوا عليه بقوله :

" مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ [١] وبقوله " اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ " [٢] فأجاب بقول تعالى : " وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ " [٣] وأن الذكر هو القرآن ، وتلك ليس فيها الف ولام . وأجاب بقول سبحانه : " تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا " [٤] فهل دمرت إلا ما أراد الله ؟ .

فقال بن أبى دؤاد : هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع ، وهنا قضاتك والفقهاء فسلهم فقال لهم :

ماتقولون ؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبى دؤاد ، ثم أحضروه فى اليوم الثانى وناظروه ايضاً ، ثم فى اليوم الثالث ، وفى ذلك كله يعلو صوته عليهم وتغلب حجته حججهم . وكانوا إذا سكتوا فتح الكلام عليهم ابن أبى دؤاد ، وكان من أجهلهم بالعلم والكلام ، وقد تنوعت بهم المسائل فى المجادلة ولا علم لهم بالنقل ، فجعلوا ينكرون الأثار ويردون الإحتجاج وسمع منهم الإمام مقالات لم يكن يظن أن أحداً يقولها ، وتكلم أحد الحاضرين بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه ، فقال الإمام أحمد لا أدرى ما تقول ، إلا أنى

---

[١] الأنبياء من الأية : ٢

[٢] الزمر من الأية : ٦٢

[٣] ص من الأية : ١

[٤] الأحقاف من الأية : ٢٥

أعـــلم أن الله أحـــد صمد ، ليس كمثله شئ وفى غبون ذلك كله كان الخليفة يتـــلطف به ويقول : يا أحمد أجبنى إلى هذا حتى أجعلك من خاصتى وممن يطأ بساطى .

فيقول الإمام ــ رضى الله عنه ــ يا أمير المؤمنين يأتونى بأية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى أجيبهم إليها فلما لم يقم لهـــم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة ، فقالوا يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل .

وقـــال إســـحاق بن إبراهيم نائب بغداد : يا أمير المؤمنين: ليس من تدبير الخلافة أن تخلى سبيله ويغلب خليفتين، فعند ذلك حمى واشتد غضبه ، وقال للإمام أحمد : لعنك الله ، طمعت فيك أن تجيبنى فلم تجبنى ، ثم قال : خذوه واخلعوه واسحبوه ففعلوا ذلك فقال الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ :

يا أمير المؤمنين : الله الله ، إن رسول الله " صلى الله عليه وسلم" : قال : لا يحل دم إمرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث وذكر الحديث .[1] وأن رسول الله "صلى الله عليه وسلم "قال :

---

[1] الحديث رواه الترمذى وحسنه حـــ٣٧٣/٦ كتاب الفتن / باب ما جاء لا يحل دم أمرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ونص الحديث أن رسول الله "صلى الله عليه وسلم "قال لا يحل دم أمرى مسلم إلا بإحدى ثلاث : زنا بعد إحصان أو ارتدا د بعد إسلام أو قتل نفس بغير حق فقتل به " ورواه بن ماجه بنفس المعنى مع اختلاف فى الألفاظ لا يخل بالمعنى انظر سنن بن ماجه حـــ٨٤٧/٢ كتاب الحدود باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا فى ثلاث ط المكتبة العلمية تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى .

" أمـــرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا من دمائهم وأموالهم " .[١] فبما تستحل دمى ولم آت شيئاً من هذا ؟؟! .

يـــا أميـــر المؤمـــنين اذكـــر وقوفـــك بيـــن يـــدى الله كوقوفى بين يديك ؟ فكأنـــه أمســـك [٢] ولكـــن حاشـــية السوء لم تمسك ، بل ظلوا يزينون القول للمعتصـــم بأنـــه ضـــال مبتدع بل وصفوه بالكفر وكأنه أصبح حلال الدم فلم يزالوا يقولون له :

يـــا أميـــر المؤمنين أنه ضال مضل كافر ، فأمر به فأخذ وجئ بالضرابين ومعهم السياط ، فأخذوا يضربونه المرة بعد الأخرى ، ولم يترك فى كل مرة إلا بعد أن يغمى عليه ، وينخس بالسيف فلا يحس ، وتكرر ذلك واستمر فى محبســـه مـــع هذا العذاب نحو من ثمانية وعشرين شهراً فلما استيئسوا منه أطـــلقوا ســـراحه ، وأعادوه إلى بيته ، وقد أثخنته الجراح ، وأثقله الضرب المـــبرح ، والإلقاء فى السجن حتى إنه كان من شده ما نزل به لا يقوى على السير .[٣]

وبالرغم من هذا فقد جعل الإمام ــ رضى الله عنه ــ كل من أذاه فى حل إلا أهل البدعة ، وكان يتلوا فى ذلك قول الله تعالى :

---

[١] مسلم جـــ١ / ٢٠٦-٢٠٧ ك الايمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

[٢] البداية والنهاية لابن كثير حـــ١٠/ ٧٨٣ ــ ٧٨٥ بتصرف دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـــ ــ ١٩٩٧

[٣] البداية والنهاية حـــ١٠/٧٨٥ ط دار المعرفة الطبعة الثانية وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام أبو زهرة صـــ٤٦٤

"وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ " [١] ويقول ماذا ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك ؟ وقد قال الله تعالى:"فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ " [٢] وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة " رضى الله عنه" عن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " قال : ما نقص مال من صدقة ، ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله " [٣]

ونرى من خلال محنة الإمام أحمد أن بطانة السوء لها أثر سيئ على الأمير فهى لا تعينه على خير أراده ، لا تذكِّره إذا نسيه بل تزين له القول ، لا سيما اذا كان الأمير لم يؤت حظا من العلم والفقه فى الدين . وهذا ما حدث مع المعتصم حيث كانت بطانته سيئة جاهلة ، وحظة من العلم قليلا ، وكان شديد الغضب ضيق الأفق ، لذا فعل بالإمام ما فعل .

والدليل على ذلك إنه قرر رفع المحنة ــ ولكن لما وسوس إليه من حوله بأن الإمام أحمد كفَّره وكفَّرهم ، وأنه إذا خلى سبيله فسوف يقول الناس غلب خليفتين ، عند ذلك حمى واشتد غضبه ولعن أحمد بن حنبل وأمر بأخذه وسحبه وضربه بالسياط ، ثم بعد ذلك ندم على ما فعل .

يقول ابن كثير رحمه الله : " وذلك أن المعتصم ندم على ما كان منه إلى أحمد ندماً كثيراً " [٤]

---

[١] سورة النور من الأية ٢٢

[٢] البداية والنهاية لابن كثير حـ١٠/٧٨٥: ٧٨٦ والأية من سورة الشورى رقم٤٠

[٣] مسلم ك البر والصلة والأداب ب استحباب العفو والتواضع حـ١٦ /١٤١

[٤] البداية والنهاية لابن كثير حـ١٠/٧٨٥ ط دار المعرفه الطبعة الثانية سنة ١٤١٧ ــ ١٩٩٧

وأثناء تعذيب الإمام أحمد بن حنبل ــ رضى الله عنه ــ ظهرت بعض أشياء لعلها من كرامات الإمام .

يقول ابن كثير : ويروى أنه لما أقيم ليضرب انقطعت تكة سراويله فخشى أن يسقط سراويله فتكشف عورته فحرك شفتيه فدعا الله فعاد سراويله كما كان . ويروى أنه كان يقول :

يــا غيــاث المستغثين ، يا إله العالمين ، إن كنت تعلم أنى قائم لك بحق فلا تهتك لى عورة .[١]

ويــروى أن أحمد بن أبى دؤاد وهو محرك الشر ورأس من رؤس الفتنة فى ذاك الوقــت ــ حرض المعتصم على قتل الإمام أحمد بن حنبل ــ رضى الله عنه ــ وقال له :

" يا أمير المؤمنين أن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون ، وسخطت قوله وإنه غلب خليفتين ".[٢]

لكن المعتصم اكتفى بضربه ثم خلى سبيله ، ولم يقتله كما قتل غيره . فيروى أنه حتى اليوم الذى عاد فيه ابن حنبل لامتحانه كان قد قتل قبله رجلين . [٣]

ولعل عدم قتله يرجع إلى أسباب منها :

اولاً : أن جمهور الناس التفوا من حول ابن حنبل اكثر من التفافهم حول أى شــخص أخــر ، فــإذا قتله المعتصم كانت فتنة ــ قال ميمون بن اصبع : "

---

[١] المرجع السابق حـــ١٠/٣٣٥ ط مكتبة المعارف بيروت

[٢] ضحى الاسلام لأحمد أمين جـــ ٣ / ١٨٠

[٣] المرجع لاسابق نفس الجزء ونفس الصفحة

أُخْــرِج أحمــد بعد ان اجتمع الناس وضجوا حتى خاف السلطان " ويروون أيضاً أنه قال : " لو لم أفعل ذلك لوقع شر لا أقدر على دفعه . [١]

ثانيا : لعل المعتصم أعجب بشجاعته وثباته على ما يعتقد أنه الحق فلم يخف ولم يهن، وكان المعتصم شجاعاً يحب الشجعان ، هذا إلى أنه عرف أنه ليس بمــنافق يــريد الــتظاهر بالورع ، بل يتكلم عن عقيدة ويصرح بأن الله قديم وليــس كمــثله شــئ ، ولكن لا يقول بخلق القرآن لأن الله تعالى لم يقله ، ورسول" صلى الله عليه وسلم" لم يدع إليه ..

هذا ، وقد مات المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين ، وَنزغ الفتنة مشتعلة لم تحسم بعد، والوصية بالإمتحان قائمة لم تلغ بعد ، وخلفه الواثق فماذا صنع فى هذه الفتنة الصماء ، والمحنة الشنعاء ؟؟..

---

[١] ضحى الإسلام للإستاذ أحمد أمين حـــ٣/ ١٨٠ : ١٨١

الواثــق والمحــنة

تولى الواثق الخلافة، والفتنة مازالت قائمة ، وامتحان الناس فيها لم ينقطع بعد وكان الواثق متقفاً ثقافة واسعة وكان يسمى : المأمون الأصغر لأدبه وفضله ، وكان المأمون يعظمه ويقدمه على ولده ، وكان الواثق أعلم الناس بكل شئ ، وكــان شــاعراً ، قال الفضل الزيدى : لم يكن فى خلفاء بنى العباس أكثر روايــة للشعر من الواثق ، فقيل له : كان أروى من المأمون ؟ فقال نعم كان المأمون قد مزج بعلم العرب علم الأوائل من النجوم والطب والمنطق . وكان الواثق لا يخلط بعلم العرب شيئاً .[١]

إلا أنه لم يكن أحسن حالاً من عمه المامون ولا أبيه المعتصم بالنسبة لمسألة خــلق القرآن بل إنه كان ــ كما قال ابن كثير ــ : من أشد الناس فى القول بخــلق القرآن ، يدعو إليه ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، اعتماداً على ما كان عليه أبوه قبله وعمه المأمون من غير دليل ولا برهان ، ولا حجة ولا بيان ، ولا سنة ولا قرآن " [٢]

فأعــاد من جديد المحنة على الإمام أحمد بن حنبل ــ ولكنه لم يأمر بضربه بالســوط ، كمــا كان الأمر فى عهد المعتصم ، إذ رأى ذلك زاده منزلة عند الناس ، ومنع فكرة الخليفة من أن تذيع وتنشر ، وفوق ذلك ما ترتب عليه من ســخط العامــة ونقمة من سماهم ابن أبى دؤاد حشو الأمة ، وكانت المحنة الجديدة للامام احمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ أن منعه من

---

[١] تاريخ الخلفاء للسيوطى صـــ٣٤٢ ــ ٣٤٣

[٢] البداية والنهاية حـــ١٠/٧٥٠ ط دار المعرفه

الإجتماع بالناس والتحدث والفتوى وقال له الواثق : " لا تجمعن إليك أحداً ولا تساكنى فى بلد أنا فيه " .[١]

وإن كـــان الواثـــق قد رفع العذاب الحسى عن الإمام أحمد ، فإنه أنزل أشد العذاب على غيره من الذين لم يقولوا بخلق القرآن ، حيث قتل وصلب ..

(وأودع الكثير فى السجون وسموا الظلمة ومنعوا أن يزورهم أحد ، وقيدوا بـــالحديد ، ولـــم يجرعـــليهم شـــئ مـــن الأرزاق الـــتى كانت تجرى على المحبوســـين .[٢] ومـــن العـــلماء الأخيار الذين قتلهم الواثق وأتهمهم بالكفر العلامـــة أحمـــد بـــن نصر الهيثم الخزاعى ، [٣] الذى كان من أكبار العلماء العامـــلين ، القائمين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قتله الواثق بغير ذنب أو جريرة إلا أنه أبى أن يقول إن القرآن مخلوق ، وقال بجواز رؤية الله

---

[١] تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام ابو زهرة صـــ٤٦٥ .

[٢] البداية والنهاية حـــ١٠/٧٥٢ ط دار المعرفة

[٣] هو أحمد بن نصر بن مالك الهيثم الخزاعى كان جده مالك بن الهيثم من أكبر الدعاة إلى دولة بنى العباس وكان أبوه نصر بن مالك يغشاه أهل الحديث وكان أحمد بن نصر من أهل العلم والديانة ، والعمل الصالح ، والإجتهاد فى الخير ، وكان من أئمة السنة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .. سمع الحديث من حماد بن زيد ، وسفيان بن عينيه ، وهاشم بن بشير ، وسمع من الإمام مالك بن أنس أحاديث جيدة ــ حدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقى ، وأخوه يعقوب بن إبراهيم ويحى بن معين وذكره يوماً فترحم عليه وقال : قد ختم الله له بالشهادة كان لا يحدث كثيراً ويقول إنى لست أهلاً لذلك أحسن يحى بن معين الثناء عليه جداً . قال عنه الإمام أحمد : ما كان أسخاه بنفسه ، لقد جاد بنفسه له . البداية والنهاية لابن كثيرحـــ١٠/٧٥٠ ــ٧٥٢ ط دار المعرفة

يـــوم القيامة حيث قال له الواثق : ما تقول فى القرآن ؟ قال : كلام الله ليس بمخلوق فحمله أن يقول مخلوق فأبى ، وسأله عن رؤية الله يوم القيامة ؟ فقال يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك ، قال الله تعالى :

" وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " .[١]

وقـــال رسول الله " صلى الله عليه وسلم" : " إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته " [٢]

فقـــال الواثـــق : ويحـــك هل يُرى كما يرى المحدود المتجسم ويحويه مكان يحصـــره الناظر ، إنما كفرتُ برب هذه صفته ، ثم قال الواثق ما تقولون فى هذا الرجل فأكثروا القول فيه .. فقال عبد الرحمن بن إسحاق ــ وكان قاضياً عـــلى الجانب الغربى فعزل ــ يا أمير المؤمنين هذا حلال الدم وقال آخر . اسقنى دمه يا أمير المؤمنين . وقال ابن أبى دؤاد : هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل .

فقال الواثق : إذا رأيتمونى قمت إليه فلا يقومن أحد معى فإنى أحتسب خطاى ثم نهض ومشئ إليه فضرب عنقه ، وأمر به فحمل رأسه إلى بغداد ، فنصب بالجانب الشرقى أياماً ،والجانب الغربى أياماً ، ولما صلب كتب الواثق ورقة وعلقت فى رأسه نصها :

---

[١] سورة القيامة ٢٢: ٢٣

[٢] مسلم حـــ٣/١٧ /١٨ ــ ك الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين ولفظة " هل تضارون" فى رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك...

هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعى ممن قتل على يدى عـــبدالله هـــارون الواثق بالله أمير المؤمنين بعد ان أقام عليه الحجة فى خلق القرآن ونفى التشبيه .وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح والحمد لله الذى عجله إلى ناره ، وأليم عقابه ، بالكفر فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه ، ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة [١]

هـــذا ، وقد تحدث العلماء عن أشياء حدثت للإمام أحمد بن نصر الخزاعى لعلها من الكرمات التى أختص الله بها أولياءه الصالحين الذين اتخذوا القرآن دستوراً ومنهاجا، والرسول قدوة وإماماً .

من هذه الأشياء ما رواه ابن كثير "رحمه الله " حيث قال :

وقال جعفر بن محمد الصائغ : بصرت عيناى إلا فقئتا ، وسمعت أذناى وإلا فصمتا ، أحمد بن نصر الخزاعى حين ضربت عنقه يقول رأسه : لا إله إلا الله ، وقـــد ســـمعه بعـــض الناس وهو مصلوب على الجذع وراسه يقرأ "الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ [٢]" قال : فاقشعر جلدى .ورأه بعضهم فى النوم فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلى .

ورأى بعضـــهم رســـول الله "صـــلى الله عليه وسلم" فى المنام ومعه أبو بكر وعمـــر ، قد مروا على الجذع الذى عليه رأس أحمد بن نصر الخزاعى فلما

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير حـــ١٠/٣٠٤ : ٣٠٥ ط السعادة ، تاريخ الطبرى حـــ٧/ ٣٢٨ــ ٣٢٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى صـــ٣٤٠ ــ٣٤١ ط السعادة .

[٢] سورة العنكبوت ١: ٢

جـــاوزوه أعـــرض رسول الله " صلى الله عليه وسلم" ـــ بوجهه الكريم عنه فقيل له يا رسول الله : مالك أعرضت عن أحمد بن نصر ؟ فقال: " أعرضت عنه " استحياء منه حين قتله رجل يزعم أنه من أهل بيتى . [١]

رحم الله الإمام أحمد بن نصر الذى تمنى الموت فوهب الله له الحياة ، وكأن لســـان حاله يقول لئن أموت وأنا على الحق خير لى من أن أعيش وأن على الباطل ..

وكـــان ممن نكل به بمصر فى أيام الواثق يوسف بن يحى البويْطى صاحب الإمـــام الشافعى ووارث علمه وشى به حرملة والمزنى وابن الشافعى ولعلهم نفســـوا [٢] عليه علمه ـــ وقيل وشى به ابن أبى الليث الحنفى قاضى مصر ، فكـــتب ابـــن أبى دؤاد إلى والى مصر أن يمتحنه فأبى أن يقول بخلق القرآن وقـــال : " إنما خلق الله الخلق بكن ، فإذا كانت مخلوقة ، فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق ، ولئن أدخلت عليه (على الواثق) لأصدقنه ولأموتن فى حديدى هذا حـــتى يـــأتى قوم يعلمون أنه قد مات فى هذا الشأن قوم فى حديدهم ، وكان الوالى حسن الرأى فيه فقال له قل فيما بينى وبينك قال إنه يقتدى بى مائةالف

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير حـــ١٠/٧٥٢ : ٧٥٣ ط دار المعرفة .

[٢] النفس العين ـــ النافس : العائن ـــ المنفوس ـــ المعيون لسان العرب حـــ٦/٤٥٠ باب النون ط دار المعارف . أى حسدوه

ولا يـــدرون المعنى .. ثم حمل من مصر إلى بغداد ومات فى سجنها وكان مثقلاً بالحديد .[١]

ولـــم يقتصـــر الأمر على محاكمة الولاة للناس ــ بل كانت مجالس الخاصة والعامـــة تـــلوك هذه المسألة ، فإذا جلس عالم مجلساً سأله سائل هل القرآن مخلوق ؟!

وإذا خلا الناس بعضهم إلى بعضهم تحدثوا فى اخبار خلق القرآن .[٢]

ومن حقد على آخر وأراد أن يدس عليه اتهمه بأنه يقول القرآن غير مخلوق .. فيروى أن البخارى ــ رضى الله عنه ــ لما ورد نيسابور واجتمعوا عليه حسده بعض المشايخ فقالوا لأصحاب الحديث إن محمد بن إسماعيل يقول إن اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه فلما حضر الناس قام إليه رجل فقال :

يا أبا عبد الله ما تقول فى اللفظ بالقرآن مخلوق هو أم غير مخلوق فأعرض عنه ولم يجبه فاعاد السؤال فأعرض عنه ثم أعاد فالتفت إليه البخارى وقال :

القـــرآن كـــلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والإمتحان بدعة فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه وقعد البخارى بمنزله .[٣]

---

[١] طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكى حـــ١/٢٧٥ : ٢٧٦ ط الحسينية المصرية وانظر البداية والنهاية حـــ١٠/٣٣٥ ط مكتبة المعارف بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٤٠١هـــ ــ ١٩٨١م وانظر ضحى الأسلام حـــ٣/١٨٤ : ١٨٥ .

[٢] ضحى الأسلام حـــ٣/١٨٥

[٣] طبقات الشافعية حـــ١/ ٢٧٦ ط الحسينية المصرية الطبعة الأولى .

وشـــغل الناس بمسألة خلق القرآن فى كل قطر من الأقطار الإسلامية ، فكان الجدل بين العلماء وامتحان الأمراء للعلماء والقضاة والحكام فى مصر والشام وفارس وغيرها من البلدان .

يقول العلامة أبو المحاسن فى كتابه النجوم الزاهرة :

أن كتاب المأمون وصل إلى مصر فى جمادى الأخرة ونصه كنصه .[١]

وكـــان الوالى بمصر يومئذ نصر بن عبد الله الزهرى ، فأجاب بالقول بخلق القـــرآن ، وامـــتحن الشهود فمن توقف منهم عن القول بذلك سقطت شهادته وامتحن القضاة وأهل السنة وغيرهم [٢]

واستمرت هذه الفتنة الصماء فترة غير يسيرة ، 'اضمحل فيها صوت الحكمة وســـكت صـــوت الرحمة ، وضل الولاة الطريق فلم يحاولوا إقناع الناس أو تعـــليمهم بقدر ما حاولوا إجبارهم على القول بخلق القرآن ولو كانوا كارهين أو مكـــرهين (فهـــذا يوسف بن يحى البُوَيْطى يقول له الوالى : قل إن القرآن مخلوق فيما بينى وبينك)[٣].

وعاش العلماء سنين كان التورع عن الخوض فى خلق القرآن إثما كبيراً لا يعذر فيه مؤمن ، لسابق عمل أو صلاح ، أو حسن سيرة أو احترام الناس له قـــد تفاقم الخطب ، واستمرت البلوى حتى سئم الناس هذه الحال ، بل سئمها القائلون بها ، حتى صارت هزلا لدى بعض الناس فإنه يروى أن الواثق دخل

---

[١] اى كنص الكتاب الذى كتبه اولا

[٢] النجوم الزاهرة جـــ٢ /٢١٨ ط نسخة مصورة عن طبعة دار الكتاب

[٣] طبقات الشافعية جـــ١ / ٢٧٦ ط الحسينية المصرية الطبعة الاولى

عـــليه مضـــحك له اسمه عبادة فقال : يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك فى القرآن .

فقال الواثق : ويلك القرآن يموت ؟!! قال يا أمير المؤمنين كل مخلوق يموت ، بالله يا أمير المؤمنين من يصلى بالناس التراويح إذا مات القرآن ؟ فضحك الواثق وقال قاتلك الله . أمسك ! [١]

ويبدو أن الواثق فى آخر حياته لم يكن متحمساً للقول بخلق القرآن كما كان مـــن قبل .. وأن شيخا ذكر للواثق ان هذا الأمر لم يكن على عهد رسول الله " "صلى الله عليه وسلم " ولا الخلفاء الراشدين.

يقول السبوطى ــ رحمه الله ــ فى كتابه تاريخ الخلفاء :

حمـــل إلى الواثق رجل فيمن حمل مكبل بالحديد من بلاده فلما دخل ــ وابن ابى دؤاد حاضر قال المقيد : أخبرنى عن هذا الأمر الذى دعوتم الناس إليه ، أعـــلمه رسول الله "صلى الله عليه وسلم " فلم يدع الناس إليه ــ أم شئ لم يعـــلمه ؟ قال : ابن أبى دؤاد : بل علمه . قال : فكان يسعه ألا يدعو الناس إليـــه وأنتم لا يسعكم ؟ قال فبهتوا ، وضحك الواثق ، وقام قابضا على فمه ، ودخل بيتا ومدّ رجليه وهو يقول :

وسع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يسكت عنه ولا يسعنا ، فأمر له أن يعـــطى ثلاثمائـــة دينار وأن يرد إلى بلده ولم يمتحن أحداً بعدها ، ومقت ابن أبى دؤاد من يومئذ [٢] .

---

[١] تاريخ المذاهب الآسلامية للإمام أبو زهرة صـــ١٤٥ ــ ١٤٦

[٢] تاريخ الخلفاء صـــ٣٤٢ للسيوطى

والـــرجل المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأذرمى شيخ أبى داود والنسائى ، وقد ناظر بن أبى دؤاد بأكثر من حجة دامغة ، وأفحمه بأدلة عقـــلية واضحة لم يجد ابن أبى دؤاد سبيلاً للرد عليها وكان ذلك فى مجلس الواثـــق الذى بدا منه أنه أعجب برأى الرجل ومقت ابن أبى دؤاد ولم يمتحن أحداً بعد ذلك بل إنه تاب من هذا القول ورجع عنه فعن المهدى " ابنه" قال : " إن الواثق مات وقد تاب من القول بخلق القرآن " [١]

وقد ذكر المسعود تلك القصة فى كتابه مروج الذهب فقال: أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث ، مقيد حسن الهيئة فسلم عليه غير هائب ، ودعا فأوجز فكان الحياء منه فى حماليق عين الواثق والرحمة له ، فقال له يا شيخ أجـــب أبـــا عـــبد الله أحمـــد بن أبى دؤاد فيما يسألك عنه . فقال : يا أمير المؤمـــنين أحمـــد يقل ويضعف عن المناظرة فغضب الواثق حتى صار فى مكان الرقة والرحمة له غضباً وقال له : أبو عبد الله يضعف عن المناظرة ؟ فقـــال له هون عليك يا أمير المؤمنين ، أتأذن فى كلامه ؟ فقال له الواثق قد أذنت لك ، فأقبل الشيخ على أحمد فقال له : يا أحمد ماذا دعوت الناس إليه ؟ فقال إلى القول بخلق القرآن . فقال الشيخ مقالتك هذه التى دعوت الناس إليها من القول بخلق القرآن داخلة فى الدين فلا يكون الدين تاماً إلا بالقول بها ؟ قـــال نعـــم قال الشيخ : رسول الله "صلى الله عليه وسلم " دعا الناس إليها أو تركهم ؟ قال : تركهم . قال : علمها رسول الله "صلى الله عليه وسلم " . أو لـــم يعـــلمها ؟ قال علمها . قال : فلم دعوت الناس إلى مالم يدعهم إليه رسول الله "صلى الله عليه وسلم " وتركهم منه ؟ فأمسك أحمد فقال الشيخ :

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير حـــ١٠/٣٠٩

يا أمير المؤمنين هذه واحدة . ثم قال له بعد ساعة : يا أحمد قال الله فى كتابه العزيـــز " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" [١] فقلت أنت لا يكون الدين تاماً إلا بمقالتكم بخلق القرآن فالله أصدق فى إكماله وإتمامه أو أنت فى نقصانك ؟ فامسك .

فقـــال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثانية . ثم قال له بعد ساعة : إخبرنى يا أحمد عن قول الله عز وجل فى كتابه " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ "[٢] فمقالتك هذه التى دعوت الناس إليها ممـــا بلغه الرسول" صلى الله عليه وسلم" للأمة أم لا ؟ فأمسك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثالثة . ثم قال بعد ساعة أخبرنى يا أحمد لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم" من مقالتك هذه التى دعوت الناس إليها وإلى القول بها من خلق القرآن أَوَسِعَه أن أمسك عنهم أم لا ؟ فقال أحمد :

بل إتسع له ذلك ، فقال : وكذلك لأبى بكر وعمر ؟ وكذلك لعثمان وعلى "رضـــى الله عـــنهم "؟ قـــال: نعم . فصرف وجهه إلىالواثق وقال يا أمير المؤمـــنين إذا لـــم يتســـع لنا ما اتسع لرسول الله " صلى الله عليه وسلم" ولأ صـــحابه فلا وسع الله علينا . فقال الواثق : نعم لا وسع الله علينا إن لم يتسع لـــنا مـــا اتسع لرسول الله " صلى الله عليه وسلم" وأصحابه . ثم قال الواثق: إقطعـــوا قيـــده . فـــلما فكوا قيده عنه جاذب عليه فقال الواثق : دعوه ثم قال للشـــيخ : لِمَـــ جاذبت عليه ؟ قال لأنى عقدت فى نيتى أن أجاذب عليه فإذا أخذته أوصيت أن يجعل بين كفنى وبدنى حتى أقول ، يا رب سل عبدك هذا

---

[١] سورة المائدة من الأية ٣

[٢] سورة المائدة من الأية : ٦٧ .

لم قيدنى ظلما وأراع فىَّ أهلى ، فبكى الواثق وبكى الشيخ وكل من حضر ثم قال له الواثق : يا شيخ اجعلنى فى حل فقال يا أمير المؤمنين ما خرجت من منزلى حتى جعلتك فى حل إعظاما لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولقرابتك منه ..

قال المهدى "ابن الواثق" فرجعت من ذلك الوقت عن تلك المقالة وأحسب أن الواثق رجع عنها .[١]

بعد هذه المناظرة العظيمة من هذا الشيخ الكريم ندم الواثق على ما كان منه وبكى ، ومقت ابن أبى دؤاد ولم يمتحن أحداً بعد ذلك حتى مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وتولى الخلافة من بعده أخوه جعفر بن المعتصم الملقب بالمتوكل على الله ..

لما تولى المتوكل على الله الخلافة كانت مسألة خلق القرآن الكريم قد ضعف شأنها والجميع سآمها " المؤمنون بها وغير المؤمنين بها" وقد سبق أن ذكرنا أنها صارت هزلاً وسخرية وما كان من عبادة المتخنث " مضحك الواثق " إذ قال للواثق. أعظم الله أجرك فى القرآن يا أمير المؤمنين . فقال الواثق ويلك القرآن يموت ؟!

قال : يا أمير المؤمنين كل مخلوق يموت ، بالله يا أمير المؤمنين من يصلى بالناس التراويح إذا مات القرآن . فضحك الواثق وقال قاتلك الله أمسك ..

ثم كانت مناظرة الشيخ المذكورة أنفا ــ والتى بعدها أمسك الواثق عن الحديث فى خلق القرآن ، ولم يمتحن أحداً ، وبذلك كان الوضع مهيأ للكف عن الحديث فى تلك المسألة التى أخذت حيزاً كبيراً ، وشغلت عقول الناس

---

[١] مروج الذهب حـ٤/١٩١ــ ١٩٢ ط دار المعرفة بيروت لبنان

بغير فائدة تعود عليهم فأقدم المتوكل على رفع المحنة ، وعدم امتحان أحد من الناس ، بل أمر بأن لا يتكلم الناس فى علم الكلام ، ومن تكلم فى علم الكلام فالسجن مصيره حتى الموت ولو كان عالماً ، فلا يتكلم أحد إلا بالكتاب والسنة . يقول ابن كثير "رحمه الله " .

كتب المتوكل إلى الأفاق بالمنع من الكلام فى مسألة الكلام والكف عن القول بخلق القرآن ، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم به فالمطبق مأواه إلى أن يموت ، وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير .[١]

ولعل الذى فعله المتوكل أمر طبعى – حيث سبقه ثلاثة من الخلفاء

" أخوة ــ أبوه ــ عمه" أسهبوا فى هذا الموضوع ولم يعودوا بخير ، بل باؤوا بسخط العامة ، وكراهية الخاصة من علماء أهل السنة ولعل ندم المعتصم على ضربه الإمام أحمد وندم الواثق وإمساكه عن الحديث فى خلق القرآن وإمتحان الناس ــ لعل هذا وذاك كان له أثر فى ألا يقع المتوكل فيما وقع فيه غيره من الخطأ فى هذه المسألة ــ بل كانت تلك الآشياء بمثابة مقدمات لفشل أو موت هذه المسألة ..

ولم يكتف المتوكل برفع المحنة بل إنه أكرم علماء أهل السنة وبالغ فى إكرامهم أمواتاً وأحياء فإنه : (أمر بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعى .[٢] والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً

---

[١] البداية والنهاية حـ١٠/٧٦٤ ط دار المعرفة الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م

[٢] من كبار علماء أهل السنة المخلصين العاملين وقد قتله الواثق وعزل رأسه عن جسده لأنه لم يقل أن القرآن مخلوق

وأجتمع فى جنازته خلق كثير .. ثم أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه ، فاجتمع به فأكرمه وأمر له بجائزة سنية فلم يقبلها . وجعل المتوكل فى كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ، ويظن أنه يأكل منه ، وكان أحمد لا يأكل لهم طعاماً بل كان صائما مواصلا طاوياً تلك الآيام .. وارتفعت السنة جداً فى أيام المتوكل ، عفا الله عنه ــ وكان لا يولى أحداً إلا بعد مشورة الإمام أحمد . [١]

وبهذا العمل الطيب نال المتوكل ثناء الناس ودعاءهم حتى قارنوه بالخلفاء الصالحين العادلين ، وأنه أحى السنة وأمات البدعة . يقول السيوطى ــ رحمه الله ــ :

وتوفر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا فى الثناء عليه ، والتعظيم له حتى قال قائلهم : الخلفاء ثلاثة " أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ فى قتل أهل الردة ، وعمربن عبد العزيز فى رد المظالم ، والمتوكل فى إحياء السنة وإماتة التجهم . [٢]

وبذلك تكون قد انتهت محنة خلق القرآن ، وكفى الله الناس الخوض فيها ، ومسألة خلق القرآن اتخذت فى هذه الفترة الجانب السياسى أكثر من اتخاذها الجانب العلمى .. وكما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله سببا فى إخمادها فقد كان الأمراء السابقون له سببا فى ظهورها واستفحالها ومن ورائهم علماء

---

[١] البداية والنهاية لأبن كثير جـ١٠ / ٧٦٤ ط دار المعرفة الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م

[٢] تاريخ الخلفاء صـ٣٤٦

السوء من المعتزلة والمنافقين يشدون أزرهم ويشعلون نار الفتنة كلما أوشكت أن تنطفئ

وفى نظرى أن السبب الرئيسى لظهور الفتنة :

- غرور المأمون وعلامة غروره أنه كان يرى ضرب عنق من لم يقل برأيه .

- جهـــل المعتصم وعلامة جهله أن رأى كأنه ملزم بتنفيذ وصية أخيه وكأن رأى أخيه دين لابد أن يعتقده الناس .

- انقياد الواثق إلى ما كان عليه أبواه بغير تفكير وتدبير للأمر ..

وإن كـــان لم يحدث تعذيب فى عهد المأمون إلا أنه يحمل وزر الذين عذبهم وقتـــلهم كل من المعتصم والواثق دون أن ينقص من وزرهما شئ لأنه كان يرى هذا ودعا إليه فى حياته وأوصى به عند مماته ..

أمـــا عـــلماء المعتزلة الذين كانوا مقربين من الأمراء فإنهم أخطأوا أكثر من خطأ من هذه الأخطاء :

- أنهـــم خاضوا الحديث وأكثروا من الكلام فى خلق القرآن والكلام فى خلق القـــرآن فتـــنة وبدعـــة ــ والسؤال عنه تكلف ليس بواجب كما أنهم وصفوا القـــرآن باســـماء مـــن عـــندهم وفى هذا الضلالُ والهلكة ولو كفوا عن هذا ووصفوا القرآن بما وصفه الله سبحانه لكان خيراً لهم وأقوم .. روى صاحب العقد الفريد:

أن بشراً المريسى كتب إلى أبى يحى منصور بن محمد يسأله : القرآن خالق أم مخلوق فكتب إليه أبو يحى " عافانا الله وإياك من كل فتنة ، وجعلنا وإياك مـــن أهل السنة ، وممن لا يرغب بنفسه على الجماعة ، فإنه إن يفعل فأعظم بها منَّه ، وأن لا تفعل فهى الهلكة ، ونحن نقول : إن الكلام فى القرآن بدعة يتكلف المجيب ما ليس عليه ، ويتعاطى السائل ما ليس عليه ، وما نعلم خالقاً إلا الله ، ومـــا سوى الله فمخلوق ، والقرآن كلام الله فانته بنفسك إلى أسمائه

التى سماه الله بها فتكون من المهتدين ، ولا تسمِّ القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين . جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون "[١]

من أخطاء المعتزلة أنهم أرادو أن يشركوا العامة فى مسائل من علم الكلام ، وهذا خطأ شنيع لأن عقول العامة لم تستطع استيعاب هذا العلم لأنهم أبعد الناس عن ذلك . وأنَّى يتسنى لهم فهم ذلك وعلم الكلام ــ كما يقول الأستاذ أحمد أمين ، علم دقيق تاهت فيه عقول الخاصة ، فهو للفلاسفة وأمثالهم لا للعامة وأشباههم .[٢]

ولو إنهم اهتموا بتعليم العامة الفقه وأصول الدين لكان خيراً لهم حيث إن هذه المسألة لا تمثل أكثر من فرع من فروع الدين ، والإختلاف فى الفرع لا يضر القوم مادام أصل الدين يجمعهم وحول هذا المعنى يقول أبو العتاهية " رحمه الله" : ــ يخاطب ابن أبى دؤاد ــ

لو كنت فى الرأى منسوبا إلى رشد وكان عزمك عزماً فيه توفيق
لكان فى الفقه شغل لو قنعت به عن أن تقول كتاب الله مخلوق
ماذا عليك واصل الدين يجمعهم ماكان فى الفرع لولاالجهل والموق[٣]

---

[١] حـ٢/٣٣٥ العقد الفريد لأحمد بن عبدربه الأندلسى ط دار الفكر

[٢] ضحى الإسلام حـ٣/١٩١

[٣] البداية والنهاية لابن كثير حـ١٠/٧٦٤ ط دار المعرفة الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧م والموق الجهل .

من أخطاء المعتزلة أنهم أوحوا إلى الأمراء بأن يحملوا الناس على هذا القول مستغلين سلطانهم وسيوفهم وجنودهم فى هذه المسألة فكأنهم أرادوا أن يجعلوا مجالسهم للجدل والمناظرة مجمعاً كجمع القساوسة يقررون فيه ما يشاؤون ثم يرغمون الناس على القول بما يقررون ، بل زادوا عليهم قوة وتعذيباً[١] وهذا جهل عميق بدين الله تعالى ، ومخالفة صريحة للقرآن الكريم الذى بين لنا أن تصحيح العقيدة وتوضيح المفاهيم لا يكون بالإكراه والتعذيب وقوة السلطان فإن العقيدة محلها القلب ولا سلطان على القلب إلا لرب القلب .

ثم إن انتشار العقيدة يكون بالإقناع والبيان والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وحسبنا قول ربنا سبحانه وتعالى : " لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ "[٢] وقوله جل جلاله " أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ "[٣] وقوله سبحانه : " فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر "[٤] وقوله : " ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "[٥].

---

[١] ضحى الإسلام حـ٣/١٩١ ــ ١٩٢

[٢] سورة البقرة من الأية ٢٥٦ -

[٣] سورة يونس من الأية ٩٩

[٤] سورة الغاشية : ٢١ ــ ٢٢

[٥] النحل أية : ١٢٥

لكـــن المعـــتزلة تركوا ذلك كله ، وأوغلوا صدور الأمراء ضد العلماء حتى صارت حرباً شعواء على من لم يقر بخلق القرآن الكريم وكان من الأمر ما كان ...

مـــن أخطاء المعتزلة الشنيعة تشددهم الذميم وغلوهم المبالغ فيه ، حيث عدوا الســـكوت عن القول بخلق القرآن إثما وجريمة بل ربما جعلوه كفراً حلال دم صاحبه علما بأن أساس الإسلام " لا إله إلا الله محمد رسول الله "

فمـــن قالها عصم دمه وماله وحسابه على الله كما جاء بذلك الحديث الصحيح المتفق عليه ..[1]

ومما يدعو إلى العجب والغرابة أن يكون مصدر هذا التعذيب وتلك المحنة هم المعـــتزلة الداعيـــن إلى حرية الفكر والقائلين بسلطة العقل ، فقد كان الظن بهـــؤلاء التســـامح فىالعقيـــدة والبعد عن الضغط والتعذيب ، ولكن تزمتهم وتعسفهم جعلهم ــ رغم أنهم يؤمنون بسلطان العقل ــ يرون أن من لا يحكِّم عقلـــه كما حكّموا هم ــ أنعام أو كالأنعام ويجب أن يحمل من لا يعقل على قـــول مـــن يعقـــل . وفاتهم أن العقول متفاوتة وأنماطها مختلفة وأن القول

---

[1] الحديث اخرجه مسلم حـــ١/ ٢٠٦ ــ٢٠٧ كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا " لا إله إلا الله " . واخرجه البخارى حـــ١/٥٩٢ كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة الحديث رقم ٣٩٢ ونصه : عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا " لا إله إلا الله " فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا . فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله.

بسلطان العقل يقتضى أن يعذر من ضاق عقله ويسمح له أن يسير فى حياته حسب عقلة مالم يضربمصلحة عامة [١].

---

[١] ضحى الإسلام حـ٣/١٩٢ بتلخص

الجانب العلمى العقدى

يرى المعتزلة أن القرآن مخلوق محدث ، لم يكن ثم كان وأنه غير الله عز وجل ، وهو كالكلام الذى يتألف من حروف وأصوات يتضح ذلك من تفسيراتهم لأيات القرآن التى تتعلق بهذه المسألة . ومن هذه الأيات قوله تعالى:

١-وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا . [١]

يقول الزمخشرى حول هذه الأية – وهو رأس الإعتزال :

... وعن إبراهيم ويحى بن وثاب أنهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه : وجرح الله موسى بأظفار المحن ، ومخالب الفتن .[٢]

لكن ابن المنير وهو من علماء أهل السنة – يرد هذا التفسير فيقول :

وإنما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لإنكارهم الكلام الذى هو صفة الذات ، إذ لا يثبتون . إلا الحروف والأصوات قائمة بالأجسام لا بذات الله ، فيرد عليهم بجحدهم كلام النفس أبطال خصوصية موسى "عليه السلام " فى التكليم ، إذ لا يثبتونه إلا بمعنى سماعه حروفا وأصواتا قائمة ببعض الأجرام ، وذلك مشترك بين موسى وكل سامع لهذه الحروف حتى المشرك الذى قال الله فيه " حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ "[٣] فيضطر المعتزالى إلى إبطال الخصوصية

---

[١] سورة النساء من الأية ١٦٤

[٢] الكشاف حـ١/٣١٤

[٣] سورة التوبة من الأية : ٦

الموسوية بحمل التكليم على التجريح ، وصدق الزمخشرى وأنصف إنه لمن بدع التفاسير التى ينبو عنها الفهم ولا يبين بها إلا الوهم [١].

وعندما يزعم الزمخشرى أن قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليما ".[٢]

يُقرأ ينصب لفظ الجلالة إنما يكون وقع فى خطأين :

الخطأ الاول : تحريف لفظ القرآن ومعناه .

الخطأ الثانى : إنكاره تشريف سيدنا موسى "عليه السلام" بمنزلة تكليم الله له ويطيب لنا أن نبين ونفصل هذين الخطأين ، وأنهما بمنأى عن الصواب فتقول بعون الله وتوفيقه .

الخطأ الأول : فيه تحريف لفظ القرآن ومعناه.

وذلك لأن نصب لفظ الجلالة لا يصح لما فيه من مخالفة القراءات الصحيحة قال الحافظ أبو بكر بن مردوية : حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان المالكى حدثنى مسيح بن حاتم ، حدثنا عبد الجبار بن عبد الله قال : جاء رجل إلى أبى بكر بن عياش فقال سمعت رجلاً يقرأ وكلم اللهَ موسى تكليما " يعنى بفتح الهاء من لفظ الجلالة ــ فقال أبو بكر : ما قرأ هذا إلا كافر قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش على ابن وثاب ، وقرأ يحى بن وثاب على أبى عبد الرحمن السلمى ، وقرأ أبو عبد الرحمن على علىّ بن أبى طالب وقرأ على ابن أبى طالب على رسول الله "صلى الله عليه وسلم "

وكلم اللهُ موسى تكليما .[٣] أى بالرفع .

---

[١] الكشاف وهامشه حـ١/٣١٤

[٢] سورة النساء من الأية : ١٦٤

[٣] تفسير القرآن العظيم حـ٢/٢٩٥

وقال بعضهم لأبى عمرو بن العلاء ــ أحد القراء السبعة – أريد أن تقرأ وكلم الله موسى ، بنصب اسم الله ليكون موسى هو المتكلم لا الله ! فقال أبــو عمرو : هب أنى قرأت هذا كذا – فكيف تصنع بقوله تعالى : " ولما جاء موسى ليقاتنا وكلمه ربه " فبهت المعتزلى لأن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل .[١]

ثــم إن نصــب لفظ الجلالة مخالف لقواعد اللغة العربية – والقرآن منزل بلسان عربى مبين ، حيث إن تكليما مصدر معناه التأكيد يدل على بطلان مــن يقــول : خلق لنفسه كلاماً فى شجرة فسمعه موسى ، بل هو الكلام الحقيقى الذى يكون به المتكلم متكلما . قال النحاس :

أجمع النحويون على انك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا ، وأنه لا يجوز فى قول الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قَطْنِى

أن يقــول : قــال قولا ، فكذا لما قال تكليما وجب أن يكون الكلام على الحقيقة من الكلام الذى يعقل[٢] .

فالتأكيد بالمصدر بيّن أن الكلام على حقيقتة وليس على المجاز .قال ثعلب:

لولا التأكيد بالمصدر لجاز أن تقول قد كلمت لك فلانا بمعنى كتبت إليه

---

[١] انظر شرح العقيدة الطحاوية حـــ١/١٦٢ وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد حـــ٢/ ١٢ ط دار الكتاب العربى بيروت – لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٢- ١٩٨٢

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـــ٦/١٨

رقعة وبعثت إليه رسولا فلما قال تكليما لم يكن إلا كلاما مسموعا من الله تعالى .[١]

وقال العلامة أبو السعود وقوله تعالى (تكليما) مصدر مؤكد رافع لإحتمال المجاز قال القراء : العرب تسمى ما وصل إلى الإنسان كلاما بأى طريق وصل مالم يؤكد بالمصدر فإذا أكد به لم يكن إلا حقيقة الكلام .[٢]

الخطأ الثانى : الذى وقع فيه الزمخشرى – إنكاره تشريف سيدنا موسى – عليه السلام – بمنزلة تكليم الله له – ولا خلاف بين العلماء أن موسى كليم الله .

يقـــول شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبرى – رحمه الله – فى تفسير قوله تعالى : " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مِّن كَلَّمَ اللَّهُ " [٣] يقول تعالى ذكره هؤلاء رسلى فضلت بعضهم على بعض فكلمت بعضهم والذى كلمته موسى "صلى الله عليه وسلم" – وعن مجاهد : كلم الله موسى وأرسل محمدا "صلى الله عليه وسلم " إلى الناس كافة .[٤]

ويقول ابن كثير " عن كلام الله لموسى " هذا تشريف لموسى "عليه السلام" بهذه الصفة ولهذا يقال له الكليم .[٥]

---

[١] تفسير البحر المحيط لأبى حيان حـــ٣٩٨/٣ ط مكتبة النصر الحديثة الرياض .

[٢] انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود حـــ٢٥٦/١ ط مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد.

[٣] سورة البقرة من الأية ٢٥٣

[٤] تفسير الطبرى جـــ٣ / ٣

[٥] تفسير القرآن العظيم لابن كثير حـــ٢٩٥/٢

ثـم انـه لـو كـان معنى الأية أن موسى هو الذى كلم الله تعالى كما زعم الزمخشرى – لكان كل أحد يكلم ربه أو يناجى ربه مثل موسى – عليه السلام – ولما سمى موسى بالكليم ، ولما كان المقصود بقوله تعالى : منهم من كلم الله

يقول الطبرى – رحمه الله – أما قوله : " وكلم الله موسى تكليما"[١] فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه .

وخـاطب الله بكلامه موسى خطابا ... وسئل نوح ابن أبى مريم[٢] كيف كلم الله موسى ؟ فقال مشافهة .[٣]

هذا وعندما ننظر الى الأيات التى تضمنت تكليم الله تعالى موسى – عـليه السـلام– نجد أن منها عاما مجملا وأن الله قد فصل ما أجمله من أيات .

---

[١] سورة النساء من الأية ١٦٤

[٢] نـوح ابن أبى مريم هو يزيد بن جعونه المروزى أبو عصمة القرشى قاض مرو . قـال العباس بن مصعب : كان أبوه مجوسيا ويعرف بنوح الجامع وسمى الجامع لأنه أخـذ الفقه عن أبى حنيفة وابن أبى ليلى والحديث عن حجاج بن أرطاه والمغازى عن ابـن إسحاق والتفسير عن الكلبى ومقاتل وكان مع ذلك عالما بأمور الدنيا فسمى الجامع – أدرك الزهرى وابن المنكدر وكان يدلس عنهما قال الدراقطنى : متروك الحديث وقال البخارى نوح بن أبى مريم ذاهب الحديث وقال ابن حبان نوح الجامع جمع كل شئ إلا الصـدق . مات سنة ثلاث وسبعين ومائه . انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى حـ١٠/٤٨٦ : ٤٨٨ ط دار صادر بيروت سنة١٣٢٧هـ .

[٣] تفسير الطبرى حـ٤/٤٠٧ .

يقول إمام الأئمة ابن خزيمة – رحمه الله– قال الله جل وعلا " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ "[١] فأجمل الله تعالى ذكر من كلمه فى هذه الأية فلم يذكره باسم ولا نسب ولا صفة فيعرف المخاطب بهذه الأية التالي لها أو سامعها من غيره أى الرسل الذى كلمه الله من بين الرسل وكذلك أجمل الله أيضا فى هذه الأية الجهات التى كلمه الله عليها من علمه أنه كلمهم من الرسل فبين فى قوله :" وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ "[٢] الجهات التى كلم الله عليها بعض البشر فأعلم انه كلم بعضهم وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء وبين فى قوله : "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا" [٣] أن موسى " صلى الله عليه وسلم " كلمه تكليما فبين لعباده المؤمنين فى هذه الأية ما كان أجمله فى قوله : (منهم من كلم الله) (فسمى فى هذه الأية) [٤] كليمه وأعلم أنه موسى الذى خصه الله بكلامه ، وكذلك قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) [٥] مفسر للأية الأولى . سمى الله فى هذه الأية كليمه وأعلم أنه موسى الذى خصه الله بالتسمية من بين جميع الرسل صلوات الله عليهم ، وأعلم جل ثناؤه أن ربه الذى كلمه ، وأعلم الله تعالى فى أية أخرى أنه اصطفى موسى برسالته

---

[١] سورة البقرة من الأية ٢٥٣

[٢] سورة الشورى من الأية ٥١

[٣] سورة النساء من الأية : ١٦٤

[٤] أرى ان الأولى ان يقال " فوصف فى هذه الاية"

[٥] سورة الأعراف من الأية : ١٤٣

وبكلامـــه ، فقـــال عز وجل " يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين " [١] ففى هذه الأية زيادة بيان وهى إعـــلام الله فى هـــذه الأيـــة بعـــض ما به كلم موسى ألا تسمع قوله :" إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين " بيـــن فى آى أخـــر بعـــض كلامه ماكلمه الله عز وجل فقال فى سورة طه " فـــلما اتاهـــا نـــودى يا موسى إنى أنا ربك فأخلع نعلك إنك بالواد المقدس طـــوى " [٢] وقـــال فى سورة النمل : " إذ قال موسى لأهله أنى آنست نارا سأتيكم منها بخير أو أتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى إنه أنا الله العزيـــز الحكيم " [٣] وقال فى سورة القصص : " فلما أتاها نودى من شاطئ الـــواد الأيمـــن فى الـــبقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى إنى انا الله رب العالمين "[٤]

فـــبين الله فى الآى الـــثلاث بعض ما كلم الله به موسى مما لا يجوز ان يكـــون من ألفاظ ملك مقرب ولاملك غير مقرب غير جائز أن يخاطب ملك مقرب موسى فيقول : " إنى انا الله رب العالمين" أو يقول :

---

[١] سورة الأعراف من الأية : ١٤٤

[٢] سورة طه ١٢

[٣] سورة النمل : ٧ : ٩

[٤] سورة القصص : ٣٠

" فإنى انا ربك فاخلع نعليك " قال الله تعالى : "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُوا" [١] فأعلم أن فى هذه الأية أن له جل علاه كلمة يتكلم بها .[٢]

وفى السنة ما يؤيد ذلك ، فقد روى الشيخان وأبو داود – واللفظ له .عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" – "إن موسى "عليه الصلاة والسلام " قال يا رب أرنا أدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله أدم "عليه السلام " فقال أنت أبونا أدم ؟ قال له أدم نعم . قال أنت الذى نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال نعم . قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال له أدم ومن أنت ؟ قال أنا موسى . قال أنت نبى بنى إسرائيل الذى كلمه الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال نعم قال أفما وجدت أن ذلك كان فى كتاب الله قبل أن أخلق ؟ قال . نعم قال فبم تلومنى فى شئ سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلى ؟

قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم" عند ذلك فحج أدم موسى " [٣]

---

[١] سورة الأعراف من الأية : ١٣٧

[٢] التوحيد واثبات صفات الرب للإمام محمد بن خزيمة صـ١٣٧ –١٣٨ ط دار الشرق

[٣] ابو داود حـ٤/٢٢٥-٢٢٦ كتاب السنة باب القدر حديث رقم ٤٧٠٢ ط الدار المصرية اللبنانية – وانظر صحيح البخارى حـ١١/٥١٣ كتاب القدر باب تحاج أدم موسى عند الله – وانظر صحيح مسلم حـ١٦/ ٢٠٠ ك القدر باب حجاج أدم وموسى" صلى الله عليهما وسلم"

مما سبق يتضح أن قراءة قوله الله تعالى " وكلم الله نوسى تكليما " بنصب لفظ الجلالة ، وأن إنكار تكليم الله موسى جريمة لغوية ، ومخالفة شرعية ، وفى ذلك إنكار لما شرف الله به نبيه موسى "عليه السلام " من كلامه معه بغير واسطة .

وأخيرا فإن قراءة النصب مرجوحة ومحجوجة بما هو أقوى منها حجة وكفى بورود قراءة الرفع حجة .

هذا وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل – رضى الله عنه– كثيرا من الأدلة التى تبين أن كلام الله ليس مخلوقا ورد على شبه المعارضين حيث استدلوا على خلق القرآن بقوله تعالى :

" قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ[١] " فقال الإمام أحمد – رحمه الله– من الأعلام والدلالات انه لا يعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة قال الله للريح التى ارسلها على عاد:" تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ" [٢]ومساكنهم شئ ، ولم تدخل فى عموم كل شئ دمرته الريح وذلك لأن المراد تدمر كل شئ يقبل التدمير بالريح عادة أو ما يستحقه التدمير .. وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها وقد قال " تدمر كل شئ" فكذلك إذا قال : خالق كل شئ " لا يعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة – وقال عن ملكة سبأ " وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ"[٣] .. وكان ملك سليمان شيئا ولم

---

[١] سورة الرعد من الأية ١٦

[٢] سورة الأحقاف من الأية ٢٥

[٣] سورة النمل من الأية ٢٣

تؤتـــه . كذلك إذا قال: خالق كل شئ لا يعنى كلامه عن الأشياء المخلوقة .
وقال الله لموسى "عليه السلام " وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي"(١)
وقال وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ " (٢) وقال"كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ " (٣) وقال " تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ " (٤) ثم قال " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " (٥) فقـــد عرف من عقل عن الله أنه لا يعنى نفسه مع الأنفس التى تـــذوق الموت ، وقد ذكر الله عز وجل نفسه ، فكذلك إن قال : خالق كل شئ لا يعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة(٦).
٢ــ قـــول الله تعالى "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " (٧)

---

(١) سورة طه من الاية ٤١
(٢) سورة آل عمران من الاية ٣٠
(٣) سورة الانعام من الاية ٥٤
(٤) سورة المائدة من الاية ١١٦
(٥) سورة ال عمران من الاية ١٨٥
(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية صـــ ١٢٥ وانظر عقائد السلف للأئمة : أحمد بن حنبل ، والبخارى ، وابن قتيبية : الرسالة الاولى صـــ ٧٦ – ٧٧ تحقيق الدكتور على سامى النشار والدكتور عماد الطالبى منشأة المعارف بالاسكندرية
(٧) سورة القصص اية : ٣٠

إحتجت المعتزلة على قولهم ، إن الله تعالى متكلم بكلام يخلقه فى جسم بقوله "مـــن الشجرة " فإن هذا فى رأيهم صريح فى أن موسى "عليه السلام " سمع الـــنداء مـــن الشجرة والمتكلم بذلك النداء هو الله سبحانه وهو تعالى منزه أن يكـــون فى جســـم فثبت أنه تعالى إنما يتكلم بخلق القرآن فى جسم وذلك لأن المعتزلة يقولون : إن القرآن مخلوق خلقه الله منفصلا عنه. [١]

أجـــاب القائـــلون بقـــدم الكـــلام فقالوا لنا مذهبان الأول : قول أبى منصور الماتـــريدى وأئمـــة ما وراء النهر وهو أن الكلام القديم القائم بذات الله تعالى غيـــر مســـموع إنمـــا المسموع هو الصوت والحرف وذلك كان مخلوقا فى الشجرة ومسموعا منها ، وعلى هذا التقدير زال السؤال .

الثانى قول أبى الحسن الأشعرى وهو أن الكلام الذى ليس بحرف ولا صوت يمكن أن يكون مسموعا ، كما أن الذات التى ليست بجسم ولاى عرض يمكن أن تكـــون مـــرئية ، فعلى هذا القول لا يبعد أنه سمع الحرف والصوت من الشجرة فلا منافاة بين الآمرين .. واحتج أهل السنة بأن قوله:

" إنى أنا الله رب العالمين " لو كان هو الشجرة لكان قد قالت الشجرة إنى أنا الله . والمعـــتزلة أجـــابوا بأن هذا إنما يلزم لو كان المتكلم بالكلام هو محل الكـــلام لا فاعلـــه وهـــذا هو أصل المسألة .. اجاب أهل السنة بأن الذراع المســـموم قـــال لا تـــأكل منى فإنى مسموم ففاعل ذلك الكلام هو الله سبحانه وتعالى فإن كان المتكلم بالكلام هو فاعل ذلك الكلام لزم أن يكون الله قال لا تأكل منى فإنى مسموم ، وهذا باطل ،

---

[١] التفسير الكبير حـــ٢٣ / ٢٧٥ ط دار الغد وانظر شرح الطحاوية حـــ١/١٥٩

وإن كان المتكلم هو محل الكلام لزم أن تكون الشجرة قد قالت إنى أنا الله وكل ذلك باطل .[١]

وكـــون أن موسى "عليه السلام" سمع كلام الله من عند الشجرة لا يستلزم أن يكـــون الكـــلام مخـــلوق فى الشجرة أو مسموعا منها ، وإنما غاية الأمر أن الكلام من الله والمكان الذى سمع فيه موسى هذا الكلام كان من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة . يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية وهـــو يرد على المعتزلة : وما أفسد استدلالهم بقوله : نودى من شاطئ الواد الأيمـــن من البقعة المباركة من الشجرة .. على ان الكلام خلقه الله تعالى فى هذه الشجرة فسمعه موسى منها ! وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها ، فان الله تعالى قال :

" فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن " والنداء هو الكلام من بعد ، فسمع موسى عليه السلام ــ النداء من حافة الوادى ثم قال : فى البقعة المباركة من الشـــجرة أى أن الـــنداء كان فى البقعة المباركة من عند الشجرة ، كما يقول سمعت كلام زيد من البيت ، يكون من البيت لابتداء الغاية ، لا أن البيت هو المتكلم ولو كان الكلام مخلوقا فى الشجرة لكانت الشجرة هى القائلة :

" يـــا موسى إنى أنا الله رب العالمين "وهل قال " إنى أنا الله رب العالمين " غير رب العالمين ؟! ولو كان هذا الكلام بدء من غير الله لكان قول فرعون " " أنـــا ربكم الأعلى " صدقا ، اذ كلٌ من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله ! وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة : أن ذلك كلام خلقه الله فى الشجرة وهذا كلام خلقه فرعون

---

[١] التفسير الكبير حـــ٢٣/٢٧٥ ط دار الغد

فحرفوا ويدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله [١] .

ويمكن أن تقول إنما سمعه موسى " عليه السلام " هو كلام الله ، سمعه بلا صوت ولا حرف ولكن الله أودع فى موسى "وهو على كل شئ قدير" القوة والقدرة التى استطاع بها موسى ان يتلقى هذا الكلام وما ذلك ببعيد لان خوارق العادات من شأن الله تعالى يجعلها معجزات لرسله وكون موسى " عليه السلام " مُيّز بتكليم الله عز وجل له فلابد ان يكون التكليم متسما بخرق العادة .

أما قولهم : ان الكلام جاء من الشجرة فهو لان الشجرة جعلها الله أية لموسى حيث اشتعلت فيها النيران وهى خضراء فلم تنطفئ النار لخضرة الشجرة وإنما جعل الله الشجرة لموسى بما أودع فيها من ذلك النور دليلا يهتدى به إلى المكان الذى أراد الله أن يكلم موسى فيه فلم يكن الكلام من الشجرة كما يقولون وإنما كان فى المكان الذى فيه الشجرة وهذا ما حدى بالمعتزلة أن يقولوا أن الله خلق الكلام فى الشجرة فكلمت موسى .. والله أعلم .

ومما يرد قول المعتزلة أن القرآن مخلوق خلقه الله منفصلا عنه .

أن الرسل الذين خاطبوا الناس وأخبروهم ان الله قال ونادى وناجى ويقول ولم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه ، بل الذى أفهمهم إياه : أن الله نفسه هو الذى تكلم ، والكلام به لا بغيره ، وأنه هو الذى تكلم به وقاله كماقالت السيدة عائشة - رضى الله عنها - فى حديث الإفك :

---

[١] شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية لعلا بن ابى المعز الحنفى حـ١/١٦٨ ــ ١٦٩

"والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحياً يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىَّ بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله "صلى الله عليه وسلم " فى النوم رؤيا يبرؤنى الله بها " [١]

ولا يعرف فى لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وإنما قام الكلام بغيره ، وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذرا من التشبيه ، فلا يثبتوا صفة غيره . فإنهم إذا قالوا : يعلم لا كعلمنا ، قلنا ويتكلم لا كتكلمنا .. وإنما يتكلم كما يليق بجلاله ألا ترى إنه تعالى يقول : " الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم " [٢] فنحن نؤمن أنها تتكلم ولا نعلم كيف تتكلم وكذا قوله تعالى : "وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ" [٣]

وكذلك تسبيح الحصا والطعام ، كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من لديه المعتمد على مقاطع الحروف ــ ثم إن من دعاء النبى "صلى الله عليه وسلم" إذا نزل منزلا " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " [٤]

فهل يقول عاقل إنه "صلى الله عليه وسلم" : عاذ بمخلوق ؟! بل هذا كله كقوله

---

[١] الحديث رواه الشيخان وهذه رواية البخارى حـ٨/٣٠٨ كتاب تفسير القرآن سورة النور باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين وانظر صحيح مسلم حـ١٧/١١٢ ك التوبة ب فى حديث الإفك وقبول توبة القاذف .

[٢] سورة يس من الأية ٦٥

[٣] سورة فصلت من الأية ٢١

[٤] رواه مسلم حـ١٧/٣١ ك الذكر والدعاء باب الدعوات والتعوذ .

"صلى الله عليه وسلم " اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافتك من عقوبتك "[١] ــ وكقوله "صلى الله عليه وسلم" : أعوذ بعزة الله من شر ما اجد وأحاذر " [٢] وكقوله "صلى الله عليه وسلم " وأعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا " [٣]

كل هذه من صفات الله .[٤]

ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه فى شجرة أن يكون من سمع كلام الله من ملك أونبى أتاه به من عند الله أفضل مرتبة فى سماع الكلام من موسى لأنهم سمعوه من نبى ، ولم يسمعه موسى "عليه السلام "من الله ، وإنما سمعه من شجرة ، وأن يزعموا أن اليهود اذا سمعت كلام الله من موسى نبى الله ــ أفضل مرتبة فى هذا المعنى من موسى بن عمران

---

[١] رواه الترمذى حـ١٠/١٣ ك الدعوات ب فى دعاء الوتر وقال حسن غريب

[٢] رواه الترمذى ونصه " عن عثمان بن أبى العاص أنه قال : " أتانى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ــ وبى وجع قد كاد يهلكنى ، فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" امسح بيمينك سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقدرته وسلطانه من شر ما أجد "قال: ففعلت ، فأذهب الله ما كان بى ، فلم أزل أمر به أهلى وغيرهم " الترمذى حـ٢ /٢٤٥ ك الطب ٢٩ وقال حسن صحيح ورواه مالك فى الموطأ حـ٢ /٧٣٨ ك العين ب التعوذ والرقية فى الرضا حديث رقم : ٩ ط دار إحياء الكتب العربية .. ورواه أبو داود كتاب الطب باب كيف الرقى حديث رقم ٣٨٩١ ... وابن ماجه كتاب الطب باب ماعوذ به النبى " صلى الله عليه وسلم" حديث رقم ٣٥٢٢ .

[٣] رواه النسائى حـ٨/٦٧٧ ك الإستعاذة ب الإستعاذة من الخسف حديث رقم ٥٥٤٤ ونصه " اللهم انى أعوذ بك ان اغتال من تحتى "

[٤] شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية حـ١/١٦١ :١٦٢ ــ بتصرف وتقديم وتأخير

" صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم ــ لان اليهود سمعته من نبى من الأنبياء ، وموسى "صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم سمعه مخلوقا فى شجرة ، ولو كان مخلوقا فى شجرة لم يكن الله عز وجل مكلما موسى من وراء حجاب . ولأن كـــلام الله عز وجل لموسى "عليه السلام" لو كان مخلوقا فى شجرة كما زعموا لزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة ووجب عليهم أن مخلوقا مـــن المخلوقين كلم موسى وقال له " إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى "وهذا ظاهر الفساد .[١]

وفســـاده أن ليـــس أحد قال " إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى " [٢] إلا رب العالمين الذى قال لموسى " إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ . [٣]

ولأن الله مخـــبر عن المشركين أنهم قالوا ، إن هذا إلا قول البشر[٤] . يعنون القـــرآن الكـــريم فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولا للبشر ، وهذا ما أنكـــره الله على المشركين ، ولأن الله تعالى قال : " قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى "[٥] فلو كانت البحار مدادا يكتب به لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات الله عز وجل

---

[١] الإعتقاد على مذهب اهل السنة والجماعة للحافظ البيهقى صـــ٣٣ صححه ونشره أول مرة أحمد محمد موسى ١٣٨٠هـــ ــ ١٩٦١ م

[٢] سورة طه من الأية ١٤

[٣] سورة القصص من الأية ٣٠

[٤] قال تعالى : " فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر " سورة المدثر الأيات من ٢٤ : ٢٦

[٥] سورة الكهف من الأية : ١٠٩

كما لا يلحق الفناء علم الله لأن من فنى كلامه . لحقته الأفات وجرى عليه السكوت ، فلم لم يجز ذلك على ربنا عز وجل صح أنه لم يزل متكلما ولا يزال متكلما ، وقد نفى النفاد عن كلامه كما نفى الهلاك عن وجهه .[١]

فكأن الذى يقول بخلق القرآن ينسب القرآن إلى غير الله كما زعم المشركون أنه قول البشر ولعل هذا الذى جعل الإمام الشافعى — رضى الله عنه — يصرح بكفر من يقول أن القرآن مخلوق . قال ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية :

قال الشافعى : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر .. وانه – أى الشافعى – كان يمر بأيات الصفات وأحاديثها من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف على طريقة السلف [٢]

٣- قول الله تعالى :

" وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "[٣]

إحتج المعتزلة بهذه الأية على خلق القرآن . يقول الزمخشرى : فإن قلت:

---

[١] انظر الأعتقاد على مذاهب أهل السنة والجماعة صـ٣٤

[٢] البداية والنهاية حـ٩/٢٥٤ ط دار الفكر العربى الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ — ١٩٣٣

[٣] سورة فصلت ١٩ :٢١

كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق ؟ قلت : الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بأن يخلق فيه كلاماً .[١]

أقول : وقع الزمخشرى فى خطأ واضح حيث شبه كلام الأعضاء يوم القيامة بالكلام الذى سمعه موسى "عليه السلام" وهو بالواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة وأن كلاهما مخلوق ، الأول مخلوق فى الأعضاء والثانى مخلوق فى الشجرة ، وفاته أن الكلام الذى سمعه موسى كلام الله ، أما كلام الأعضاء يوم القيامة وشهادتها فإنه ليس كلام الله وإنما كلام الأعضاء وشهادة الأعضاء بدليل قول الله بعد ذلك " وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا " أى أن الجلود هى التى شهدت وهى التى نطقت والله تعالى هو الذى أنطقها .

يقول الفخر الرازى : ردا على المعتزلة : فى هذه الأية :

فـــإنهم يقولون إن الله تعالى خلق الكلام فى الشجرة وكان المتكلم بذلك الكلام هو الله تعالى لا الشجرة . فها هنا لو قلنا إن الله خلق الأصوات والحروف فى تـــلك الأعضاء لزم أن يكون الشاهد هو الله تعالى لا تلك الأعضاء ولزم أن يكون المتكلم بذلك الكلام هو الله لا تلك الأعضاء ، وظاهر القرآن يدل على أن تلك الشهادة شهادة صدرت من تلك الأعضاء لا من الله تعالى لأنه تعالى قـــال : " شـــهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم " وأيضا أنهم قالوا : لتلك الأعضاء " لم شهدتم علينا " فقالت الأعضاء " أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ " وكل هذه الأيات دالة على ان المتكلم بتلك الكلمات هى تلك الأعضاء وأن تلك الكلامات ليست كلام الله تعالى : [٢]

---

[١] الكشاف حـــ٣/٣٨٩

[٢] تفسير الفخر الرازى حـــ٢٦/٦٢٤

وهـــذه المسألة لا إشكال فيها ، ونطق الأعضاء يوم القيامة ليس بالعجيب ولا الغـــريب ، فقـــد أنطـــق الله الجماد فى الدنيا وما تسبيح الحصا ونطق الشاة المسمومة لرسول الله "صلى الله عليه وسلم " عنا ببعيد ، وكذلك حنين الجذع وقـــد حدث هذا فى الدنيا ففى الأخرة من باب أولى . يقول الفخر الرازى ــ رحمه الله ــ :

أمـــا عـــلى مذهب أصحابنا فهذا الإشكال غير لازم ، لأن عندنا البنية ليست شـــرطاً للحياة ولا للعلم ولا للقدرة ، فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والـــنطق فى كل جزء من أجزاء هذه الأعضاء ، وعلى هذا التقدير فالإشكال زائل وهذه الأية يحسن التمسك بها فى بيان أن البنية ليست شرطاً للحياة ولا شئ للصفات المشروط بالحياة [١]

وما نطق الأعضاء وعدمه إلا كخلق بنى الأنسان الذى ركب الحياة فيه ، وقد كان نطفا، فمن قدر على ذلك فلا استحالة أن ينطق الجلود وغيرها .

يقول القرطبى ــ رحمه الله ــ حول هذه الأية :

لمـــا خاطبت وخوطبت أجريت مجرى من يعقل " وهو خلقكم أول مرة " أى ركب الحياة فيكم بعد أن كنتم نطفا، فمن قدر عليه قدر على أن ينطق الجلود وغيرها من الأعضاء .[٢]

وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله " صلى الله عليه وسلم" فضحك فقال : هل تدرون ممَّ أضحك " قلنا الله ورسوله أعلم . قال :

---

[١] المرجع السابق جـــ٢٦ /٦٢٤

[٢] الجامع لأيات الأحكام حـــ١٥ /٣٥٠

" مـــن مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تُجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقـــول فـــإنى لا أجيزعلى نفسى إلا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه إنطقى فتـــنطق بأعمالـــه قـــال ثم يخلَّى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لَكُنَّ وسحقا فعنكن كنت أناضل "[١] وفى حديث أبى هريرة " ثم يقال له الآن نبعث شاهدنا عـــليك ويـــتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد علىَّ فيُخْتم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظمه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله [٢]..

وبالجلمـــلة فأهل السنة كلهم ، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن كلام الله غير مخلوق ، وأنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء ، وأن نوع كلامه قديم . وكذلك ظاهر كلام الإمام أبو حنيفه ــ رضـــى الله عنه ــ فى الفقه الآكبر ــ فإنه قال : والقرآن فى المصاحف مكتوب ، وفى القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء ، وعلى النبى صلى " الله عليه وسلم " منزل ولفظنا بالقرآن مخلوق ، والقرآن غير مخلوق وما ذكر الله فى القرآن عن موسى "عليه السلام" وغيره وعن فرعون وإبليس ــ فإن ذلك كـــلام الله إخـــبارا عنهم وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق والقرآن كـــلام الله لا كلامهـــم ، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى ، فلما كلم موسى كلمه بكلامه الذى هو من صفاته لم يزل . وصفاته كلها خلاف صفات

---

[١] فتنطق بأعماله لا بكلام يخلقه الله كما يزعم المعتزلة

[٢] مسلم حـــ١٨/١٠٤ : ١٠٥ كتاب الزهد

المخـــلوقين ، يعـــلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنا [١]

وأن الله تعالى لم يزل متكلما إذا ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما ، وهذا المأثور عـــلى أئمة الحديث والسنة .. والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال ، وضده مـــن أوصـــاف النقص قال الله تعالى : " وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بعده من حليهم عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً " [٢]

فكـــأن عـــباد العجل ــ مع كفرهم ، أعرف بالله من المعتزلة فإنهم لم يقولوا لموسى " وربك لا يتكلم أيضا " وقال تعالى عن العجل أيضا " أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا "[٣] فعلم أن نفى رجوع القول ونفى الكلام نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل .[٤]

ولعل الذى أدى بالمعتزلة إلى هذا الضلال الظاهر من زعمهم أن وصف الله بأنـــه متكـــلم يقتضـــى التشـــبيه والتجسيم له سبحانه الذى أدى بهم الى ذلك اعـــتمادهم على العقل دون النقل من كتاب الله أو سنة رسوله "صلى الله عليه وسلم" وعدم تلقى العلم عن أهله ــ وهذه طريقة أهل الأهواء والبدع .

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية صـــ١٢٨ ــ ١٢٩ باختصار ط مكتبة الدعوة الأسلامية حققها وراجعها جماعة من العلماء . خرج أحاديثها محمد ناصر الألبانى

[٢] سورة الأعراف من الأية ١٤٧

[٣] سورة طه من الأية ٨٩

[٤] شرح العقيدة الطحاوية صـــ ١٢٠-١٢١ – بتصرف-

يقول أبو المعز الحنفى :

ولا شـــك أن مشـــايخ المعـــتزلة ــ وغيرهم من أهل البدع ــ معترفون بأن اعتقادهم فى التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب ولا سنة ولا عن أئمـــة الصـــحابة والـــتابعين لهم بإحسان ، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرائع [١] .

٤ــ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " [٢]

قال الزمخشرى : جعلناه بمعنى خلقناه [٣] . وقال غيره من أهل الإعتزال : أن الأية تدل على أن القرآن مجعول ، والمجعول هو المصنوع المخلوق .[٤] وهذا الإستدلال فيه نظر حيث إنهم لم يفرقوا فيه بين " جعل" التى تتعدى الى مفعـــول واحـــد وتكون بمعنى "خلق" وبين جعل التى تتعدى الى مفعولين فلا تكون بمعنى خلق لذلك أنكر صاحب شرح الطحاوية هذا الإستدلال فقال :

.. وامـــا اســـتدلالهم بقوله تعالى : " إنا جعلناه قرآنا عربيا " فما أفسده من اســـتدلال ! فان "جعل" إذا كان بمعنى خلق يتعدى الى مفعول واحد " كقوله تعالى " وَجَعَلْنَآ مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ " [٥]

وقوله تعالى : وجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ [٦]

---

(١) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية لأبى المعز الحنفى حـــ١ / ١٧١ : ١٧٢

(٢) سورة الزخرف اية : ٣

(٣) الكشاف حـــ٣/٤١١

(٤) تفسير الفخر الرازى حـــ٢٧/٧٢

(٥) سورة الأنبياء من الأية ٣٠

(٦) سورة الانعام من الاية ١

وقولـــه سبحانه : وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ " (١)

وقوله " وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا" (٢)

وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق : قال الله تعالى :

" وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا " (٣)

وقال سبحانه : " وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ " (٤)

وقال جل ثناؤه : " الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ " (٥)

وقال جل جلاله : " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ " (٦)

وقال سبحانه : " وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا " (٧)

ونظائرة كثيرة ــ فكذا قوله تعالى : " إنا جعلناه قرآنا عربيا " (٨)

---

(١) سورة الأنبياء ٣١

(٢) سورة الأنبياء من الأية ٣٢

(٣) سورة النحل من الأية ٩١

(٤) سورة البقرة من الأية ٢٢٤

(٥) سورة الحجر من الأية: ٩١

(٦) سورة الإسراء من الأية ٢٩

(٧) سورة الزخرف من الأية ١٩

(٨) انظر شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية حـــ١/١٦٧ : ١٦٨ ط لعلى بن المعز الحنفى تحقيق د / عبد الرحمن عميرة ط مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢م،

وبعد : فإن كل مسألة لا يبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعا .[١]

وأرى ان مسألة خلق القرآن من المسائل التى لا يبنى عليها عمل فمن ثمَّ كان ينبغى الإمساك عنها ، ولم يكن واجبا الخوض فيها ، ولعلها من الأشياء التى سكت عنها ربنا رحمة بنا من غير نسيان ، فيجب ألا نبحث عنها فهذا هو الجدير بالسنة وما سواه من البدع التى نهينا عنها .

فقد رُوِىَ عن النبى "صلى الله عليه وسلم " قوله : إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها ، وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء من غير نسيان لا تكلفوها رحمة من ربكم فاقبلوها ".[٢]

---

[١] من أقوال الأستاذ حسن البنا "رحمه الله" فى كتابه رسالة التعاليم حـ٧ ط رمسيس

[٢] سنن الدراقطنى حـ٣/١٩٩ ـ ك الأشربة وغيرها ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان . هذا الحديث اختلف فيه قال ابن رجب الحنبلى :

إنه اختلف فى رفعه ووقفه عن ابن ثعلبه ورواه بعضهم عن مكحول لكن الدراقطنى قال الا شبه بالصواب المرفوع ، وهو أشهر. وقد حسّن الشيخ "رحمه الله " (يعنى النووى) هذا الحديثَ، وكذلك حسّنه قبله الحافظ أبو بكر السمعانى فى أماليه ـ انظر جامع العلوم والحكم صـ٣٣٦ ط دار الحديث الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

قلت روى معنى هذا الحديث مرفوعا من طرق أخرى منها مارواه الترمذى : وابن ماجه واللفظ للترمذى ، ان رسول الله "صلى الله عليه وسلم" سئل على السمن والجبن والفِراء فقال : الحلال ما أحل الله فى كتابه ، والحرام ما حرم الله فى كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه الترمذى حـ٥/٣٩٦ كتاب الباس /٦ـ باب ما جاء فى =

وفى الإختلاف مع استحداث المسائل الهلكة والضياع فقد جاء فى الصحيحين واللفظ للبخارى عن أبى هريرة "رضى الله عنه "عن النبى "صلى الله عليه وسلم" قال : " دعونى ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبياءهم ، فإذا نهينكم عن شئ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم .[١]

وقال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ " بعث الله نبيه "صلى الله عليه وسلم" وأنزل كتابه وأحل حلاله ، وحرم حرامه فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو، ثم تلا قوله تعالى : " قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْدَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ .[٢]

فلو ترك المعتزلة قضية خلق القرآن واكتفوا بالإيمان بأن القرآن كلام الله ، أوحى الله به لرسوله "صلى الله عليه وسلم" فبلغه لكان خيراً لهم وأقوم .. ولو أنهم تقربوا إلى الله وتعالى بقرائته وتدبر معانيه لكان أحب إلى الله من التقرب إليه سبحانه بقتل العلماء وحبس الأبرياء وتعذيب كل منهما كما زعم الواثق أنه يحتسب خطاه عند الله وهو يقتل أحد العلماء !! ولبئس ما صنع ..

= ليس الفِرَاء قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه، وانظر سنن ابن ماجه . حـ٢/١١١٧ ــ (٢٩) ك الأطعمه ب أكل الجبن والسمن حديث رقم ٣٣٦٧.

[١] البخارى حـ١٣/٢٦٤ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب الإقتداء بسنن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" حديث رقم ٧٢٨٨

[٢] جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى صـ٣٣٧ والأية من سورة الأنعام ١٤٥

وليسألن يوم القيامة عما قتل ومثّل .

ولـــو أنهم استعانوا بهؤلاء العلماء للإلمام بعلوم القرآن ، كلٌ على قدر جهده وعـــلمه ، والإهـــتداء بهـــدى رســـول الله "صـــلى الله عليه وسلم" الذى هو أحســـن [١]الهـــدى والتخـــلق بأخلاقه فإنه " صلى الله عليه وسلم" كان خلقه القـــرآن .[٢] لو فعلوا ذلك ما قتل عالم من علماء المسلمين وكيف يقتل والله يقـــول : "وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا " [٣]

ولكـــن الغرور والجهل ، والإستبداد بالرأى مع وجود بطانة سيئة ومنافقة ، أدى ذلـــك إلى خراب البلاد ، وشقاء العباد ، وصدق رسول الله " صلى الله عليه وسلم" فيما رواه أبو داود عن عائشة "رضى الله عنها "

قـــالت : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل لـــه وزيـــر صدق إن نسى ذكّره وإن ذكَر أعانه ، وإن أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه " .[٤]

---

[١] روى البخارى عن عبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال : " إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد "صلى الله عليه وسلم" حـــ٢٦٣/١٣ ك الإعتصام بالكتاب والسنة ب الإقتداء بسنن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" حديث رقم ٧٢٧٧ .

[٢] أخرجه مسلم حـــ٢٦/٦ كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل .

[٣] سورة النساء اية ٩٣

[٤] سنن ابى داود حـــ١٣١/٣ كتاب الخراج والإمارة والفئ باب فى اتخاذ الوزير حديث رقم ٢٩٣٢ ط الدار المصرية اللبنانية .

وفى صحيح البخارى : ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت لـــه بطانـــتان بطانـــة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ـــ والمعصوم من عصم الله تعالى . [١]

إن واجبنا نحو القرآن الكريم :

ان نـــتقرب إلى الله تعـــالى بقرائـــته وتدبرمعانيه ، كما علينا تنفيذ أحكامه والإلمام بعلومه ومعارفه ، والإهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه[٢] ..

وليس بواجب علينا ان نبحث إذا ما كان مخلوقا أو غير مخلوق فإن هذا من التكـــلف الذى نهينا عنه .. وإنه من الأشياء التى لا ينفع العلم بها ولا يضر الجهل بها ..

---

[١] رواه البخارى حـــ١٣/٢٠١ ك الأحكام ب بطانة الإمام وأهل مشورته حديث رقم ٩١٩٨ .

[٢] العقيدة الواسطية لابن تيمية صـــ٤٧ ط مؤسسة الطباعة والصحافة .

الفصل الثالث

العدل

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العبد خالق لأفعال نفسه

المبحث الثانى : الله لا يريد الشر والقبائح

المبحث الثالث : وجوب فعل الصلاح على الله لعباده

العبد خالق لافعال نفسه

هذه المسالة من المسائل التى دان المعتزلة بها أنفسهم وتعد من اصل العدل حيث إنهم يـــزعمون ان الله لـــم يخلق افعال العباد لاخيرا ولا شرا أى أن إرادة الانسان حرة ، والإنسان خالق أفعاله ومن أجل هذا كان مثابا على الخير معاقبا على الشر

وقـــد وجـــدوا فى ظاهـــر بعـــض الايات ما يعينهم على ما يعتقدون . فهذا امامهم الزمخشرى قد وجد فى ظاهر قوله تعالى :(وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) [١] مـــا يعيـــنه على تقرير راى المعتزلة فى حرية الإرادة الإنسانية ... فيقول فى كشافه: (يعـــنى لاضطرهم ان يكونوا أهل أمة واحدة أى ملة واحدة وهى ملة الإسلام كقوله " إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً " [٢] وهذا يتضمن نفى اضطرار وانه لم يضطرهم إلى الإتفاق عـــلى ديـــن الحق ولكنه مكنهم من الإختيار الذى هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل [٣]

فالزمخشرى يزعم أن الله يقدر أن ينقذهم من الهلاك والكفر فى حال الإضطرار أما فى حالة الإختيار فلا - وهذا ما يخالف مذهب اهل السنة الجماعة ، وفى التنزيل ما ينقض كلام الزمخشرى . يقول الله تعالى :"اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ " [٤] يقول العلامة ابو منصور الماتريدى فى كتابه تاويلات اهل السنة : وقوله " ويمدهم فى طغيانهم يعمهون " فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون كقوله

---

[١] سورة هود من الأية ١١٨.

[٢] سورة الأنبياء من الأية ٩٢ .

[٣] الكشاف حـــ٢/٢٣٩ ط المكتبة التجارية الكبرى الطبعة الاولى سنة ١٣٥٤

[٤] سورة البقرة الأية : ١٥

العـــدل

العـــدل هـــو الأصل الثانى من أصول المعتزلة الخمسة والجدير بالذكر أن المســـلمين جميعـــا يعتقدون ويؤمنون بالعدل ولكن المعتزلة لهم وجهة نظر خاصـــة فى العدل من حيث تعريفه ، كما أنهم بنوا على هذا التعريف بعض المســـائل والقواعـــد الـــتى اتفقـــوا عليها ... أما تعريفه عندهم فقد ذكره المسعودى فى كتابه مروج الذهب فقال :

وأما القول بالعدل - وهو الأصل الثانى- فهو أن الله لايجب الفساد،ولايخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وركبها فيهم ، وأنه ولى كل حسنة أمر بها ، وبرئ من كل سيئة نهى عنها ولـــم يكلفهم مالا يطيقونه ، ولا أراد منهم مالا يقدرون عليه ، وأن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط الا بقدرة الله التى أعطاهم إياها ، وهو المالك لها دونهـــم يفـــنيها اذا شاء ، ويبقيها إذا شاء ولوشاء لجبر الخلق على طاعته ، ومـــنعهم إضطراياً عن معصيته ، ولكان على ذلك قادراًغير أنه لا يفعل ، إذ كان فى ذلك رفع للمحنة وإزالة للبلوى[١]

وقد بين الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل الأشياء التى اتفق عليها المعتزلة وسموها عدلا فقال :

واتفقـــوا عـــلى أن العبد قادر خالق لأفعاله ، خيرها وشرها مستحق على ما يفعلـــه ثوابا وعقابا فى الدار الأخرة والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظـــلم وفعـــل هو كفر أو معصية لأنه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق

---

[١] مروج الذهب حـــ٣ / ٢٠٥ط دار الكتاب اللبنانى الطبعه الاولى ١٤٠٢/ ١٩٨٢

العـــدل كـــان عادلا ، واتفقوا على أن الحكيم لايفعل إلا الصلاح ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، وأما الأصلح واللطف ففى وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلا . [١]

نستنبط مما ذكر ان المعتزلة رتبوا على أصل العدل المسائل الاتية ..

١- العبد خالق لافعال نفسه بقدرة خلقها الله فيه .

٢- الله لا يـــريد الشر والقبائح لأن إرادة الشر شر كما أن إرادة القبح قبيح والله منزه عن ذلك .

٣- وجـــوب فعل الصلاح على الله لعباده لاتصافه بالحكمة اذ لو فعل بهم غير ذلك لم يكن حكيما ، اما فعل الأصلح فلم تجتمع كلمتهم فيه فمنهم من قال بوجوبه ومنهم من لم ير وجوبه.

ويجدر بنا ان نناقش كل مسالة من هذه المسائل على حده

---

[١] الملل والنحل حـــ١/٦٧ط محمد على صبيح

أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . [١]غير أن هذه فى المنافقين والأولى فى الكفـــرة وهى تـــنقض على المعتزلة قولهم ، لانهم يقولون ان الله لا يقدر ان يســـتنقذهم فى حالة الإختيار وأنما يقدر الإستنقاذ فى حالة الإضطرار فأخبر عز وجل أنه يستنقذهم على فعل الطغيان .

وقو...له : ويمدهم أى يخلق فعل الطغيان فيهم ويحتمل أن يخذلهم ويتركهم كمـــا اخـــتاروا مـــن الطغيان الى آخر عمرهم . ويحتمل أنه لم يهدهم ولم يوفقهم .

فى هـــذا إضـــافة المد إلى الله وإضافة مد على الطغيان لا يضاف اليه إلا لـــلمدح وفى هـــذا أنه اذا كان هو يمدهم فى الطغيان قدر على ضده من فعل الإيمان . فدل أن الله تعالى خالق فعل العباد ، إذ من قولهم أن القدرة التامة هى التى إذا قدر على شئ قدر على ضد ه . والعمة الحيرة فى اللغة .[٢]

أى تركهم فى حيرة من أمرهم لأن العمة كما قال الفخر الرازى مثل العمى إلا ان العـــمى عام فى البصر والرأى والعمة فى الرأى خاصة وهو التردد والتحير لايدرى أين يتوجه [٣] .

هذا ، وقد احتج المعتزلة بحجج عقلية على أن الإنسان خالق أفعال نفسه .. من تلك الحجج :

---

[١] سورة البقرة الاية ١٦

[٢] تـــاويلات اهل السنه صـــ ٤٩ : ٥٠ لابى منصور الماتريدى السمرقندى الحنفى ط الارشاد بغداد سنه ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٣

[٣] الفخر الرازى حـــ ١٢ / ٤٥ ط دار الغد

١-قـــو لهم : أن فى أفعال العباد ما هو ظلم وجور ، فلو كان الله سبحا نه وتعـــالى خالقاً لها لوجب أن يكو ن ظالما جائرا . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..

٢-وقـــالوا كيـــف يستقيم الحكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم.

فأين العدل فى تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم ؟!

فـــتعين أن الإنسان هو الخالق لأفعاله كلها خيرها وشرها . وقد أفضى بهم ذلـــك إلى إنكار القدر ، وقالوا إن الإنسا ن هو القادر على أن يفعل الخير أو يـــتر كـــه ، وعـــلى أن يفعل الشر أويتركه ، وأنه لا دخل لقدرة الله فى ذلك .[١]

هذا ، وقد قصد المعتزلة من نظريتهم هذه أن ينزهوا الله عن الظلم فارتفعوا بالإرادة الإنسانية وجعلوها مسئولة عن عملها .

وقصـــدُ المعتزلة هذا قصد فاسد ، اذ لا مغايرة بين أن الله يخلق المكروه والمذمـــوم والفاســـد وتنزيهه سبحانه عن الظلم .."إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا " [٢]

وإذا زعم المعتزلة أن خلق الظلم والجور دلالة على ظلم خالقه فمن ذا الذى خـــلق إبليس وليس هناك من هو أفسد منه ؟ وهل يكره الله سبحانه وتعالى

---

[١] انظـــر شرح الاصو ل الخمسه صـــ٣٤٥ بتصر ف ط مكتبه وهبه – وانظرشرح العقيدة الطحاوية صـــ٢١٧ بتصرف ط مكتبه الدعوة الاسلامية

[٢] سورة النساء من الاية : ٤٠

احـــدا ككراهيـــته إبليس اللعين ؟ ومع ذلك فإن الله خلقه وتركه حيًا إلى يوم القيامة وهو يفعل ما يكرهه الله ولو شاء الله ما فعله ...

وكـــذ لك فى الكون مخلو قات عديدة كريهة ذميمة فيها الضرر الجسيم لابن أدم – أحـــب الخـــلق إلى الخـــالق – مثل : الحية والعقرب والفأرة والكلب العقور – اللا ئى أحل الله قتلهن فى الحرم [١] فمن الذى خلقهن ؟!

ان فى خـــلق المكروه والمحبوب لكمال القدرة لله ، وليس نقصا فى حق الإله كما يزعم المعتزلة.يقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية :

هو سبحانه يكره الشئ ، ولا ينافى ذلك إرادته لأجل غيره ، و كونه سببا إلى أمـــر هو احب اليه من فوقه [٢] من ذلك : انه خلق إبليس ٠ الذى هو مادة لفساد الأديان والأعمال والإعتقادات والإرادات ، وهو سبب لشقاوة كثير من العـــباد ، وعملهم بما يغضب الرب سبحانه وتعالى ، وهو الساعى فى وقوع خـــلاف ما يحبه الله ويرضاه ، ومع هذا فهو وسيلة الى محاب كثيرة للرب تعـــالى ترتبت على خلقه ، ووجودها أحب اليه من عدمه ، منها : انه يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق هذا الذات الـــتى هى أخبث الذوات وشرها ، وهى سبب كل شر ، فى مقابلة جبرائيل ،

---

[١] روى الـــبخارى بسنده عن عائشة " رضى الله عنها " أن رسول الله" صلى الله عليه وســـلم " قـــال : "خمـــس مـــن الدواب كلهن فاسق يقتلن فى الحر م : الغراب والحِدأة والعقـــرب والفأرة والكلب العقور" حـــ٤ / ٤٢ ك جزاء الصيد . ب ما يقتل فى الحرم حديث ١٨٢٩ ٠ وجا ء ذكر قتل الحية فى الحديث رقم ١٨٣٠ من صحيح البخارى فى نفس الباب .

[٢] لعل الصواب من فوته اى تركه

الـــتى هى مـــن أشـــرف الذوات وأطهرها وأزكاها ، وهى مادة كل خير ، فتـــبارك خـــالق هـــذا وهذا . كما ظهر ت قدرته فى خلق الليل والنها ر ، والدواء والداء والحياة والموت ، والحسن والقبيح ، والخير والشر ، وذلك مـــن أدل دليـــل عـــلى كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه ، فإنه خلق هذه المتضـــادات ، وقابلها بعضها ببعض ، وجعلها محالّ تصرفه وتدبيره فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبيرملكه .[١]

ومـمـــا لا شك فيه أن الله لم يخلق شيئاً عبثاً فهو سبحانه منزه عن ذلك وما نـــراه نحـــن البشر شراً فى نظرنا إنما هو قد خلق لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعـــالى وقـــد لا تصـــل عقول البشر إلى إدراك تلك الحكم وعلى هذا فدليل العبودية الكاملة لله تعالى أن نسلم بأن ما أوجده خير كله باعتبار الغاية التى وجدمن أجلها وأن الإعتراض على شئ من ذلك دليل نقص الإيمان .

ورأى المعـــتزلة فى إرداة الله لـــم يجد القبول عند كثير من العقلاء سواء كانو ا مؤمنين أو كافرين ...

فقد كان جماعة فى سفينة فيها قدرى ومجوسى فقال القدرى للمجوسى : أسلم – قـــال المجوســـى حـــتى يريد الله ، فقال القدرى [٢] : ان الله يريد ولكن الشـــيطان لايـــريد ! قـــال المجوســـى : أراد الله وأراد الشـــيطان فكان ما أرادالشـــطيان ! هذا شيطان قوى ! وفى رواية إنه قال : فأنا مع أقواهما ! – ووقف أعرابى – مسلم – على حلقة فيها

---

[١] اشرح العقيدة الطحاوية صـــ٢٢١ ط مكتبه الدعوة الإسلامية

[٢] القدرية والمعتزلة يرون أن الله يريد الإيمان والكافر يريد الكفر .

عمـــرو ين عبيد – معتزلى – فقا ل : يا هؤلاء ان ناقتى سرقت فادعوا الله ان يـــردّها عـــلىّ ، فقال عمرو بن عبيد : اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فســـرقت ، فارددها عليه ، فقا ل الأعرابى : لاحاجةَ لى فى دعائك ! قال : ولِـــمَ ؟ قال : أخاف – كما أراد أن لا تسرق فسرقت – أن يريد ردها فلا ترد [١]

فالمعـــتزلة كما ذكرنا ارتفعوا بإرادة الإنسان وجعلوها مسئولة عن عملها ، وغفـــلوا أنهم أساوا الأدب مع الله حيث جعلو ا مشيئة العبد تكون ومشيئة الله لاتكون – لذلك يرى الأشاعرة أن فى هذا تضييقا من قدرة الله ، ولذلك قالوا بنظرية الكسب ، وملخصها أنه لافاعل للأفعال إلا الله ، وأنه قدَّر كل شئ قبل خـــلقه ويقـــترن خـــلق الله لأفعال الإنسان بكسبه ، فا لأفعال مخلوقة من الله مكسوبة من العبد [٢]

اقول: ومن العدل الإلهى أن جعل الله الثواب والعقاب حسب مايكسب الإنسان أويكتسب ،قال تعالى :

"لَايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَاكَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَاكْتَسَبَتْ " [٣]

وقـــال ســـبحانه : " كـــل نفس بما كسب رهينة " [٤] ثم كانت " رحمة الله " الواســـعة بعباده أن الحسنات مضاعفة والسئية بسئة مثلها فقال جل جلاله :

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية صـــ٢١٨

[٢] هامش شرح الاصول الخمسة صـــ١٣١ ط مكتبه وهبه

[٣] سورةالبقرة من الايه : ٢٨٦

[٤] سورة المدثر أيه : ٣٨

مَـــن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَايُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ [١]

ويرى علماء أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد خلق من الله واكتساب من العبد لان الله تعالى يقول :

" وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَاتَعْمَلُونَ " [٢] يقول القرطبى :

والأفضل ان تكون " ما " مع الفعل مصدرا ، والتقدير والله خلقكم وعملكم ٠وهـــذا مذهـــب أهـــل السنة والجماعة : أن الأفعال خلق من الله عز وجل واكتساب للعباد ٠وفى هذا ابطال مذاهب القدرية والجبرية [٣]

ويقول جل جلاله : " وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ " [٤]

يقول الفخر االرازى – رحمه الله – :

احتج أصحابنا بهذه الأية على أنه تعالى خالق الخير والشر لأن قوله تعالى : " جعلنا لكل بنى عدوا " يدل على أن تلك العداوة من جعل الله ولاشك أن تلك العداوة كفر .[٥]

ويقول الله سبحانه وتعالى: "يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَاسِقِينَ " [٦]

---

[١] سورة الانعام أية : ١٦٠

[٢] سورة الصافات اية : ٩٦

[٣] الجامع لاحكام القرآن حـــ١ / ٩٦

[٤] سورة الفرقان من الأية : ٣١

[٥] التفسير الكبير حـــ٢٣/ ٤٠ ط دار الغد

[٦] سورة البقرة من الاية ٢٦

يقو ل صاحب لباب التنزيل :

الإضـــلال خلق فعل الضلال فى العبد ، والهداية خلق فعل الإهتداء هذا هو الحقيقة عند أهل السنة [١].

هــذا، وهناك أيات كثير ة احتج بها أهل السنة ، هذه الأيات واضحة الدلالة على بطلان اعتقاد المعتزلة فى خلق الأفعال من هذه الأيات ما ذكره البيهقى فى كتابه "الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة " حيث قال رحمه الله :

- قــال الله عز وجل :« ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ »[٢] فدخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشر . وقال سبحانه :« أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ »[٣] فنفى أن يكون خالق غيره ونفى أن يكــون شــئ ســواه غير مخلوق ، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله سبحانه خالق بعض الاشياء دون جميعها وهذا خلاف الأية ..

ومعــلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان ، فلو كان الله خالق الأعيان ، والناس خــالقى الأفعال لكان خلق الناس أكثر من خلقه ، ولكانوا أتم قوة منه وأولى بصــفة المــدح مــن ربهم سبحانه، ولأن الله تعالى قال: " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ " [٤] فأخبر أن أعمالهم مخلوقة لله عز وجل عن قتادة فى قوله "

---

[١] لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن حـــ١/ ٣٧ ط الاستقامه الطبعه الاولى سنه ١٣٧٤ هـــ ١٩٥٥م

[٢] سورة غافر من الأية : ٦٢

[٣] سورة الرعد من الاية : ١٦

[٤] سورة الصافات اية : ٩٦

اتعـــبدون ماتنحتون " [١]قال الأصنام . والله خلقكم وما تعلمون ٠ قال خلقكم وخـــلق ما تعملون بأيديكم ٠ ولان الله تعالى قال : "وخلق كل شئ وهو بكل شـــئ عـــليم" [٢] فامتدح بالقولين جميعا فكما لايخرج شئ من علمه لايخرج غيـــره من خلقه، ولأنه قال : " وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصـــدور ألا يعـــلم من خلق " [٣] فأخبر أن قولهم وسرهم وجهرهم خلقه وهوبجميع ذلك عليم وقال : " وأنه هو أضحك وأبكى" [٤] كما قال:

"وأنه هو أمات وأحيا " [٥] فكما كان مميتا محييا بأن خلق الموت والحياة كان مضحكا ومبكيا بأن خلق الضحك والبكاء ، وقد يضحك الكافر مسروراً بقتل المسلين وهو منه كفر، وقد يبكى حزنا بظهور المسلمين وهو منه كفر ، فثبت أن الافعال كلها خيرها وشرها صادرة عن خلفه واحداثه اياها ولأنه قال : " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى " [٦] وقال " أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " [٧]

---

[١] سورة الصافات أيه : ٩٥

[٢] سورة الانعام من الأيه : ١٠١

[٣] سورة الملك أيتان ١٣: ١٤

[٤] سورة النجم أية : ٤٣

[٥] سورة النجم أية : ٤٤

[٦] سورة الأنفال من الأية : ١٧

[٧] سورة الواقعه أيه : ٦٤

فسلب عنهم فعل القتل والرمى والزرع مع مباشرتهم اياه ، واثبت فعلها لنفسه ، ليدل بذلك على أن المعنى المؤثر فى وجودها بعد عدمها هو ايجاده وخلقه ، وإنما وجدت من عباده مباشرة تلك الأفعال بقدرة حادثة أحدثها خالقنا عز وجل على ما أراد فهى من الله سبحانه خلق على معنى أنه هو الذى اخترعها بقدرته القديمة وهى من عباده كسب على معنى تعلق قدرة حادثة بمباشرتهم التى هى أكسابهم ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوه تخالف قصد مكتسبها يدل على موقع أوقعها على ما أراد غير مكتسبها ٠ وهو الله ربنا خلقنا وخلق افعالنا ، لاشريك له فى شئ من خلقه ، تبارك الله رب العالمين

وكان الإمام أبوالطيب سهل بن محمد بن سليمان [1] يعبر عن هذا بعبارة حسنة فيقول: فعل القادر القديم خلق ، وفعل القادر المحدث

---

[1] هو العلامة : سهل بن محمد بن سليمان بن العِجْلى الحنفى ، ثم الصُّغلوكى النيسابورى الفقيه الشافعى ٠شيخ الشافعية بخرسان – تفقه على والده وسمع من أبى العباسى الأصم وأبى على الرفَّاء وطائفة ٠ ودرّس وتخرج به أئمة ٠

قال الحاكم : هو انظر من رأينا ، تخرج به جماعة ، وحدّث وأملى . قال : وبلغنى أنه كان فى مجلسه أكثر من خمس مائة محبره وكان فقيها أد يبا ، جمع رئاسة الدينا والدين واخذ عنه فقهاء نيسابور.

وكان أبوه يجله ويقول سهل والد ، حدث عنه الحاكم وهو أكبر منه ، وأبوبكر البيهقى وأخرون ، له الفاظ بديعه ، منها : من تصدّر قبل أوانه ، فقد تصدى لهوانه . وقال : اذا كان رضى الخلق معسورا لايدرك ، كان رضى الله ميسورا لايترك ، إنا نحتاج الى اخوان العشرة لوقت العسرة وكان بعض العلماء يعد أبا الطبب المجدد للأمة دينها على رأس الأربعمائه توفى الإمام ابو الطيب فى رجب سنه أربع وأربعمائه "رحمه الله"

كسب ، فتعالى القديم عن الكسب وجل وصغر المحدث عن الخلق وذل،وقد اثبت سبحانه كسب العباد ٠ وخلقه كسبهم

بما ذكرنا من الأيات فى هذا الموضع [١]

هـــذا٠ وفى السنة أحاديث كثيرة تؤيد وتبين ان الله سبحانه وتعالى هو الخالق للأفعال كلها وفاعلها ٠

فعن حذيفة بن اليمان ان رسول الله "صلى الله عليه وسلم " قال:خلق الله كل صانع وصنعته [٢] فهو الخالق وهو الصانع سبحانه .

وعن أبى موسى الاشعرى قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" والذى نفس محمد بيده إن المعروف والمنكر خليقتان ينصبان للناس يوم القيامة فأما المعـــروف فيبشر أصحابه ويوعدهم الخير وأما المنكر فيقول إليكم إليكم وما يستطيعون له إلا لزوما [٣]

//تعـــالى ٠انظر سير اعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى حـــ١٧/ ٢٠٧ : ٢٠٩ ط مؤ سسة الرسالة الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧ /١٩٩٦ م ٠

[١] انظر الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للبيهقى صـــ ٥٩ :٦١ بدون طبعه .

[٢] رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبو الحسن الكردى وهو ثقـــة انظـــر مجمـــع الزوائد ومنبع الفوائد لابى بكر الهيثمى حـــ٧/ ٢٠٠ ط مؤ سه المارف ببروت .

[٣] المســـند حـــ٤ / ٣٩١ ط المكتب الإسلامي ٠ بيروت . قال السخاوى رواه أحمد والـــبزار ورجالهمـــا رجـــال الصحيح – انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبى بكر الهيثمى حـــ٢٦٢/٧ ط طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

وفى سنن أبى داود أن عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" سئل عن هذه الأية " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " [١]سمعت رسول الله" صلى الله عليه وسلم" سئل عنها فقال رسول الله" صلى الله وعليه وسلم" إن الله عز وجل خلق أدم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، فا ستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون . ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقـــال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون " فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟

فقـــال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله بـــه الجـــنة . وإذا خلق العبد للنار استعلمه بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار "[٢]

بهذا الحديث الذى بيّن فيه رسول الله "صلى الله عليه وسلم "ان الله سبحانه وتعالى خلق فريقا من ذرية آدم للجنة ، وأنهم يعملون بعمل أهل الجنة ، وأنه سبحانه خلق فريقا للنار ، وأنهم بعمل أهل النار يعملون وغير ذلك مما جاء فى نـــص الحديـــث لم يعد للمعتزلة حجة قوية فى زعمهم أن الله لم يخلق افعـــال العباد لا خيرها ولاشرها بل أصبحت كل حججهم مرجوحة محجوجة بما هو اقوى منها حجة وبرهانا ويكفى هذا الحديث حجة ...

---

[١] سورة الأعراف من الأية : ١٧٢

[٢] ســـنن ابى داود حـــــ٤ /٢٢٦ كـــتاب السنه باب القدر حديث رقم ٤٧٠٣ ط الدار المصرية اللبنانيه .

وقد يتبادر الى الذهن أن فى حديث دعاء الإستفتاح ما يتعارض مع هذا وهو قوله صلى الله عليه وسلم " : "والخير كله فى يديك والشر ليس إليك "[١]

فهـــذا لا يحمل على ظاهره وإنما معنى الحديث كما قال البيهقى "رحمه الله "الأرشاد الى استعمال الادب والثناء على الله عز وجل والمدح له بأن يضاف اليـــه محاسن الأمور ، دون مساؤيها ، ولم يقصد به إدخال شئ فى قدرته ، ونـــفى ضده عنه ، فقد قال فى حديث آخر : " والمعصوم من عصم الله " [٢]

وعن يحى بن معين أنه قال : قال النضر بن شميل والشر ليس اليك تفسيره والشر لايتقرب به اليك [٣]

أقول لعل نظير ذلك قول الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبتيا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

"وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ [٤]

وقو له سبحانه على لسان الجن فى سورة الجن : "وَأَنَّا لَا نَدْرِيَ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا " [٥]

---

[١] رواه سلم حـــ٦/ ٥٩ (ك) صلاة المسافرين وقصرها (ب) صلاة النبى صلى الله عليه وسلم" ودعائه بالليل

[٢] البخارى حـــ ١٣ / ٢١٠ كتاب الاحكام باب بطانه الامام واهل مشورته حديث رقم ٩١٩٨

[٣] الاعتقاد صـــ٦٢ وانظر شرح صحيح مسلم للنووى حـــ٦/ ٥٩.

[٤] سورة الشعراء ايه ٨٠

[٥] سورة الجن ايه ١٠

فقد أحسن سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام – الثناء على الله حيث نسب إليه الشفاء ونسب المرض إلى نفسه فهذا يدل على علو الأدب مع الله لكن لايمنع أن الشفاء والمرض من الله تعالى وحده – وكذلك الجن فإنهم :

"أحسنوا الادب فى ذكر إردادة الشر محذوفة الفاعل والمراد بالمريد هو الله عز وجل وإبرازهم لإسمه عند إراد دة الخير والرشد فجمعوا بين العقيدة الصحيحة والأداب المليحة [١]

وهذا لايمنع ان الرشد والضلال بإرادة الله ومن الله تعالى القائل :

" قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ "[٢]

وكذلك سيدنا الخضر – أضاف خرق السفينة إلى نفسه ، وأضاف قصة استخراج كنز الغلامين الى الله تعالى كما قال سبحانه :

" أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا " [٣]

وقال جل جلاله : " وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ " [٤]

---

[١] هامش الكشاف لابن المنير حـ٤ / ١٤٧

[٢] سورة النساء من الايه : ٧٨

[٣] سورة الكهف ايه ٧٩

[٤] سورةالكهف من الايه ٨٢

ذلـــك لأن اسخراج الكنز لما كان خيراً كله أضافه الى الله تعالى ، وأضاف عيـــب الســـفينة الى نفسه رعاية للأدب ، لأنها لفظة عيب ، فتأدب بأن لم يســـند الإرادة فيها إلا إلى نفسه .. فلا يضاف إلى الله سبحانه وتعالى إلا ما يستحسن منها دون مايستقبح وهذا كما قال تعالى :

"بِيَـــدِكَ الْخَيْرُ" [١] واقتصر عليه فلم ينسب الشر إليه ، وإن كان بيده الخير والشر والضر والنفع ، إذ هو على كل شئ قدير ، وهو بكل شئ خبير .. .. ولله تعالى أن يطلق على نفسه ما يشاء ، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصـــاف الجميلة ، والأفعال الشريفة – جل وتعالى عن النقائص والأفات علوا كبيرا [٢]

وفى دعاء النبى – صلى الله عليه وسلم – الهم أنت الملك لاإله إلا أنت أنت ربى وأنـــا عبدك ظلمت نفسى ، واعترفت بذبنى فاغفر لى ذنوبى جميعا إنه لايغفـــر الذنـــوب إلا أنت وأهدنى لأحسن الأخلاق لايهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت .[٣]

وقوله عليه الصلاة والسلام : " ... والمعصوم من عصم الله " [٤]

---

[١] سورة ال عمران من الايه ٣٦

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـــ١١/٣٩: ٤٠

[٣] رواه مســـلم حـــ٦ / ٥٨ ك صلاة المسافرين وقصرها- ب - صلاة النبى صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل

[٤] الـــبخارى حـــ ١٣/ ٢٠١ ك الاحكام – ب – بطانه الإمام وأهل مشورته حديث رقم ٩١٩٨

فهذا يدل على ان الله هو الذى يهدى لأحسن الأخلاق ويصرف سيئها وانه قد يصرفها عن قوم دون قوم - كما أنه يهدى قوما دون قوم ويعصم قوما دون قوم ، ومن لم يهده و من لم يعصمه فقد خذله ومن خذله لم يرد به خيرا - قال الله تعالى : "أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ " . [1]

---

[1] سورة المائدة من الايه ٤١

المبحث الثانى : الله لا يريد الشر والقبائح

الله لايريد الشر والقبائح

يرى المعتزلة أن الله لا ينسب إليه شيء من الشر مثل الكفر والمعصية ، وكل ما هو قبيح

فالله – فى زعمهم – يريد من العباد الإيمان والطاعة ولكن العباد يفعلون غير ذلك بارادتهم هم ....

وزعم المعتزلة أن ارادة الشر شر كما أن إرادة القبح قبيح والله منزه عن ذلك حول هذا المعنى يدور تفسير الزمخشرى لقول تعالى"

" وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لايفلح الظالمون " [١]

حيث يقول :

عاقبة الدار هى العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى "أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن " [٢]

وقوله : " وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار " [٣]

المراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت (فان قلت) العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدينا إما أن تكون خاتمتها بخير أوشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر (قلت)

---

[١] سورة القصص ايه ٣٧

[٢] سورة الرعد من الايتين ٢٢/ ٢٣

[٣] الرعد من الايه٤٢

قـد وضع الله سبحانه الدينا مجازا الى الأخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخيـر وَمـا خَـلَقهَم إلا لأجلـه كمـا قال : "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنسَ إِلَّالِيَعْبُدُونِ " [١] ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله فقد حرف فإذاً عاقبتها الأصلية هى عاقبة الخير وأما عاقبة السوء لا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار . [٢]

ويرد ابن المنير على الزمخشرى فيقول :

إن اسـتدلاله – أى الزمخشرى – على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هى المـرادة لـه لا سواها لقوله تعالى : "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " معارض بأمثاله فى أدلة أهل السنة والجماعة على عقائد مثل قوله :

" وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّايُبْصِـرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" [٣] . والمراد –والله اعلم – ولقدٍ جعلنا لعذاب جهنم خلقا كثيرا من الثقلين ومن ذلك مايروى عن الفاروق "رضى الله عنه " أنه قال : وإنكم آل المغيـرة ذرأُ الـنار اى خلقها فلئن دلت أية الذاريات ظاهرا على أن الله تعالى إنما خلق الثقلين لتكون عا قبتهم الجنة جزاء وثوابا على عبادتهم له فقد دلـت أية الأعراف علىانه خلق كثيرا من الثقلين لتكون عاقبتهم جهنم جزاء عـلى كفرهم وحينئذ يتعين الجمع بين الأيتين وحمل عموم أية الذاريات على خصـوص الأية الأخرى وأن المراد ماخلفت السعداء من الثقلين الا لعبادتى

---

[١] سورة الذريات أية : ٥٦

[٢] الكشاف حـ٣/ ١٦٧ط الكتبه التجاريه

[٣] سورة الاعراف أية : ١٧٩

جمعـــا بين الادلة فقد ثبت أن العاقبتين كلتيها مرادة لله تعالى هذا بعد تظاهر البراهين العقلية على ذلك فوجه مجئ العاقبة المطلقة كثيرا وإرادة الخير بها أن الله تعـــالى هدى الناس إليها ووعدهم ما ورد فى سلوك طريقها من النجاة والـــنعيم المقيم ونهاهم عن ضدها وتوعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الاليم وركب فيهم عقولا ترشدهم الى عاقبة الخير ومكنهم منها وأزاح عللهم ووفر دعاويهم فكان من حقهم ألايعدلوا عن عاقبة الخير ولايسلكوا غير طريقها وأن يـــتخذوها نصـــب أعينهم فاطلقت العاقبة والمرد بها الخير تفريعا على ذلك والله اعلم . [١]

وفى القـــرآن الكـــريم مايثبت أن الهدى والضلال بإرادة الله تعالى فالله تعالى يضـــل من ثبت فى علمه انهم يختارون الضلال ، ويهدى من ثبت فى علمه أنهـــم يختارون الهدى، يقول الماتريدى فى تفسير قول الله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَايَسْـــتَحْيِ أن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّابَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ أَمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَايُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ " [٢] أراد أن يضل بِهَذَا المثل كثيرا – وأراد أن يهدى به كثيرا ، أضل به من علم أنه يختار الضلالة ويهدى به من علم أنه يختار الهدى ... وهذا يبطل كلام المعتزلة " أراد أن يهدى به الكل ولكنهم لم يهتدوا ... [٣]

---

[١] هامش الكشاف حـــ٣/١٦٧- ١٦٨

[٢] سورة البقرة : ٢٧

[٣] تاويلات اهل السنة صـــ٧٨

ويقول صاحب تفسير روح البيان:

كان القرآن لقوم شفاء و رحمة ولقوم شقاء ونقمة لأنه كلامه وصفته شاملة اللطف والقهر فبلطفه هدى الصادقين وبقهره أضل الفاسفين لقوله : وما يضل به الا الفاسفين الخارجين من إصابة رشاش النور فى بدء الخليقة ... [١]

قـــلت : جاء فى السنة مايؤيد هذا القول: فقد روى الترمذى عن عبد الله بن الديلمى [٢] قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول – سمعت رسول الله "صلى الله عـــليه وســـلم "يقول : إن الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمة فألْقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جَفَّ القلم على علم الله [٣]

ويقول الله تعالى على لسان سيدنا نوح "عليه السلام " يخاطب قومه :

"وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" [٤]

فهـــذه الأية تبين أن الله تعالى إذا أراد أن يغوى قوما فإن نصح الناصحين لاينفعهم البتة ولو كان الناصح رسولا نبيا...

---

[١] تفسير روح البيان الشيخ محمد حقى البرسوى حـــ١/٩٨ ط دار الفكر .

[٢] هو عبد الله بن فيروز الديلمى ، أخو الضحاك ، ثقة من كبار التابعين منهم من ذكره فى الصحابة انظر تحفة الاحوذى للإمام الحافظ ابى العُلا المباركفورى حـــ٧/ ٤٣٧

[٣] رواه الترمذى حـــ٧/ ٤٣٧ كتاب الايمان –باب ماجاء فى افتراق هذه الامة حديث رقم ٢٦٤٢ – وقال حديث حسن

[٤] سورة هود أية ٣٤

وفى الايـــة مايدل على أن الله تعالى قد يريد الكفر من العبد ، وأنه إذا أراد منه ذلك فإنه يمتنع صدور الإيمان منه ، قالوا : إن نوحا عليه " السلام" قال " لايـــنفعكم نصـــحى إن أردت أن أنصـــح لكـــم إن كان الله يريد أن يغويكم" والتقدير لاينفعكم نصحى إن كان الله

يريد أن يغويكم ويضلكم ، وهذا صريح فى مذهبنا .[١]

وذكـــر القرطـــبى رحمـــه الله إن معنى قوله تعالى : " إن كان الله يريد أن يغويكم " اى يضلكم ... ثم قال وهذا مما يدل على يطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما ، إذ زعموا أن الله تعالى لايريد أن يعصى العاصى ، ولا يكفر الكافر، ولايغوى الغاوى ، وأنه يفعل ذلك والله لايريد ذلك فرد الله عليهم بقوله : "ان كان يريد أن يغويكم " ... ولامحيص لهم عن قول نوح "عـــليه السلام" [٢] فأضاف إغواءهم الى الله سبحانه وتعالى ، إذ هو الهادى والمضـــل سبحانه عما يقول الجاحدون والظالمون علواً كبيراً .. وقوله "هو ربكم" فإليه الإغواء وإليه الهداية . [٣]

ومـــما يـــرد به على المعتزلة فى زعمهم أن إرادة الإنسان كافية فى صدور أفعالـــه واعتقادهم أن الأنسان خالق لأفعاله وهو غير محتاج فى صدورها عنه إلى ربـــه – مما يرد به عليهم فى هذا قوله تعالى : "اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"[٤]

---

[١] مفاتيح الغيب حـــ١٦/ ٥١٧

[٢] اى قوله الذى قصه الله علينا (إن كان الله يريد أن يغويكم)

[٣] الجامع لاحكام القران حـــ٩/٢٨

[٤] سورة الفاتحة ٦ : ٧

يقول القرطبي – راداً على المعتزلة :

قد أكذبهم الله تعالى فى هذة الأية إذ سألوه الهداية الى الصراط المستقيم ، فلو كـــان الإمر اليهم والإختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية ٠ ولا كرروا الســـؤال فى كـــل صـــلاة ، وكذلك تضرعهم اليه فى دفع المكروه ، وهو مايـــناقض الهدايـــة حيث قالوا : صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين ٠٠ فكما سألوه أن يهديهم سألوه ألا يضلهم ، وكذلك يدعون فيقولون : " ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا " [١]

فالضـــالون ثبت فى علم الله أنهم ضالون ، وكذا المهتدون ثبت فى علم الله أنهم مهتدون ٠٠٠

ولايتبادر الى الذهن أن ما دام ثبت فى علم الله أنهم عصاة ضالون فلا ذنب عليهم ولا لوم ، فهذا نوع من العبث لأن علم الله لا يحملهم على المعصية .. فقد قيل لعبد الله بن عمر بن الخطاب "رضى الله عنهما "يا أبا عبد الرحمن إن أقوامـــا يزنون ويشربون الخمر ويسرقون ويقتلون النفس ويقولون: كان فى علم الله ولم نجد بداً منه ، فغضب ثم قال : " سبحان الله العظيم ، قد كان ذلك فى علمه أنهم يفعلونها ، ولم يحملهم علم الله على فعلها[٢].

وفى رواية أنه قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أن بريئ منهم وأنهم براء منى والـــذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثنى أبى عمرُ بن الخطاب قال بينما نحن عـــند رسول الله " صلى الله عليه وسلم " ذات يوما إذا طلع علينا رجل شديد

---

[١] الجامع لاحكام القران حـــ١ / ١٤٩ – والاية من سورة ال عمران رقم ٨

[٢] المنية والأمل صـــ١٩ ط دار المعرفة الجامعية .

بيـــاض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى " صلى الله عليه وسلم " فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيـــه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا .

قـــال صـــدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرنى عن الإيمان قال أن تؤمـــن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الأخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قـــال صـــدقت قال فأخبرنى عن الإحسان قال تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تـــراه فإنـــه يـــراك قال فاخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من الســـائل قـــال فأخبرنى عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطالون فى البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى يـــا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .[١]

ثم قال ابن عمر" رضى الله عنهما " : لعبد يعمل المعصية ثم يقر بذنب على نفســـه أحب إلىّ من عبد يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويقول : إن الله تعالى يفعل الخطيئة فيه .[٢]

ومـــن قبل قد وضح هذا الأمر وأزال منه اللبس الإمام على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ فى قصة الشيخ الذى سأله فإن الإمام علياً "رضى الله عنه" ــ عندما انصرف من صفين قام إليه شيخ فقال :

---

[١] مسلم حـــ١/ ١٥٦ :١٦٠ كتاب الإيمان باب كفر من نفى القدر .

[٢] المنية والأمل صـــ١٩

" أخـــبرنا عـــن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء وقدر " ؟ فقال : "والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ، ما هبطنا واديا ولا علونا قلعة إلا بقضاء وقدر "

فقال الشيخ . " عند الله احتسب عنائى ، مالى من الأجر شئ " .

فقال : " بل أيها الشيخ عظم الله لكم الأجر فى مسيركم وأنتم سائرون ، وفى منقلـــبكم وأنتم منقلبون ، ولم تكونوا فى شئ من حالاتكم مكرهين ، ولا إليها مضطرين "

فقال الشيخ : وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا ؟ "

فقـــال على ــ رضى الله عنه ــ " لعلك تظن قضاء واجبا ، وقدرا حتم [١] ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، ولما كانت تاتى مـــن الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ، ولا كان المحسن بثواب الإحسان أولى مـــن المسئ ، ولا المسئ بعقوبة الذنب أولى من المحسن – تلك مقالة إخوان الشياطين ، وعبدة الأوثان، وخصماء الرحمن ، وشهود الزور ، أهل العـــمى عـــن الصواب فى الأمور ، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها ، إن الله تعالى أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ولم يكلف مجبراً ، ولا بعث الأنبياء عبثا " ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ " [٢]

فقال الشيخ : وما ذلك القضاء والقدر اللذان ساقانا ؟ " فقال : " أمر الله بذلك وإرادتـــه " ثـــم تـــلا " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً "[٣] فنهض الشيخ مسروراً بما سمع ، وأنشأ يقول :

---

[١] لعلها : حتماً .

[٢] سورة ص من الاية ٢٧

[٣] سورة الإسراء من الآية ٢٣

أنت الإمـــام الذى نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك بالإحسانى إحســـانا[١]

ولكـــن الزمخشـــرى يرى أن إسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى الســـبب لأنـــه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم .. .. ثم يستشهد على ذلك بقصة وردت عن مالك بن دينار رحمه الله ــ أنـــه دخـــل على محبوس أُخِذَ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحى أما ترى ما نحـــن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لى فأمـــر بهـــا تـــنزل فإذا دجاج وأخبصة[٢] فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك [٣]

ويستنكر ابن المنير ذلك بقوة ويرد على الزمخشرى منددا به أنه (جرى على ســـنة الســـببية فى اعتقاد الإشراك بالله ، وأن الإضلال من جملة المخلوقات الخارجـــة عن عدد مخلوقاته عز وجل بل من مخلوقات العبد نفسه على زعم هـــذه الطائفة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراًوما أشنع تصريحه بأن الله ســـبب الإضـــلال لا خالقه كما أن السلة سبب فى وضع القيود فى رجل

---

[١] المنية والأمل تأليف القاضى عبد الجبار تحقيق د/ عصام الدين محمد صـــ ١٧ -- ١٨ ط دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٨٥م

[٢] الأخبصة : الشىء المخلوط

[٣] الكشاف جـــ١ / ٥٨

المحبوس وإسناد الفعل لله عز وجل مجاز لا حقيقة ياله فى تمثيل صار مثلة وتنظير صار به حائداً عن النظر الصحيح مردود على التفصيل والجملة . [١]

والله تعالى موصوف بالإرادة على الحقيقة عند أهل السنة فإذا قيل أراد الله كذا فإن كان فعله فمعناه أنه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه ، وإن كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به .[٢]

٢ــ ويقول الزمخشرى فى قوله تعالى :

" سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا" [٣] أى جاؤا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وجل ركب فى العقول وأنزل فى الكتاب ما دل على غناه وبرائته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصى بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ، ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره . [٤]

هذا خلط واضح بين زعم المشركين واعتقادهم انهم مسلوبون القدرة والإختيار ، وبين أن كل شئ يقع بإرادة الله سواء كان حسناً أو سوءاً

---

[١] هامش الكشاف جـ ١ /٥٨

[٢] الخازن حـ١/٣٧ ط الإستقامة الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥

[٣] سورة الأنعام من الأية ١٤٨

[٤] الكشاف حـ٢/٤٦

فالأول باطل والثانى حق لا ريب فيه قال تعالى: " قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ"[١] ثم إن الرد على المشركين إنما كان لإعتقادهم انهم مسلبون إختيارهم وقدرتهم وأن إشراكهم إنما صدر منهم على وجه الإضطرار وزعموا أنهم يقيمون الحجة على الله ورسوله بذلك فرد الله قولهم وكذبهم فى دعواهم عدم الإختيار لأنفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل وأشرك بالله واعتمد على أنه يفعل ذلك كله بمشيئة الله .. ثم بين الله تعالى أنهم لا حجة لهم فى ذلك وأن الحجة البالغة له لا لهم بقوله : قل فلله الحجة البالغة " ثم أوضح تعالى أن كل واقع بمشيئته وأنه لم يشأ منهم إلا ما صدر عنهم وأنه لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون بقوله:"فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ " [٢]والأية رد صراح على طائفة الإعتزال القائلين أن الله تعالى شاء الهداية منهم أجمعين فلم تقع من أكثرهم فوجه الرد أن "لو" اذا دخلت على فعل مثبت نفته فيقتضى ذلك أن الله تعالى لما قال فلو شاء لم يكن الواقع أنه شاء هدايتهم ولو شاءها لوقعت فهذا تصريح ببطلان زعمهم .. والأية جامعة لعقيدة أهل السنة منطبقة عليها فان أولها يثبت للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره فى المخالفة والعصيان وأخرها يثبت نفوذ مشيئة الله فى العبد وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الإلهية خيراً أو غيره . وذلك عين عقيدتهم فإنهم

---

[١] سورة النساء من الأية ٧٨

[٢] سورة الأنعام من الأية ١٤٩

(أى اهل السنة) كما يثبتون للعبد مشيئة وقدرة يسلبون تأثيرها ويعتقدون أن ثبوتهاقاطع لحجته،ملزم له بالطاعة على وفق اختياره ويثبتون نفوذ مشيئة الله فهم تبع للكتاب العزيز يثبتون ما أثبت وينفون ما نفى مؤيدون بالعقل والنقل [1] ثم إن هذه الأية التى استدل بها المعتزلة أنما تبين أن المشركين زعموا ان الله رضى لهم كفرهم وشركهم والله لا يرضى لعباده الكفر .

يقول القاسمى – رحمه الله ــ فى تفسير هذه الأية :

" والقصد الإعتذار عن كل ما يقدمون عليه من الإشراك وتحريم الحلال – أى ولكنه لم يشأ الترك وشاء الفعل ففعلنا طوع مشيئته ، وهو لا يشاء إلا الحق ، لانه قادر ، فلو لم يكن حقاً يرضاه لمنعنا منه ،وهو لم يمنعنا منه فهو حق ، وفى حكاية هذه المناظرة والمجادلة بيان لنوع من كفرهم شنيع جداً ..

ثم ينبه القاسمى على تكرير هذه الأية فى القرآن ويوصى بالتدبر لها حتى يتبين الحق المراد ــ ويتسنى الرد على المعتزلة وغيرهم فيقول : هذه الأية تكرر نظيرها فى التنزيل الكريم فى عدة سور وهى من الأيات الجديرة بالتدبر لتمحيص الحق فى المراد منها فقد زعم المعتزلة أن فيها دلالة واضحة لمذهبهم من أن الله لا يشاء المعاصى والكفر ، كما تبجح بذلك منهم

---

[1] هامش الكشاف حـ٢/٤٦ :٤٧ .

الطبرسى الشيعى فى تفسيره وقال : إن فيها تكذيبا ظاهرا لمن أضاف مشيئة ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ، وكذا الزمخشرى فى تفسيره [١]

هذا ، وقد اتخذ المشركون هذه الأية الكريمة حجة على إقامتهم على شركهم، والحجـــة عليهم فى هذا فإنهم - كما يقول الزجاج - إذا اعتقدوا أن كل من كان على شئ ــ والأشياء تجرى بمشيئة الله فهو على صواب فلا معنى إذن ــ على قولهم ــ للرسالة والأنبياء فيقال لهم : فالذين على دين يخالفكم ، أليس هو على ما شاء الله ؟ فينبغى ألا تقولوا إنهم ضالون ، وهو عز وجل يفعـــل ما يشاء ، وهو قادر على أن يهدى الخلق أجمعين ، وليس للعباد على الله أن يفعل بهم كل ما يقدر عليه .[٢]

وعـــلى مـــن زعم : أن إذا كان الكل بمشيئة الله وتقديره كان التكليف عيثا، فكـــانت دعـــوى الأنـــبياء باطلة ، ونبوتهم ورسالتهم باطلة أيضا يرد الفخر الرازى ــ رحمه الله ــ فيقول :

إن الله تعالى بين أن التمسك بهذا الطريق فى إبطال النبوة باطل ، وذلك لانه إلـــه يفعـــل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولا اعتراض عليه لآحد فى فعله فهو

---

[١] محاسن التأويل للقاسمى حـــ٦/ ٢٥٤١ ــ ٢٥٤٢ ط دار الكتب العربية الطبعة الأولى سنة ١٣٧٧هـــ ــ ١٩٥٨

[٢] معانى القرآن وإعرابه للزجاج حـــ٢/٣٠٢ ــ ٣٠٣ ط دار الحديث الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـــ ــ ١٩٩٤م

تعالى يشاء الكفر من الكافر ، ومع هذا فيبعث اليه الأنبياء ويأمره بالإيمان ، وورود الأمـــر على خلاف الإرادة غير ممتنع .. فالحاصل أنه تعالى حكى عـــن الكفـــار أنهم يتمسكون بمشيئة الله تعالى فى إبطال نبوة الأنبياء ثم إنه تعالى بين أن هذا الإستدلال باطل ، فإنه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله فى كل الأمور دفع دعوة الأنبياء وعلى هذا الطريق فقط سقط هذا الإستدلال بالكلية ، وجميـــع الوجوه التى ذكرتموها فى التقبيح والتهجين عائد إلى تمسككم بثبوت المشيئة لله على دفع دعوة الأنبياء ، فيكون الحاصل : إن هذا الإستدلال باطل ، وليس فيه البتة ما يدل على أن القول بالمشيئة باطل[١] .

وأخيـــراً : فـــإن هذه الآية ليست دليلاً على ما يزعمه المعتزلة بأن الله أراد هداية الجميع ولكن البعض كفر بالله وعصى الله بغير مشيئته وإرادته ، ولعل قـــول الله فى الآية التى بعدها مباشرة " قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِيـــنَ "[٢] تعد أقوى دليل على أن الكفر والإيمان لا يكونان إلا بمشيئة الله جل جلاله ، بل ليس من حركة ولا سكون فى السموات والأرض إلا بمشيئة الله وإرادته ..

يقول الإمام الطبرى فى تأويل قوله تعالى :-

---

[١] التفسير الكبير للفخر الرازى حـــ١٢ - ٦٢٢ . وانظر القاسمى حـــ٦ صـــ ٢٥٤٦ : ٢٥٤٧ ط دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى سنة ١٣٧٧ هـــ - سنة ١٩٥٨ م

[٢] سورة الأنعام الآية : ١٤٩

" فلو شاء لهداكم أجمعين " فلوشاء ربكم لوفقكم أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة والبراءة من الأنداد والألهة والدينونة ــ بتحريم ما حرم الله ، وتحليل مــا حلله ، وترك اتباع خطوات الشيطان ، وغير ذلك من طاعاته ، ولكنه لم يشأ ذلك فخالف بين خلقه فيما شاء فمنهم كافر ، ومنهم مؤمن ، وعن الربيع ابــن أنــس قــال : لا حجــة لأحد عصى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عــباده [١] وإن إعــتقاد المعتزلة وزعمهم أن الله لا يريد الشر والقبائح ، ولا يخلق الكفر والظلم لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عادلاً – بعيد عن الصواب ، وعن العقيدة الصحيحة ، وإنه لشبيه بكلام أهل الشرك من الثنوية والماجوس الذين جعلوا الشريك لله تعالى حيث قالوا :

(رأيــنا فى العالم خيراً وشراً ولذةً وألماً وحياة وموتاً وصحة وسقماً وغنى وفقراً ، وفاعل الخير خيّر ، وفاعل الشر شرير ، ويستحيل أن يكون الفاعل الواحــد خيــراً وشريراً معاً ، فلابد من فاعلين ليكونا أحدهما فاعلاً للخير ، والأخــر فــاعلاً للشــر ، ولو كان مدبر العالم واحداً لما خصى هذا بالحياة والصحة والغنى وخصى ذلك بالموت والألم والفقر [٢]

ولما كان كلامهم يشبه كلام أهل الكفر فقد أدى ببعضهم إلى ما قد يكون يشبه الكفر والعياذ بالله . حيث زعم بعضهم ان الكافرين ليسوا من خلق الله ...

---

[١] جامع البيان فى تأويل القرآن جـ٥ ـ ٤٣٤ ط دار الغد .

[٢] التفسير الكبير للفخر الرازى حـ٢١ / ١٠٢ ـ ١٠٣

يقول ابن حزم " رحمه الله " .

وقـــد ادى هذا القول الفاحش الملعون رجلا من كبار المعتزلة وهو عياد بن سليمان تلميذ هشام بن عمرو الفوطى الى أن قال :

إن الله تعـــالى لم يخلق الكفار لأنهم ناس وكفر معاً لكن خلق أجسامهم دون كفرهم .[١]

---

[١] الملل والنحل لابن حزم حـــ٣/٥٤ ط دار المعرفة سنة ١٤٠٣ ــ ١٩٨٣ م

شبهة المعتزلة حول المشيئة

للمعـــتزلة شبهة حول هذه الأية الكريمة فإنهم يزعمون أن مذهب أهل الســـنة والجماعـــة فى مشيئة الله يشبه مذهب المشركين حيث إن المشركين أسندوا كفرهم وعصيانهم إلى إرادة الله ومشيئته وأهل السنة يقولون كل شئ بإرادة الله ومشيئته ونص شبهتهم أنهم قالوا :

إن الله تعالى حكى على المشركين أنهم قالوا : أشركنا بإرادة الله تعالى . ولو أراد عـــدم إشراكنا لما أشركنا ، ولَمَا صدر عنا تحريم المحللات فقد أسندوا كفـــرهم وعصـــيانهم إلى إرادتـــه تعالى كما تزعمون أنتم . ثم إنه تعالى رد عـــليهم مقالـــتهم وبين بطلانها وذمهم عليها وأوعدهم عليها وعيدا شديدا. فلو كـــان يجوز إضافة المشيئة الى الله تعالى فى ذلك على ما تضيفون أنتم ، لم يكن يرد ذلك عليهم ويتوعدهم! [١]

رد الشبهة

المعتزلة فى شبهتهم هذه لم يفرقوا بين قول المشركين اذا ما كانوا قد قـــالوا ذلـــك عـــناداً واستهزاء أو قالوه إجلالا واعترافا ، فلو قالوا ما قالوا إعترافا بقدر الله و تعظيما لمشيئته لم يكن يضر ، ولكن القوم قالوا ذلك على ســـبيل الإســـتهزاء والســـخرية. وظنوا أن الله راضٍ عنهم رغم شركهم ،

---

[١] تفسير القاسمى حـــ١/٢٥٤٣ ط دار احياء الكتب العربية الطبعة الأولى ١٣٧٧هـــ ـــ ١٩٥٨م

واتخـــذوا مـــن مشيئة الله حجة على بطلان إرسال الرسل والأنبياء عليهم- الصلاة والسلام ــ وبذلك كان العتاب من الله لهم .

هـــذا ، وقد بين علماء أهل السنة والجماعة ان اللوم قد وقع عليهم لا لمجرد القول ولكن لاستهزائهم به ، وادعائهم أنهم مجبرون على فعل المعصية فربما قال الإنسان كلمة حق ولكن استهزاء وسخرية فيحمل الوزر ويقع عليه اللوم يقول القرطبى ــ رحمه الله ــ حول هذه الاية :

وقـــد لبست المعتزلة بقوله " ولو شاء الله ما أشركنا " فقالوا قد ذم الله هؤلاء الذيـــن جعـــلوا شركهم عن مشيئته ــ وتعلقهم بذلك باطل لان الله تعالى إنما ذمهـــم على ترك اجتهادهم فى طلب الحق ، وإنما قالوا ذلك على جهة الهزء واللعب ، نظيره " وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم " [١] ولو قالوا على جهة الـــتعظيم والإجـــلال والمعرفة به لما عابهم لأن الله يقول : " لو شاء الله ما اشـــركوا "[٢] فالمشـــركون قـــالوا ذلك على سبيل الإستهزاء والسخرية دفعاً لدعوتـــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتعللا لعدم إجابته وإنقياده ، لا تفويضا للكائـــنات الى مشـــيئة الله تعالى فما صدر عنهم كلمة حق أريد بها باطل ، ولذلك ذمهم الله بالتكذيب لأنهم قصدوا به تكذيب النبى " صلى الله عليه وسلم

---

[١] سورة الزخرف من الاية ٢٠

[٢] الجامع لاحكام القرآن حـــ٧/ ١٢٩ ط دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـــ ــ ١٩٥٤م

" فى وجـــوب اتباعه والمتابعة . فقال كذلك كذّب " بالتشديد ولم يذمهم بالكذب فى قولهم ذلك وإلا لقال " كذلك كذب " بالتخفيف اشارة الى ان ذلك الكلام فى نفســـه حق وصدق .. فأشار الله إلى صدق مقالتهم وفساد غرضهم ، فالعتاب الـــذى لحقهـــم والوعيد الذى أوعدهم إنما كان لاستهزائهم كما ذكر فى قوله تعالى :

" وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا " [١] هى كلمة حق ولكن قالها استهزاء فلحقه الذم .[٢]

وقيل أرادوا أن مشيئته ملزمة ومجبرة فهم غير مختارين فى ذلك .[٣]

والمشيئة فى الاية تخرج على وجوه :

منها الأمر والدعاء فكأنهم يزعمون أن الله أمرهم بالشرك أو دعاهم الى فعل المعاصى . يقول القاسمى ـــ رحمه الله ـــ

إن المشـــيئة فى الأية بمعنى الأمر والدعاء الى ذلك أى يقولون إن الله أمرهم بذلـــك ودعـــاهم إليه ، كما أخبر عنهم فى سورة الأعراف بقوله " وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ أَبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا "[٤] فرد الله تعالى عليهم

---

[١] سورة مريم اية : ٦٦

[٢] محاسن التأويل للقاسمى حـــ٦/٢٥٤٤ : ٢٥٤٥

[٣] انظر المنار الأستاذ محمد رشيد رضا حـــ٨/١٧٦ ط دار المعرفة الطبعة الثانية

[٤] سورة الأعراف من الأية :٢٨

بقوله : " قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ " [١]

والمشيئة بمعنى الرضا . والمشركون اعتقدوا أن شركهم حق مرضى عند الله تعالى . يقول صاحب روح البيان :

أرادوا به أن ما فعلو ه حق مرضى عند الله تعالى . كذلك كهذا التكذيب وهو قولهم إنما أشركنا وحرمنا لكون ذلك مشروعا ومرضيا عند الله تعالى وأنك كاذب فيما قلت من إن الله تعالى منع الشرك ولم يحرم ما حرمتموه .[٢]

فمرادهم أن الله رضى بفعلنا وصنيعنا ــ حيث فعل آباؤنا مثل ما فعلنا ــ فلم يحل الله بينهم وبين ذلك ، ولا أخذ على أيديهم ولا منعهم عن ذلك ، فلو لم يرض بذلك عنهم لكان يمنعهم عنه ــ [٣]

ويقول الإمام أبو منصور الماتريدى :

وإنما استدلوا بالرضا من الله والإذن فيما كانوا فيه ، أنهم كانوا يُخوفون بالهلاك والعذاب على صنيعهم ، ثم رأوا أباءهم ماتوا على ذلك ولم ياتهم العذاب ، فاستدلوا بتأخير نزول العذاب عليهم على أن الله رضى بذلك .[٤]

---

[١] سورة الأعراف من الأية : ٢٨

[٢] انظر تفسير روح البيان للشيخ اسماعيل حقى البرسوى م٣/ ١١٦

[٣] محاسن التأويل حـ٦/٢٥٤٣

[٤] محاسن التأويل حـ٦/٢٥٤٣ للقاسمى نقلا عن تأويلات أهل السنة .

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك فرقا بين ما أمر الله به ، وبين ما شاءه الله وأراده ، فأمر الله فى قضية ما واضح بيّن يعلمه الأنبياء ويستنبطه العلماء ، ولكن ما شاءه الله فى الأزل لا سبيل الى معرفته ومن ثمّ لا يجوز للإنسان ان يعلق عذره فى الكفر أو المعصية عليه . ثم ان مشيئة الله تكون فى الشئ ونقيضة كل يتم بمشيئة الله بخلاف ما أمر به فإنه سبحانه لا يأمر إلا بالخير ، ولا ينهى إلا عن الشر . قال تعالى : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى "[١]

يقول القاسمى ــ رحمه الله ــ :

إن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته ــ فإن الله تعالى مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد ، فعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته ، فــإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد عليه فى فعله ، فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ، ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويأمره بالإيمان ، وورود الأمر على خلاف الإرادة غير ممتنع ، فالحاصل أنه تعالى حــكى عن الكفار أنهم يتمسكون بمشيئة الله تعالى فى شركهم وكفرهم فأخبر الله تعالى أن هذا التمسك فاسد باطل [٢]

---

[١] سورة النحل من الأية : ٩٠

[٢] تفسير القاسمى حـــ٦/٢٥٤٦ ــ ٢٥٤٧

ولعل تمسكهم كان فاسدا لأنه ليس عن علم وبرهان ، وإنما عن عناد وعتو ، لا سيما بعد ثبوت الرسالات بالمعجزات . يقول القاسمى :

وهـذا القـول من المشركين عناد بعد ثبوت الرسالات بالمعجزات ، وإخبار الرسل بأنه يشاء الشئ ويعاقب عليه لان ملكه تام ، لا يسأل عما يفعل .

وقال الإمام القاشانى فى قوله تعالى : " كذلك كذب الذين من قبلهم أى : كذب المـنكرون الرسـل من قبلهم بتعليق كفرهم بمشيئة الله ، عنادا وعتو فعذبوا بكفـرهم . ثـم قال فى قوله : " قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا " أى إن كان لكم علم بذلك وحجة فبينوا ، وإنما قال ذلك ، إشارة الى قولهم " لو شاء الله ما أشركنا " لأنهم لو قالوا ذلك عن علم ، لعلموا أن إيمان الموحدين وكل شـئ لا يقع إلا بإرادة الله ، فلم يعادوهم ولم ينكروهم ، بل وَالَوْهم ، ولم يبق بيـنهم وبين المؤمنين خلاف ، ولعمرى إنهم لو قالوا ذلك عن علم لَمَا كانوا مشركين بل كانوا موحدين ، ولكنهم اتبعوا الظن فى ذلك ، وبنوا على التقدير والـتخمين لغرض التكذيب والعناد ، وعلى ما سمعوا من الرسل إلزاما لهم وإثـباتا لعدم إمتناعهم عن الرسل ، لأنهم محجوبون فى مقام النفس وإنّى لهم اليقين ؟ ومن أين لهم الإطلاع على مشيئة الله ؟ وقوله تعالى :

" قل فلله الحجة البالغة " أى : إن كان ظنكم صدقا فى تعليق شرككم بمشيئة الله ، فـليس لكم حجة على المؤمنين وعلى غيركم من أهل دين ، لكون كل دين حينئذ بمشيئة الله ، فيجب ان توافقوهم وتصدقوهم بل لله الحجة عليكم فى وجوب تصديقهم وإقراركم بأنكم أشركتم بمن لا يقع أمر إلا بإرادته ، فأنتم أشـقياء فى الأزل مستحقون للبعد والعقاب . وقوله تعالى : " فلو شاء لهداكم

أجمعين " أى : بلى صدقتم ولكن كما شاء كفركم لو شاء لهداكم كلكم ، فبأى شئ علمتم أنه لم يشأ هدايتكم حتى أصررتم ؟ وهذا تهييج لمن عسى أن يكون له استعداد منهم فيقمع ويهتدى فيرجع عن الشرك ويؤمن [١]

وأخيـــرا أقـــول : إن قول الله تعالى : " سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْـــرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَـــنَا قُـــلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ " [٢] ليس فيه حجة أو دليل على صحة ما ذهب إليه المعتزلة من أن الكفر والمعاصى تقع على غير مشيئة الله وإرادته – بل إن هذه الأية كما قال القاسمى ــ عند من له أذن واعية تصيح على المعتزلة بالويل والثبور . ولكن فى أذانهم وقرٌ ومن لم يهده الله فلا هادى له .[٣]

والذى نراه صوابا وندين الله عليه هو عقيدة أهل السنة والجماعة " الفرقة الناجية " والتى تنص على :

الأيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن شراً كان أو خيراً . وأنه : ما فى الســـموات والإرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه لا يكون فى ملكه الا ما يريد فكل شئ يجرى بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره

---

[١] تفسير القاسمى حـــ٦/٢٥٤٥ : ٢٥٤٦

[٢] سورة الأنعام اية ١٤٩

[٣] محاسن التأويل للقاسمى حـــ٦/٢٥٤٤

غلبت مشيئة المشيئات كلها . وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا .[١]

وان علم الله وإرادته وكلامه غيب لا يطلع عليه العبد ، إلا من ارتضى من رسول ، ويكفى فى التكليف أن يكون العبد بحيث لو أراد أن يفعل ما أُمِر به لأمكنه [٢]

ومما يعتقده أهل الإعتزال بالنسبة لمشيئة الله وإرادته :أن الله تعالى يريد شيئا والعبد يريد خلافه وقد يقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب ، يقرر هذا المعنى الزمخشرى وهو يفسر قول الله تعالى : " وَمَا نُرِيهِم مِّن آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " [٣] لعلهم يرجعون – إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان فان (قلت) لو أراد رجوعهم لكان (قلت) إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد ، وإلا دار بين أن يوجد وبين ألا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسراً ولم يختاروه .[٤]

---

[١] المرجع السابق حـ٦/ ٢٥٤٣ وانظر هامش الكشاف للشيخ عليان المرزوقى حـ٢ /٣٢٨ ــ وانظر العقيدة الطحاوية صـ٩٣

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ٧/١٢٨ : ١٢٩

[٣] سورة الزخرف أية : ٤٨

[٤] الكشاف حـ٣/٤٢٢

ويلاحظ على الزمخشرى أنه حمل كلمه " لعل " على الإرادة ليثبت إعتقاده أن الله يـريد شـيئا ويـريد العـبد خلافـه فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب والمعـروف كما يقول : ابن المنير أن "لعل" حيثما وردت فى سياق كلام الله تعـالى فالمراد صرف الرجاء الى المخلوقين أى ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك.هذا هو الحق وعليه تأول سيبويه ما ورد .[١]

ثم إن الإرادة غير الأمر كما سبق ان ذكرنا ذلك .

يقـول الشـيخ عليان المرزوقى : مذهب أهل السنة أن إرادة الله غير الأمر سواء كانت لفعل نفسه أو لفعل غيره ولا يلزم تأويل الأية بالإرادة لجواز أن يكون معناها ليكون حالهم عند الأخذ بالعذاب حال من يرجى رجوعهم .[٢]

هـذا ، وأن ما ذهب اليه المعتزلة من أن الله اراد الإسلام من الخلق أجمعين ولكـن أراد بعـض منهم الكفر فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه حيث قال سبحانه : " وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا " [٣]

فقد ذكر الألوسى – رحمه الله ــ أن الأية : " بيان لتبعية إيمان النفوس التى عـلم الله تعالى إيمانها لمشيئته تعالى وجودا وعدما ، بعد بيان الدوران الكلى

---

[١] الكشاف حـ٣/٤٢٢

[٢] هامش الكشاف حـ٣/٤٢٢ لابن المنير .

[٣] هامش الكشاف حـ٣/٤٢٢ للمرزوقى .

[٤] سورة يونس من الاية : ٩٩

عليها كذلك .. وهو أن خلاف المشيئة مستحيل أى ما صح وما استقام لنفس من النفوس التى علم الله تعالى أنها تؤمن (أن تؤمن إلا بإذن الله) اى بمشيئته وإرادته سبحانه . [١]

فالنفس مختارة فى دائرة الأسباب والمسببات ، ولكنها غير مستقلة فى إختيارها استقلالا تاما ، بل مقيدة بنظام السنن والأقدار الألهية .[٢]

ويذكر ابن حزم قول الله تعالى : "وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ " [٣] ثم يقول :

الأية كلها موصولة بعضها ببعض فنص تعالى على أنه لو شاء لأمن الناس والجن وهم أهل الأرض كلهم ولو فى لغة العرب – التى بها خاطبنا الله عز وجل ليفهمنا ــ حرف يدل على امتناع الشئ لا متناع غيره فصح يقينا أن الله تعالى لم يشأ أن يؤمن كل من فى الأرض وإذ لا شك فى ذلك فباليقين ندرى أنه شاء منهم خلاف الإيمان وهو الكفر والفسق لابد ولو كان الله تعالى أذن للكافرين فى الإيمان على قول المعتزلة لكان كل من فى الأرض قد أمن

---

[١] روح المعانى حـ١١/٩٤ ط دار احياء التراث العربى بيروت

[٢] تفسير المراغى للشيخ احمد مصطفى المراغى حـ١٠ / ١٥٨ ط الحلبى الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م

[٣] سورة يونس٩٩ : ١٠٠

لأنـــه تعـــالى قد نص على أنه لا يؤمن أحد إلا بإذنه وهذا أمر من المعتزلة يكذبه العيان فصح أن المعتزلة كذبت وأن الله تعالى صدق وأنه لم يأذن قط لمـــن مـــات كافراً فى الإيمان وإن من عمى عن هذه لأعمى القلب وكيف لا يكـــون أعمى القلب من أعمى الله قلبه عن الهدى وبالضرورة ندرى أن قول الله تعـــالى " وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله " حق وإن من لم يأذن الله تعالى له فى الإيمان فإنه تعالى لم يشأ أن يؤمن وإذا لم يشأ أن يؤمن فبلاشك أنه تعالى شاء أن يكفر هذا مالا انفكاك منه [١]

---

[١] الفصل فى الملل والأهواء والنحل حـــ٣ / ١٤٥ :١٤٦ . ط دار المعرفة بيروت ـــ لبنان

المبحث الثالث : وجوب فعل الصلاح على الله لعباده

وجوب فعل الصلاح على الله لعباده

يعتقد المعتزلة أن الله يسير بالخلق الى غاية حميدة ، وأنه يريد خير ما يكون لخـــلقه ومن ثم أوجبوا على الله فعل الصلاح لعباده ، بل يجب رعاية ما هو أصلح ، ومن هنا تفرعت نظريتان عندهم مشهورتان وهما :

الصلاح والاصلح ــ الحسن والقبيح .

١- نظرية الصلاح والأصلح :

مجمـــل راى المعـــتزلة فى هذه القضية : (ان الله لما كانت أعماله معللة ويقصد منها الى غاية وهى نفع العباد فالله يقصد فى أفعاله إلى صـــلاح العـــباد ومن المعتزلة من قال بأنه يجب على الله أن يعمل مافيه صـــلاح لعـــباده ومنهم من لم يكتف بذلك بل قال يجب رعاية ما هو الأصلح وجمهورهـــم عـــلى أنه يرعى ما هو الأصلح) [١]ونرى الزمخشرى - وهو إمـــامهم ــ مهتما بتعليل أفعال الله ، وتقرير أنها كلها حكمة ومصلحة فيقول فى تفسير قوله تعالى :

" لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ [٢]

إذا كـــانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من فى مملكتهم عن أفعالهم وعمـــا يـــوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيباً وإجلالاً مع جواز الخطأ

---

[١] ضحى الاسلام جـــ ٣ / ٤٥ للأستاذ أحمد أمين

[٢] سورة الأنبياء آية : ٢٣

والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم اولى بـــان لا يسئل عن افعاله مع ما علم واستقر فى العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح .[١]

ويلاحـــظ مـــن كلام الزمخشرى قوله " أن ما يفعله كله مفعول بدواعـــــى الحكمـــة ... الـــخ أنه يرى أن أفعال الله معللة وأن الله واجب عليه مصالح العباد وهذا ما يعتقده أهل الإعتزال فإن الله لا يسئل عما يفعل لا لأنه العظيم المتعال ولكن لأنه ــ فى زعمهم ــ يفعل الشئ لأجل علة واجبة وهى منفعة العباد ومراعاة مصالحهم .

والجديـــر بالذكرأن القول بتعليل أفعال الله يترتب عليه مالا يتناسب مع ذات الله تعالى ، فإن الذى يفعل شيئا ما لغرض ما إنما يكون ناقصا ويستكمل بهذا الغرض

والمستكمل بغيره ناقص فى ذاته . وهذا محال على الله تعالى – لذلك يجوز تعـــليل أفعالـــنا نحن البشر وتبطل أفعالنا بزوال العلة وتَتَغير وتتبدل ولكن لا يجوز ذلك على الله لأنه كامل بذاته وليس من صفاته النقص ــ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ..

هـــذا ، وحـــول هذه الأية الكريمة ذكر علماء أهل السنة أوجها عديدة كثيرة تبطل القول بتعليل أفعال الله تعالى :

---

(١) الكشاف حـــ٣/٨

إحداهـــا : أنـــه لو كان كل شئ معللا بعلة لكانت عليّه تلك العلة معللة بعلة أخـــرى ويلزم التسلسل فلابد من قطع التسلسل من الإنتهاء الى ما يكون غنيا عـــن العلة وأولى الأشياء بذلك ذات الله وصفاته وكما أن ذاته منزهة ، عن الإفـــتقار إلى المؤثـــر والعـــلة ، وصـــفاته مـــبرآة عـــن الإفتقار إلى المبدع والمخصـــص فكـــذا فاعليته يجب أن تكون مقدسة عن الإستناد إلى الموجب والمؤثر .

ثانيها : أن فاعليته لو كانت معللة بعلة لكانت تلك العلة ، إما أن تكون واجبة أو ممكنة فإن كانت واجبة لزم من وجوبها وجوب كونه فاعلا ، وحينئذ يكون موجـــبا بالذات لا فاعلاً بالإختيار ، وإن كانت ممكنة كانت تلك العلة فعلا ، مـــن الله تعالى أيضا فتفتقر فاعليته لتلك العلة الى علة أخرى ولزم التسلسل وهو محال .

ثالـــثها : إن مـــن فعل فعلا لغرض ، فإما أن يكون متمكنا من تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة أو لا يكون متمكنا منه ، فإن كان متمكنا منه كان توسط تلك الواسطة عبثا وإن لم يكن متمكنا منه كان عاجزاً والعجز على الله محـــال ، أما العجز علينا فغير ممتنع فلذلك كانت أفعالنا معللة بالأغراض ، وكل ذلك فى حق الله تعالى محال .

رابعها : أنه لو كان فعله معللا بغرض لكان ذلك الغرض إما أن يكون عائدا إلى الله أو إلى العـــباد والأول محال لأنه منزه عن النفع والضر ، وإذا بطل ذلك تعين أن الغرض لابد وأن يكون عائدا إلى العباد ، ولا غرض للعباد إلا حصـــول الذات وعدم حصول الألام ، والله تعالى قادر على تحصيلها إبتداء

مـــن غير شئ من الوسائط ، واذا كان كذلك استحال أن يفعل شيئا من أجل شئ .

خامســـها : أنه لو فعل فعلا لغرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه إما أن يكون على السواء أو لا يكون ، فإن كان على السواء استحال أن يكـــون غرضا ، وأن لم يكن على السواء لزم كونه تعالى ناقصاً بذاته كاملا بغيره وذلك محال . [١]بهذه الوجوه ثبت أن الله لا يجوز أن يقال له فى أفعاله لم فعلت هذا الفعل ؟

فان كل شئ صنعه ولا علة لصنعه والجدير بالذكر (أن المعتزلة سلّموا أنه لا يجوز ان يقال لله لم فعلت هذا الفعل ولكنهم بنوا ذلك على أصل آخر وهو ان مـــا يفعله الله تعالى كله إنما هو مفعولا بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح لانه تعالى عالم بقبح القبائح ، وعالم بكونه غنيا عنها ، ومن كان كذلك فإنه يستحيل أن يفعل القبيح) [٢]

ولعل هذا هو لب الإختلاف بينهم وبين أهل السنة .

هـــذا وقول الزمخشرى " فعلُه مفعول بدواعى الحكمة ... الخ ليس بمستساغ ولا يليق أن نصف به ربنا سبحانه وتعالى وقد أحسن ابن المنيرإذ استنكر هذا القـــول وأدان صـــاحبه حيث قال : سحقا لها من لفظة ما أسوأ أدبها مع الله

---

[١] الفخر الرازى حـــ٢١/١٠٣ : ١٠٤

[٢] الزمخشرى حـــ٣/٨ ــ وانظر الفخر الرازى حـــ٢١ / ١٠٤ : ١٠٥

تعـــالى فـــإن الدواعى والصوارف إنما تستعمل فى المحدثين كقولك هو مما توفر دواعى الناس إليه أو صوارفهم عنه وقوله ــ أى قول الزمخشرى – لا يجـــوز عليه فعل القبائح ... إنه فى الذيل أتقول أن هناك أحدا شريك الله فى ملكه يفعل ما يشاء من الأفعال التى تسميها قبائح فتنفيها عن قدرة الله تعالى وإرادته [١]

ويقول الطبرى فى قوله : " لا يسأل عما يفعل"

لا سائل يسأل رب العرش عن الذى يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حيـــاة وموت وإعزاز وإذلال وغير ذلك من حكمه فيهم .. وهدى وإضلال ، وإســـعاد وإشقاء لأنهم خلقه وعبيده وجميعهم فى ملكه وسلطانه ولأنه الرب مالك الأعيان ، الحكم حكمه ، والقضاء قضاؤه ، لا شئ فوقه يسأله عما يفعل ، فيقـــول له لِمَ فعلت ؟ ولِمَ لم تفعل ؟ .. وجميع من السموات والأرض من عـــباده مسئولون عن أفعالهم ، ومحاسبون على أعمالهم ، وهو الذى يسألهم عن ذلك سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتـــثال أمـــر مولاهم .. قال ابن جريج لا يُسأل الخالق عن قضائه فى خلقه وهو يسأل الخلق عن عملهم . [٢]

ومجمـــل القول أن كل ما يفعله الله تعالى فهو حكمة وصواب وإذا كان كذلك قـــلا يجوز للعبد أن يقول لله لم فعلت هذا وأن أفعاله غير معللة بعلل ندركها

---

[١] هامش الكشاف حـــ٣/٨

(٢) الطبرى حـــ١٦/٩ ط دار الغد العربى وانظر لباب التاويل للخازن حـــ٢٥٨/٣ ط الإستقامه الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـــ – ١٩٥٥م .

وإن كانت كلها لحكمة قد تغيب عن الخلق لقصر عقولهم وجهلهم بمراد الله تعالى ، وأنه تعالى يفعل ما يشاء ، ويخلق ما يشاء قال تعالى :

" وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ " [١]

وكما أن عقولنا لا تستطيع أن تدرك كل حكمة من تشريعات الله فأيضا لا يحق لها أن توجب على الله شيئا أو تشترط عليه شرطاً .

بقول ابن حزم – رحمه الله– :

وقد أحكمنا بحول الله وقوته أن الله تعالى لا شرط عليه ولا علة موجبة عليه ان يفعل شيئا ولا ألا يفعله .... وأنه تعالى لو أهمل الناس لكان حقا وحسنا لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذى لم يلزمه شريعة ولا حظر عليه شئ . وأنه تعالى لو واتر الرسل والنذارة أبداً لكان حقا وحسنا كما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله أبداً، وأنه تعالى لو خلق الخلق كفاراً كلهم لكان ذلك منه حقاً وحسناً أو لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقاً وحسناً كما أن الذى فعل – تعالى – من كل ذلك حق وحسن . وأنه لا يقبح شيء إلا من مأمور منهى قد تقدمت الأوامر وجوده ، وسبقت الحدود المرتبة للأشياء كونه ، وأما من سبق كل ذلك فله أن يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء لا معقب لحكمه[٢] ..

وكلام ابن حزم كلام طيب يتفق مع الفطرة السليمة ، ولا يسع المسلم إلا قبو له والإطمئنان له لاسيما أن النبى" صلى الله عليه وسلم "أخبرنا أن لله تعالى أن يفعل بكل عباده ما يشاء من حيث الرحمة أو العذاب . إن رحمهم فبفضله وكرمه ، وإن عذبهم فالأمر إليه من قبل ومن بعد ..

---

[١] سورة القصص من الأية ٦٨

[٢] الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ / ٦١ ط محمد على صبيح

أخـــرج أبـــو داود واللفظ له وابن ماجه عن زيد بن ثابت أن النبى "صلى الله عليه وسلم "

قـــال : لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم . (١)

هذا ، وإن كان إثابة أهل الطاعة ، وتعذيب أهل المعاصى أمراً يروق لنا فإن هـــذا فى حياتنا الدنيا وبيننا نحن البشر ، أما أحكام الدين ، والحكم بين الناس يوم أن يقوموا لرب العالمين فلا يكون ذلك عقلا.

يقول النووى رحمه الله : اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقـــاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف ، ولا تثبت

---

(١) الحديث رواه ابو داود ونصه " ... عن ابن الديلمى قال أتيت أبى بن كعب فقلت له وقع فى نفسى شئ من القدر فحدِّثنى بشئ لعل الله يذهبه فقال : لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم - ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً فى سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار . قال : ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك ، قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثنى عن النبى " صلى الله عليه وسلم " مثل ذلك "

أبو داود حـــ٤/٢٢٤ : ٢٢٥ ك القدر حديث رقم : ٤٦٩٩ ط الدار المصرية اللبنانية سنة ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٨ م - وانظر ايضاً سنن ابن ماجه حـــ١/٣٠ المقدمة (١٠) ب فى القدر حديث رقم ٧٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

هـــذه كـــلها ولا غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضاً أن الله تعالى لا يجب عليه شيء ..

بل العالم ملكه والدنيا والآخرة فى سلطانه يفعل فيهما ما يشاء .[١]

فالمعـــتزلة أخطأوا فى مفهوم العدل ، وربما كانت نقطة الخطأ عندهم أنهم : " تصوروا عدل الله كما يتصورون عدل الحاكم من البشر كخليفة أو سلطان ، فطـــبقوا عدل هؤلاء على عدل الله تعالى ، وفاتهم أن العدل تختلف معانيه ، حـــتى باختلاف الناس أنفسهم فالعدل فى نظر الإنسان الراقى غير العدل فى نظـــر الـــبدائى ، وقـــد كان أرسطو يرى الرق عدلاً ونحن اليوم نراه ظلماً صارخاً ، فما بالنا نحاول أن ندرك عدل الله وعقولنا لا تستطيع ، وإنّ نَظَرنَا للعدل يتصل ببيئتنا ، والعدل عند النظر إلى البيئة غير العدل عند النظر إلى الدنيا كلها ، والله تعالى يحكم العالم كله ، وهو فى عدله ينظر إلى العالم كله، وليســـت الأرض وسكانها إلا هِنَةً من هنات العالم ، فنحن بالنسبة إلى الله ننظر كما تنظر النملة من محيطها الصغير ، فكيف نحكم على عدل الله ونحن لا نـــدرك شئون هذا الكون ومخلوقاته ، فضلاً عن أننا لا ندرك منه عدل الله وسائر صفاته [٢]

ولعل الذى أوقع المعتزلة فى هذا الخطأ ، وجعلهم يسلكون هذا المسلك كثرة الفســـاد فى ذلـــك الوقت ، وارتكاب الكبائر ، وزعمُ أصحاب هذه الآثام أنها

---

[١] شرح النووى حـــ١٧/١٥٩ : ١٦٠

[٢] ظهر الإسلام جـــ٤ / ٨٠ لأحمد أمين ط مكتبة النهضة المصرية الطبعة الخامسة ١٩٨٢ م

وقعـــت قضاءً وقدراً ، وأنهم سيدخلون الجنة لأنهم ينطقون بالشهادتين فوقف المعتزلة منهم هذا الموقف .

يقول أستاذنا الدكتور وردانى عبد الراضى :

يقول المحللون لمذهب المعتزلة فى علة هذا التوجه الإعتزالى : إنهم وجدوا بعـــض أمـــراء بنى أمية يفعل الكبائر ويحاول التملص من مسئوليته عنها ، محتجاً بالقضاء والقدر – سلباً وإيجاباً ، جزاءً وعقاباً .، كما أن بعض هؤلاء الأمراء وصلت إليه الإمارة اغتصاباً : (أى بطريق غير ما كان عليه السلف الصـــالح فى تولى وتولية الإمارات لمن يستحقها) ممن توفرت فيهم الأهلية لهـــا ، ثـــم يعـــلل هؤلاء الأمراء اغتصابهم للإمارة بالقضاء والقدر ، فوقف المعـــتزلة مـــنهم هذا الموقف العقلى لرد جماحهم وإيقاف معاصيهم . وليتهم لجأوا إلى الشرع وأحكامه حسب ما تمليه نصوصه ، قبل اللجوء إلى العقل حالة كونه بعيداً عن الشرع ، وما هذا منهم إلا استعجال لثمرة النصيحة ، أو محاولـــة فرضـــها وتنفيذها بسياط أقوى من سياط نصوص الشرع ، ظنوها كائنة فى سياط العقل وحده وما مثلهم فى ذلك إلا كالدب : الذى طرد الذبابة عن وجه صاحبه النائم بأن ضربها بحجر لتطير بعيداً عنه .

فليت هؤلاء ما فعلوا فعلتهم هذه إذ وقعوا ـ وأوقعوا متبعيهم ـ فيما هو أخطر وأدهى مما حاولوا إصلاحه ، وهم بذلك مجدوا العقل وقدموه على الشرع[1] .

ومن ثمَّ كان الفساد والإفساد ، والغلو والضلال ، وإنها لإحدى الكبر أن يقدم العقل على النقل ..

يقول ابن القيم – رحمه الله – فى كتابه أعلام الموقعين :-

---

[1] إتجاه المعتزلة ومنهجهم فى التفسر صـــ١٦٩ ط الأمانة

" فســـاد الدنيـــا والديـــن من تقديم المتشابه على المحكم ، وتقديم الرأى على الشرع ، والهوى على الهدى "[١] .

ولا يظـــنَّن أحد أن المعتزلة رفعوا من شأن العقل ، بل أضروا به إذ حمَّلوه فوق طاقته ، والعقل لا يُعول عليه فى كل الأمور بل إن هناك من الأمور ما يعجـــز عن إدراك حقيقتها لأنه عقل أى معقول ومحبوس عن أشياء ليس فى إمكانه الخوض فيها . قال ابن الأنبارى :

(رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه ، مأخوذ عن عَقَلْتُ البعير إذا جَمَعْت قوائمه ، وقيل العاقل : الذى يحبس نفسه ويردّها عن هواها ، أُخِذَ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومُنِعَ عن الكلام . وعَقَلَ الدواء بطنه : أمسكه وقيل أمسكه بعد استطلاقه[٢] .

فـــليت المعتزلة أمسكوا عقلهم عند أحكام الدين ، وقالوا له هذا ما لا شأن لك بـــه ، ونظروا فيما جاء من الوحى فهو الحق والحق أحق أن يتبع " وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ "[٣] .

وليـــتهم نظـــروا فيما ورد عن النبى – صلى الله عليه وسلم – الذى عصمه ربه أن يقول غير الحق " وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ "[٤] .

ونشـــروا دعوتهم من خلال هذين النورين " الكتاب والسنة " فلا شك أن هذا خيـــر وأفضل من الخوض فيما خاضوا فيه كوجوب شىء على الله واستحالة

---

[١] أعلام الموقعين جـــ٢ / ٢٣٠ ط دار الحديث

[٢] لسان العرب جـــ٣ / ٤٠٤٦ ط دار المعارف

[٣] سورة الإسراء من الاية ١٠٥

[٤] سورة النجم ٣ : ٤

شـــيء عـــليه سبحانه . وغير ذلك مما لم نقرأه فى قرآن محفوظ ، ولم يقله رســـول معصـــوم ، ولـــم يرد عن أصحاب خير القرون رضوان الله عليهم أجمعين ..

الفصل الرابع

الوعد والوعيد

الوعد والوعيد

وهـــو الأصل الثالث من أصول المعتزلة والمراد عندهم بكلمة الوعد الثواب للمحسنين ، والوعيد العقاب للعصاة المذنبين .

ويرى المعتزلة ان كلا من ثواب المحسنين وعقاب العاصين واجب على الله لا يجوز تركه .

يقول الشهرستانى :

واتفقـــوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض ، والتفضل معنى آخر وراء الثواب . وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة إرتكبها استحق الخلود فى النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً [١] .

ويفصـــل القاضـــى عبد الجبار هذا الأصل فى كتابه شرح الأصول الخمسة فيقول :-

أما الوعد فهو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير ، أو دفع ضرر عنه فى المستقبل ، ولا فرق بين أن يكون حسناً مستحقاً وبين أن لا يكون كذلك . ألا تـــرى أنـــه كمـــا يقـــال إنه تعالى وعد المطيعين بالثواب ، فقد يقال وعدهم بالتفضل مع أنه غير مستحق .

وكذلـــك يقال : فلان وعد فلاناً بضيافة فى وقت يتضيق عليه الصلاة مع أنه يكون قبيحاً ، وهكذا يقال إن أحدنا وعد غيره بتمليكه جميع ما يملكه حتى إنه

---

[١] الملل والنحل حـــ١ / ٦٧ ط محمد على صبيح

يفقـــر نفســـه مع أنه يكون قبيحاً لقوله تعالى :-" وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ " [١]

أمـــا الوعيد : فهو كل خير يتضمن إيصال ضرر إلى الغير ، أو تفويت نفع عـــنه فى المستقبل ، ولا فرق بين أن يكون حسناً مستحقاً ، وبين أن لا يكون كذلك ، ألا ترى أنه كما يقال : إن الله تعالى توعد العصاة بالعقاب ، قد يقول توعـــد الســـلطان الغير بإتلاف نفسه وهتك حرمته ، ونهب أمواله مع أنه لا يستحق ولا يحسن ..

ثـــم يقـــول القاضى .. وأما علوم الوعد والوعيد ، فهو أنه يعلم أن الله تعالى وعـــد المطيعيـــن بالـــثواب ، وتوعد العصاة بالعقاب ، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ، ولا يجوز عليه الخلف والكذب[٢] .

وكـــأن المعتزلة أوجبوا على الله تعالى تعذيب العاصى ، وإثابة المطيع وأن المطيع يدخل الجنة بعمله لا برحمة الله تعالى وفضله ، يتجلى لنا هذا عندما نعرف رأى المعتزلة فى قوله تعالى :

" وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "[٣]

قـــال النيســـابورى :قـــالت المعتزلة قوله (بما كنتم تعملون) يدل على أن الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل[٤] .

---

[١] سورة الإسراء من الأية : ٢٩

[٢] شرح الأصول الخمسة تحقيق د / عبد الكريم عثمان صـــ١٣٤ : ١٣٦ بتصرف ط الإستقلال الكبرى الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤ هـــ – سنة ١٩٦٠ م

[٣] سورة الأعراف من الآية :٤٣

[٤] غرائب القرآن حـــ٨ / ١١٥ ط الحلبى

ويقول شيخ المعتزلة الزمخشرى فى كشافه :

" أن تـــلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون " أى بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة [١]. ويقصد بالمبطلة أهل السنة .

ويقول القاضى عبد الجبار : قوله تعالى :

" ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون "

خطاب عام فى حق جميع المؤمنين ، وذلك يدل على أن كل من دخل الجنة فإنمـــا يدخلها بعمله ، وإذا كان الأمر كذلك امتنع قول من يقول : إن الفساق يدخلون الجنة تفضلا من الله تعالى .

إذا ثبت هذا فنقول : وجب ألا يخرج الفاسق من النار لأنه لو خرج لكان إما أن يدخل الجنة أو لا يدخلها والثانى باطل بالإجماع ، والأول لا يخلو إما أن يدخـــل الجنة على سبيل التفضل أو على سبيل الإستحقاق - والأول باطل ، لأنـــا بيّـــنا أن هذه الاية تدل على أن أحدا لا يدخل الجنة بالتفضل ، والثانى أيضـــا باطل لأنه لما دخل النار وجب أن يقال : إنه كان مستحقا للعقاب فلو أدخـــل الجـــنة على سبيل الإستحقاق لزم كونه مستحقاً للثواب ، وحينئذ يلزم حصول الجميع بين استحقاق الثواب واستحقاق العقاب وهو محال لأن الثواب منفعة دائمة خالصة عن شوائب الضرر ، والعقاب مضرة دائمة خالصة عن ثواب المنفعة . والجمع بينهما محال . وإذا كان كذلك كان الجمع بين حصول استحقاقهما محالا .[٢]

---

[١] الكشاف جـــ٢/ ٦٣

[٢] انظر الفخر الراوى حـــ١٣/ ٧٦

وقــول كــل مــن الزمخشرى والقاضى لا يصح حيث إنهما أوجبا على الله الجزاء وهذا يتعارض مع نصوص القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة .

فالقــرآن بيَّن لنا أن لله مطلق الأمر فيما يفعل ويترك قال تعالى : " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ "(١)

فــالله هو الذى خلق وهو الذى يأمر بدخول عباده الجنة أو دخولهم النار ، لا معقــب لحكمه ، ولا راد لأمره . ومن ذا الذى يستطيع أن يوجب على الله شيئا مثل إثابة الطائع أو عقاب العاصى ؟!

ثــم ان إلواجــب يكون من الأعلى على الأدنى فالله يحق له أن يوجب على عــباده مــا يشاء ، وليس للعباد أن يوجبوا على الله شيئا ، بل ليس لأحد أن يتوجه إلى الله بالسؤال عما يفعله وكل ما عداه سبحانه يسئل قال تعالى :

" لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ " .(٢)

فــالذى يليق بجلال الله أنه تعالى لا يجب عليه أن يثيب الطائع ولو كان يقوم الــليل كله ، ويصوم الدهو كله ، فمهما كثرت طاعته فإنها لا تفى شكر نعمة واحدة من نعم الله المسخرة له والتى هى أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تخــفى فطاعته لله فى الدنيا استجابة لآمره سبحانه بذلك ودخوله الجنة تفضل من الله عليه .

يقــول الفخر الرازى – رحمه الله –إن نعم الله على العباد لانهاية لها ، فإذا أتى العبد بشى من الطاعات وقعت هذه الطاعات فى مقابلة تلك النعم

---

(١) سورة الأعراف من الأية : ٥٤

(٢)سورة الأنبياء اية : ٢٣

السالفة [١]. فيمتنع أن تصير موجبة للثواب المتأخر [٢].

فكيف يقول الزمخشرى وغيره من أهل الإعتزال : إن الله يجب عليه أن يثيب الطائع كما أنه يجب عليه أن يعاقب العاصى ؟؟ !!

وقد أحسن ابن المنير صنعا عندما بيَّن بطلان كلام الزمخشرى وإدعائه أن العبد يدخل الجنة بعمله لا برحمة الله ، وأثبت أن كلام الزمخشرى يتعارض مع الحديث الصحيح فقال – رحمه الله – :

يعنى – اى الزمخشرى – بالمبطلة قوماً سمعوا قوله "عليه الصلاة والسلام " (لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله ورحمته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة) [٣] فقالوا صدق رسول الله " صلى الله عليه وسلم " – وهؤلاء هم أهل السنة قيل لهم فما معنى قوله تعالى :

" وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "[٤] قالوا الله تفضل بأن جعل الجنة جزاء العمل فضلاً منه ورحمة لا أن ذلك مستحق عليه وواجب للعبادة

---

[١] المعروف أن نعم الله تعالى على العبد فى الدنيا لا يستطيع العبد مهما عمل أن يوفى شكرها فالأولى ان يقال إن طاعة الله فى الدنيا استجابة لأمره عز وجل وعلى هذا تكون نعمه فى الدنيا تفضلا ودخوله الجنة تفضلا كذلك وفضل الله ما له من نفاد .

[٢] انظر الفخر الرازى حـ١٣/٧٥ -٧٦

[٣] الحديث رواه مسلم ولفظه " لن يُدخِلَ احدا منكم عملُه الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة " مسلم حـ١٧/١٦٠ كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب " لن يدخل احد الجنه بعمله " ط المطبعة المصرية ومكتبتها .

[٤] الزخرف الأية ٧٢

وجوب الديون التى لا اختيار فى ادائها . جمعاً بين الدليلين على وجه يطابق دليل العقل الدال على أن الله تعالى يستحيل أن يجب عليه شئ فانظر أيها المنصف هل تجد فى هذا الكلام من الباطل ما يوجب أن يلقب أصحابه بالمبطلة وحاكم نفسك إليها ثم إذا وضح لك أنهم براء فى هذا البر فاعرضه على قوم زعموا أنهم يستحقون على الله تعالى حقا بأعملهم التى لا ينتفع بوجودها ولا يتضرر بتركها تعالى وتقدس عن ذلك ويطلقون القول بلسان الجراءة أن الجنة ونعيمها أقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى لا تفضل له عليهم فيه ، بل هو بمثابة دين تقاضاه بعض الناس من مديانه وانظر أى الفريقين المذكورين أحق بلقب المبطلة .[1]

ولما كان الله سبحانه هوالموفق للعمل الصالح كان دخول الجنة بفضله تعالى وجعل العمل أمارة على ذلك . وأن قوله جل جلاله " أورثتموها بما كنتم تعملون " دليل على أنها هبة وفضل منه سبحانه .

قال صاحب التحرير والتنوير :

" ... فالإيراث دل على أنها عطية بدون قصد تعاوض ولا تعاقد ، وأنها فضل محض من الله تعالى ، لأن إيمان العبد بربه وطاعته إياه لا يوجب عقلا ولا عدلا إلا نجاته من العقاب الذى من شأنه أن يترتب على الكفران والعصيان ، وإلا حصول رضى ربه عنه ، ولا يوجب جزاء ولا عطاء ، لان شكر المنعم واجب ، فهذا الجزاء وعظمته مجرد فضل من الرب على عبده شكرا لإيمانه به وطاعته ، ولكن كان سبب هذا الشكرعند الرب

---

(1) هامش الكشاف حـ ٢/٦٣

الشـــاكرهوعمل عـــبده بمـــا أمـــر به ، وقد تفضل الله به فوعد به من قبل حصوله [١]

وفى السنة ما يؤيد ذلك :

فـــفى صحيح مسلم : لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديًا أو نصرانيا "[٢]

ويعـــلق القرطبى على هذا الحديث فيقول : فهذا أيضا ميراث نعمَّ بفضله من شاء ، وعذب بعدله من شاء وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تنال إلا برحمته ، فـــإذا دخـــلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ، ودخلوها برحمته ، إذ أعمالهم رحمة منه لهم وتفضل عليهم . [٣]

ويـــرى الإمام المازرى –رحمه الله – أن ما ذهب إليه أهل الإعتزال فى هذه المسألة ليس على الصواب ، لأنه لم يثبت بطريق صحيح ، بل ثبت تعارضه مع الأحاديث الصحيحة وأيات التنزيل. فقال : ذهب أهل السنة إلى أن إثابة الله تعالى من أطاعه بفضل منه ، وكذلك إنتقامه ممن عصاه بعدل منه ، ولا يثـــبت واحـــد مـــنهما إلا بالسمع وله سبحانه وتعالى أن يعذب الطائع وينعم العاصى ولكنه أخبر أنه لا يفعل ذلك وخبره صدق لا خلف فيه وهذا الحديث

---

[١] التحرير والتنوير حـــ١٣٤/٨ - ١٣٥ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ط الدار التونسية

[٢] صحيح مسلم حـــ٨٥/١٧-٨٦ كتاب الرقاق باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين

[٣] القرطبى حـــ٧/ ٢٠٩ طبعة دار الكتب

[١] يقــوى مقالتهم ويرد على المعتزلة حيث أثبتوا بعقولهم أعواض أعمالهم ، ولهم فى ذلك خبط كثير ، وتفصيل طويل . [٢]

كذلــك نقول لهم أن قولكم بوجوب تعذيب العاصى وتخليده فى النار – إن لم يثبت – قول باطل يبطله قول الله عز وجل :

" إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا " [٣]

أما كلام القاضى عبد الجبار المذكور آنفا فإن فيه مخالفات صريحة للأحاديث الصحيحة . ومن كان كذلك فلا مرية فى رده ، ولا سبيل لقبوله .

ولا بــأس من ذكر رأى القاضى جملة ثم ذكر الأحاديث التى تبطل ما ذهب اليه .

يقول القاضى عبد الجبار :

إن كل من دخل الجنة فإنما يدخلها بعمله ....

أقــول : أخطأ القاضى فيما قال . وصدق رسول الله" صلى الله عليه وسلم " فيمــا ثبت عنه فى الصحيحين – واللفظ لمسلم أنه قال : لن يدخل أحداً منكم

---

[١] لعله حديث لن ينجى أحداً منكم عمله البخارى حـــ١١/٣٠٠ ك الرقاق ب القصد والمداومة حديث : ٦٤٦٣

[٢] انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـــ١١/٣٠٢ ط الريان للتراث الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـــ

[٣] سورة النساء اية : ٤٨ .

عملـــه الجـــنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه بفضل ورحمة . [١]

فـــإذا كان رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يدخل الجنة بفضل الله ورحمته فمن باب أولى لا يدخلها بقية الخلائق – لا سيما الذين أذنبوا – إلا بفضل الله العظيـــم ورحمته التى وسعت كل شئ وليس بأعمالهم كما زعم القاضى عبد الجبار- غفر الله له -.

قوله : امتنع قول من يقول : إن الفساق يدخلون الجنة تفضلا من الله . وقوله .. الفاســـق لا يخـــرج من النار لأنه لو خرج لكان إما أن يدخل الجنة أو لا يدخلها والثانى باطل بالإجماع ...

أقـــول تثـــبت عن المعصوم " صلى الله عليه وسلم " بما يفيد أن الذين فسقوا بارتكابهم جريمة السرقة والزنى يدخلون الجنة إن ماتوا موحدين لا يشركون بالله شيئا .

فعـــن المعرور بن سويد قال سمعت أبا ذر يحدث عن النبى " صلى الله عليه وسلم " أنه قال أتانى جبريل عليه السلام – فبشرنى أنه من مات من أمتك لا يشـــرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن ســـرق وفى رواية : ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجـــنة قـــلت وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن

---

[١] صحيح مسلم للنووى حـــ١٧/ ١٦٠ كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب لن يدخل أحد الجنة بعمله - ط المطبعة المصرية ومكتبتها . وصحيح البخارى حـــ١١/٣٠٠ ك الرقاق . ب القصد والمداومة على العمل .

زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق ثلاثاً ثم قال فى الرابعة على رغم أنف ابى ذر – فخرج أبو ذر وهو يقول وإن رغم أنف أبى ذر [١]

ولا شـــك أن مـــن سرق أو زنى ثم دخل الجنة إنما يدخلها بمحض فضل الله ومن ثمَّ يبطل كلام القاضى وزعمه أن الفساق لا يدخلون الجنة تفضلا من الله قـــول القاضى : وجب ألا يخرج الفاسق من النار لأنه لو خرج لكان إما ان يدخل الجنة أو لا يدخلها والثانى باطل بالإجماع !.

أقـــول : صـــح عن النبى " صلى الله عليه وسلم " أن الفاسق يخرج من النار ويدخل الجنة بفضل الله ورحمته وينعم فيها .

روى أبو هريرة – رضى الله عنه – حديثاً مطولا عن النبى" صلى الله عليه وسلم " جاء فى هذا الحديث أن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " . قال :

(.. حـــتى إذا فرغ من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يـــرحمه ممـــن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن أدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فَيُخرَجون من النار وقد امتحشوا [٢] فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويـــبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو أخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول

---

[١] رواه مسلم فى صحيحة حـــ٢/ ٩٣ : ٩٤ - كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة - ط المطبعة المصرية ومكتبتها .

[٢] أحرقت النار جلودهم يقول ابن منظور : امتحش الخبز احترق لسان العرب حـــ٦ / ٤١٤٤

أى رب اصـــرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى [١] ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيدعـــو الله مـــا شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيتَ إن فعـــلت ذلـــك بك أن تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورأها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب قَدِّمْنى إلى باب الجنة فيقول الله لـــه أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك ويلك يا ابـــن أدم مـــا أغدرك فيقول أى رب ويدعو الله حتى يقول له فهل عسيت إن أعطـــتيك ذلـــك ان تسأل غيره فيقول لا وعزتك فيعطى ربه ما شاء الله من عهـــود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة إنفهقت [٢] له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب أدخلـــنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقـــك أن لا تسال غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أى رب لا أكـــون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمنه فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكِّره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله تعـــالى ذلـــك لك ومثله معه .قال أبو سعيد الخدرِى وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال : أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد أشـــهد أنى حفظـــت مـــن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قوله ذلك لك وعشرة أمثاله

---

[١] قشينى ريحها أى أذانى - لسان العرب حـــ٥/ ٣٦٣٤ .

[٢] إتسعت – لسان العرب حـــ٥/ ٣٤٨٠

قال أبو هريرة وذلك الرجل أخر أهل الجنة دخولاً الجنة .[١]

فهذا الحديث فيه الدليل القاطع على أن الفساق – الذين ماتوا لا يشركون بالله شيئاً يخرجون من النار برحمة الله تعالى بدليل قول الرسول " صلى الله عليه وسلم " عن ربه " وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة ... الخ الحديث وإذا أراد الله فلا راد لأمره ، وإذا أمر الملائكة أن يخرجوا من لا يشرك بالله شيئاً فإن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وفى هذا أبلغ الرد على كلام القاضى وزعمه أن الفاسق يجب ألا يخرج من النار . بل ليخرجن من النار ، وليدخلن الجنةرغم أنف القاضى عبد الجبار ..

وأما قوله عن الفاسق إذا خرج من النار – لا يدخل الجنة بالإجماع . فلعله أراد إجماع المعتزلة فقط أما بقية المسلمين فإن إجماعهم على ما حكم به رسول الله " صلى الله عليه وسلم " وحكم رسول الله " صلى الله عليه وسلم " – أن للمشرك النار أما من لم يشرك فله الجنة .

"عن جابر قال : أتى النبى " صلى الله عليه وسلم " رجل فقال يا رسول الله

---

[١] صحيح مسلم حـ٣/٢٢-٢٥ ك الإيمان ب إثبات رؤية المؤمنين فى الأخرة لربهم سبحانه وتعالى . إما الإختلاف بين رواية ابى هريرة ورواية أبى سعيد الخدرى فإن " وجه الجمع بينهما أن النبى "صلى الله عليه وسلم " أُعلم أولاً بما فى حديث أبى هريرة ثم تكرم الله تعالى فزاد ما فى رواية ابى سعيد فاخبر به النبى صلى الله عليه وسلم " ولم يسمعه ابو هريرة . إنظر شرح صحيح مسلم للإمام النووى حـ٣/٢٤: ٢٦ . ط المطبعة المصرية ومكتبتها .

ما الموجبتان فقال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار " [١]

وقال الإمام النووى : وأما حكمه " صلى الله عليه وسلم " على من مات يشرك بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة فقد أجمع عليه المسلمون .

فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابى اليهودى والنصرانى وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك . وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها دخل الجنة أولا وإن كان صاحب كبيرة مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة فإن عفى عنه دخل أولاً وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد فى الجنة والله أعلم .[٢]

هذا ، ومما يبطل إدعاء المعتزلة وزعمهم وجوب تعذيب العصاة وتخليدهم فى النار وعدم العفو عنهم قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ " [٣]

فالأية الكريمة تبين أن لله تعالى أن يغفر لمن يشاء من عباده الذين ارتكبواالكبائر ولم يتوبوا ولم يشركوا بالله وأنها - كما يقول الفخر الرازى -

---

[١] مسلم حـ٢/٩٣ ك الإيمان ب الدليل على أن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة

[٢] شرح النووى حـ٢/٩٧

[٣] سورة النساء من الأية : ٤٨

من أقوى الدلائل لنا على العفو عن أصحاب الكبائر .... وأن الإستدلال من وجوه منها :

- أنه تعالى قسم المنهيات على قسمين :

الشـــرك ومـــا سوى الشرك ، ثم إن ما سوى الشرك يدخل فيه الكبيرة قبل التوبة ،

ثم حكم على الشرك بأنه غير مغفور قطعاً وعلى ما سواه بأنه مغفور قطعاً لكـــن فى حـــق مـــن يشاء ، فصار تقدير الأية أنه تعالى يغفر كل ما سو ى الشـــرك لكن فى حق من يشاء . ولما دلت الأية على أن كل ما سوى الشرك مغفور ، وجب أن تكون الكبيرة قبل التوبة أيضاً مغفورة .

- إنـــه تعـــالى قال " لمن يشاء " – فعلق هذا الغفران بالمشيئة ، وغفران الكـــبيرة بعـــد الـــتوبة وغفران الصغيرة مقطوع به ، وغير معلق على المشيئة ، فوجب أن يكون

- الغفران المذكور فى هذه الأية هو غفران الكبيرة قبل التوبة .[١]

والأيـــة دليل واضح ، وبرهان ساطع على بطلان ما ذهب إليه أهل الإعتزال ولعلها أبلغ الرد على من يرى وجوب الوعيد على الله – لأن سياق الأية يدل على أن الله تعالى أن يغفر لمن يشاء من عباده الذين ارتكبوا الكبائر وغيرها مـــن الذنوب ، شريطة ألا يكون من بين تلك الكبائر الإشراك بالله الذى هو محبط للعمل ، مخرج من الملة .

قال تعالى : " لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " [٢]

---

[١] الفخر الرازى حـــ٩/٢٤٢

[٢] سورة الزمر من الأية : ٦٥

وقال سبحانه : " وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " [١]

كمـــا أن الأية بينت الحكم للذين ارتابوا فى أمر المشركين هل سيغفر الله لهم عندما نزل قول الله تعالى :

" قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً " [٢]

قـــال ابـــن جرير : هذه الأية نزلت فى أقوام ارتابوا فى أمر المشركين حين نزلت " يا عبادى الذين أسرفوا .... إلى قوله إن الله يغفر الذنوب جميعاً " قال لما نزلت قام رجل فقال : والشرك يا نبى الله فكره ذلك النبى "صلى الله عليه وسلم "

فنزل قوله :" إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " [٣]

كمـــا أن الأية بينت الحكم لبعض الصحابة " رضوان الله عليهم " الذين ظنوا ان قـــاتل النفس وشاهد الزور وقاطع الرحم لا ينجوا لِمَا نزل من وعيد شديد فى أيات أخر فى حق مرتكب تلك الذنوب أو بعضها ..

قـــال ابن جرير : عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال كنا معشر أصـــحاب النبى "صلى الله عليه وسلم " لا نشك [٤] فى قاتل النفس ، وآكل

---

[١] الأنعام من الأية : ٨٨ .

[٢] سورة الزمر من الأية : ٥٣ .

[٣] جامع البيان فى تاويل أى القرآن لابن جرير حـــ٤/١٤٠ ط دار الغد وانظر تفسير القرطبى حـــ٥/٢٤٥

[٤] أى لا نشك فى نجاته من العذاب .

مـــال اليتيم ، وشاهد الزور وقاطع الرحم ، حتى نزلت هذه الأية " إن الله لا يغفـــر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " فأمسكنا عن الشهادة ....

ثم يقول ابن جرير :

وقـــد أبانت هذه الأية ان كل صاحب كبيرة ففى مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه عليه ، مالم تكن كبيرته شركاً بالله . (١)

لأن حكمة الله فى التشريع اقتضت أن يكون هناك فرق بين من مات مشركاً ومن مات مسلماً عاصياً .

فالمشـــرك لا يغفـــر ذنبه ، ولا تفتح له أبواب الجنة لأنها عليه محرمة قال تعـــالى : " إِنَّـــهُ مَـــن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ " (٢)

أمـــا المسلم العاصى فأمره إلى الله إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه على ما اقـــترفت يداه من ذنوب ثم يغفر له ويدخله الجنة بفضله ورحمته التى وسعت كل شئ .

يقول الشيخ إسماعيل حقى :

قو له تعالى : " إن الله لا يغفر أن يشرك به " أى لا يغفر الكفر ممن اتصف بـــه بلا توبة وإيمان لأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر ، وجواز مغفـــرته بلا إيمان مما يؤدى إلى فتحه ، ولأن ظلمات الكفر والمعاصى إنما يســـترها نـــور الإيمـــان فمـــن لـــم يكن له إيمان لم يغفر له شئ من الكفر والمعاصى

---

(١) جامع البيان لابن جرير الطبرى حـــ٤/ ١٤

(٢) سورة المائدة من الأية : ٧٢

" ويغفر ما دون ذلك " ويغفر ما دون الشرك فى القبح من المعاصى صغيرة كانت أو كبيرة تفضلاً من لدنه وإحساناً من غير توبة منها لكن لا لكل أحد بل (لمن يشاء) [١]

وقـــال بعضـــهم إن الله بين ذلك بقوله " إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً " [٢]

فأعلم أنه يشاء أن يغفر الصغائر لمن اجتنب الكبائر .... ويدخلهم الجنة ولهذا قال : وندخلكم مدخلاً كريماً " [٣]

ولعل نظير ذلك قوله تعالى :

"وَيَجْـــزِىَ الَّذِيـــنَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ " [٤]

فكـــبائر الإثـــم هـــو الشرك لأنه أكبر الأثام ، وقرأ الأعمش ويحى بن وثاب وحمزة والكسائى (كبير) على التوحيد وفسره ابن عباس بالشرك . [٥]

فهذه الأيات تبين أن من مات ولم يشرك بالله فهو فى مشيئة الله فقد يعفو الله عنه برحمته أو يعاقبه بعدله وفى كلتا الحالتين لا يسئل عما يفعل .

---

[١] تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البرسوى حـــ٢١٨/١ ط دار الفكر وانظر محاسن التأويل للقاسمى حـــ١٢٨٧/٥ ط دار إحياء الكتب العربية .

[٢] سورة النساء أية : ٣١

[٣] القرطبى حـــ٥/ ٩٥١ وانظر ابن كثير حـــ٢/ ٤٦١

[٤] سورة النجم ٣١ : ٣٢

[٥] الجامع لأيات الأحكام للقرطبى حـــ ٧١ / ٠٧

وروى الـــترمذى عن على بن أبى طالب " رضى الله عنه " أنه قال : ما فى القرآن أية أحب إلىَّ من هذه الأية : " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " . [١]

والمعتزلة لم يفرقوا بين من ارتكب كبيرة وبين من أشرك مع الله إلها أخر أو كفـــر بـــه . يتجلى لنا ذلك عندما ننظر إلى قول الزمخشرى فى تفسيره قوله تعـــالى : " بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " [٢] فنراه يقول :

بـــلى تمسكم أبداً بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) من السيئات يعنى كبيرة من الكبائر (وأحاطت به خطيئته) تلك واستولت عليه كما يحيط العـــدو . ولـــم يتقص [٣] عنها بالتوبة وقيل فى الإحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته . [٤]

فالزمخشرى فسر السيئة بالكبيرة لتنطبق الأية على مذهبه ، وهو بذلك يكون قد خالف ما أجمع عليه المفسرون – فقوله تعالى : بلى من كسب سيئة (يعنى شركاً وهذا ما عليه إجماع المفسرين كما قال الواحدى) [٥]

---

[١] انظر سنن الترمذى حـــ٨/٣٩٢ : ٣٩٣ ك تفسير القرآن عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم " - ٥ ب ومن سورة النساء وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

[٢] سورة البقرة أية : ٨١ .

[٣] أى يتخلص منها .

[٤] الكشاف حـــ١/ ٨٧.

[٥] انظر الفتوحات الإلهية للجمل حـــ١/٧١ ط دار الفكر بيروت

وبيّن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن المراد بالسيئة أن يشرك بالله ويموت على الشرك الذى يسد أبواب الجنة أمام صاحبه ، ويحبط ثواب طاعته . يقول صاحب لباب التنزيل فى تفسير هذه الأية :

من كسب سيئة : قال ابن عباس هى الشرك يموت عليه صاحبه وقيل أحاطت به أى أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الأية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فإن الخلود فى النار هو للكفار والمشركين .[١]

وقال القرطبى : السيئة الشرك قال ابن جريج قلت لعطاء : " من كسب سيئة ؟ قال : الشرك وتلا " وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ " [٢] وكذالك قال الحسن وقتادة ، قالا والخطيئة الكبيرة . [٣]

وقال ابن كثير فى تفسير هذه الأية :

هو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات فهذا من أهل النار .[٤]

ومن كلام القرطبى وابن كثير ومن قبل تفسير ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما – يتبين لنا أن معنى قوله تعالى " بلى من كسب سيئة

---

[١] لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن حـ١/٦١ ط الإستقامة بالقاهلرة الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥

[٢] سورة النمل من الأية : ٩٠

[٣] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـ٢/ ٢١ ط دار الكتب المصرية

[٤] تفسير القرآن العظيم لابن كثير حـ١/٠٧١

وأحاطت به خطيئته " أى من أشرك بالله ومات على الشرك وقد فعل الكبيرة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات ، وليس الذى كان ذنبه أغلب من طاعته كما زعم الزمخشرى . فإن الذى اختلط ذنبه بطاعته إنما أمره إلى ربه وهو إلى عفو الله أقرب لأن الله غفور رحيم .

قال تعالى : " وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (١)

ثم إن الذى ذنبه أغلب من طاعته لا يوصف بأنه أحاطت به خطيئته وإنما الذى أحاطت به خطيئته يقتضى أن يكون ظاهره وباطنه موصوفاً بالمعصية فهذا ما يتناسب مع الإحاطة .

يقول الفخر الرازى :

إنا لا نفسر إحاطة الخطيئة بكونها كبيرة بل نفسرها بأن يكون ظاهره وباطنه موصوفاً بالمعصية وذلك إنما يتحقق فى حق الكافر الذى يكون عاصياً لله بقلبه ولسانه وجوارحه ، فأما المسلم الذى يكون مطيعاً لله بقلبه ولسانه ويكون عاصياً لله ببعض أعضائه دون البعض فها هنا لا تتحقق إحاطة الخطيئة بالعبد ، ولا شك أن تفسير الإحاطة بما ذكرناه أولى لأن الجسم إذا مس بعض أجزاء جسم أخر دون بعض لا يقال أنه محيط به ، وعند هذا لا تتحقق إحاطة الخطيئة بالعبد إلا إذا كان كافراً .. وقوله : " فأولئك أصحاب النار" يقتضى أن أصحاب النار ليسوا إلا هم (أى الكفرة) .... ثم يذكر الفخر الرازى – رحمه الله – قاعدة فقهيه وهى : أن الشرط ها هنا أمران : أحدهما – اكتساب السيئة .

---

(١) سورة التوبة الأية : ١٠٢

الثانى : إحاطة تلك السيئة بالعبد . والجزاء المعلق على وجود الشرطين لا يوجد عند حصول أحدهما وهذا يدل على أن من عقد اليمين على شرطين فى طلاق أو إعتاق أنه لا يحنث بوجود أحدهما .[١]

والذى ذنبه أكبر من طاعته لا يكون قد أحاطت به خطيئة كما يزعم الزمخشرى لأن الإحاطة هى الإستيلاء على جميع الجوانب كما يحيط العدو – يقول الشيخ إسماعيل حقى فى قوله : " وأحاطت به خطيئة "

أحاطت به واستولت عليه من جميع جوانبه من قلبه ولسانه ويده كما يحيط العدو وهذا إنما يتحقق فى الكافر . ولذلك فسر السلف السيئة بالكفر . وقوله " فأولئك " أى الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات وإحاطة خطاياهم بهم اشير إليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى فى كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ فى الضمائر الثلاثة – أصحاب النار – أى ملازموها فى الأخرة حسب ملازمتهم فى الدنيا لِمَا يستوجبها من الأسباب التى من جملتها ما هم عليه من تكذيب أيات الله وتحريف كلامه والإفتراء عليه ولا حجة فى الأية على خلود صاحب الكبيرة لما عرفتْ من اختصاصها بالكافر . [٢]

ومن ثمَّ أرى تفسير الزمخشرى لقوله : " من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته " بأن يكون ذنبه أغلب من طاعته قول مرجوح ومحجوح بما هو أقوى منه حجة وبيانا . وكفى بالإجماع وقول ابن عباس حجة وبياناً . ويرى إمام الحرمين – أن مذهب أهل السنة فى هذه المسألة هو الصواب والحق .

---

[١] الفخر الرازى حـ٣/٢٢٣

[٢] تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البرسوى حـ١/ ١٧٠ ط دار الفكر .

وأنـــه لا واجب على الله تعالى .. ثم يرد على المعتزلة بأدلة عقلية تبطل ما ذهبوا إليه – وهذا نص حديثه – رحمه الله – :

الـــثواب عـــند أهل الحق ليس بحق محتوم ، ولا جزاء مجزوم ، وإنما هو فضـــل من الله تعالى ، والعقاب أيضاً ، والواقع منه هو عدل من الله . وما وعـــد الله تعـــالى مـــن الثواب أو توعد به من العقاب ، فقوله الحق ووعده الصدق ، ولا واجب على الله تعالى ... ثم يقول – رحمه الله – :

وذهـــبت المعتزلة إلى أن الثواب حتم على الله تعالى ، والعقاب واجب على مقترف الكبيرة إذا لم يتب عنها ... والمعنى بكونه مستحقاً عندهم أن يحسن لوقوعـــه مســـتحقاً ، ولو لم يكن كذلك لما حسن العقاب على التأبيد ، فهذا حقيقة أصلهم ..

ثـــم يرد عليهم قائلاً : فإن ساعدناهم على التقبيح والتحسين عقلاً ، ألزمناهم على موجب أصلهم أمثلة لا قبل لهم بها ، منها :

أن السيد إذا كان يقوم بمؤن عبده وإزاحة علله ، والعبد يخدمه غير مستفرغ جهـــده ، بل كان مودعاً معظم أفعاله فلا يستحق العبد على سيده شيئاً على مقـــابل الخدمة المستحقة عليه – وكذلك المعظم فى عشيرته ، إذا كان يكرم ولـــده ويقيم أوده ، والولد يكرمه ، ويرعاه ويطلب مرضاته ويتوخاها ، فلا يستوجب بإزاء خدمته مزيداً على ما يناله من الإحسان الدارّ عليه ،

فـــإذا كان هذا سبيل من يخدم مثله ، فالعبد الذى لو قوبلت عبادته بنعماء الله تعالى عليه فى لحظة لأبرت نعماء الله وأربت على جميع قرباته .

والـــرب تعالى يستحق لأن يُعبد ، والنعم منه على العباد تترى ، ولو حاول العـــبد عدّها لم يحصها ، فكيف يستوجب العبد بالنزر اليسير من أعماله – وهـــو الغريق فى أنعم الله تعالى – مزيد ثواب لولا فضله العظيم . ثم عبادة العبد شكر للنعم ، وليس من حكم العقل فى مستقر العوائد استيجاب عوض

عـــلى بـــذل واجب هو عوض ، ولو استحق العبد بشكره عوضاً ، لاستحق الرب تعالى على ما يوليه من الثواب عوضاً ولا محيص عن ذلك . [١]

أما الإمام النيسابورى فإنه يستحسن مذهب أهل السنة فى تلك المسألة لأنهم تحـــلوا بـــالأدب الجم مع الله تعالى ، حيث عظموا قدره ، وفوضوا أمر من عصـــاه من المؤمنين إلى مشيئته سبحانه ، ولكنه وهو يستحسن هذا المذهب لم يفته أن يمتدح مذهب المعتزلة لما فيه من الإحتياط ، وحشو قلب المؤمن بما يجعله فى خوف دائم من عقاب ربه ، ويجعله فى حذر من الوقوع فى المعاصى .

فيقول فى كتابه – غرائب القرآن – ما نصه :

واعلم أن مذهب الأصحاب إلى الأدب أقرب من حيث إنهم يصفونه بصفات الجمال كالعفو والمغفرة ، وبصفات الجلال كالقهر والإنتقام ولكن لا يوجبون عـــليه ثوابـــاً ولا عقاباً لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث إنهم لا يعيـــنون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لأن فعلـــه مـــبرأ عـــن التعـــلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث، ومذهب المعـــتزلة إلى الإحتياط أقرب فإن من خوفك حتى تبلغ الأمن خير من الذى أمنك حتى تبلغ الخوف . [٢]

---

[١] الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الإعتقاد لإمام الحرمين أبى المعالى الجوينى صـــ١٨١ : ١٨٣ بتصرف ـ ط السعاده بمصر سنة ١٣٦٩هـــ ـ ١٩٥٠ م

[٢] انظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى حـــ١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ط الحلبى الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـــ ـ ١٩٦٢م

أقـــول ربما الذى بالغ فى تخويفك يجعلك تبلغ اليأس لا الأمن ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

ومـــن الأيـــات التى استدل بها المعتزلة على وجوب الثواب على الله تعالى لعباده المطيعين قوله سبحانه :

" وَمَـــن يَخْـــرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً " (١)

يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الأية :

" فقـــد وقـــع أجره على الله " فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والســـقوط ، قـــال تعـــالى : " فإذا وجبت جنوبها " (٢) ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه .(٣)

وزعـــم المعتزلة أن فى الأية ثلاثة أوجه تدل على أن العمل يوجب الثواب على الله :

أحدها : أنه ذكر لفظ الوقوع وحقيقة الوجوب هى الوقوع والسقوط.

قال تعالى : " فإذا وجبت جنوبها " (٤) أى وقعت وسقطت .

ثانيهـــا : أنـــه ذكر بلفظ الأجر . والأجر عبارة عن المنفعة المستحقة ، فأما الذى لا يكون مستحقاً فذاك لا يسمى أجراً بل هبة .

ثالثها : قوله على الله وكلمة على للوجوب قال تعالى :

---

(١) سورة النساء من الأية : ١٠٠

(٢) سورة الحج من الأية : ٣٦

(٣) الكشاف حـــ١/٤٩٢

(٤) سورة الحج من الأية : ٣٦

(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) . [١]

وقد أجاب علماء أهل السنة بألا تنازع فى الوجوب لكن بحكم الوعد والعلم ، والتفضـــل والكـــرم لا بحكم الإستحقاق والتحتم الذى لو لم يفعل لخرج عن الأهلية .[٢]

أقول : إذا كان الثواب واجباً على الله وجوباً حتمياً فمن الذى أوجبه على الله ، ومعـــلوم أن الواجب يكون من الأعلى على الأدنى ، ولا أحد أعلى من الله ومن ثمَّ فلا أحد يوجب عليه شيئاً جل فى علاه .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا : ولله تعالى أن يوجب على نفسه ما يشاء ، وليس لغيره أن يوجب عليه شيئاً إذ لا سلطان فوق سلطانه . [٣]

هـــذا ، ومـــن الخطأ الذى وقع فيه المعتزلة أنهم قطعوا بعمومات وردت فى وعيد الفساق كقوله تعالى :

"إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً " [٤]وقوله سبحانه : " وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً " [٥] قالوا هذا يوجب

---

[١] سورة آل عمران من الأية : ٩٧

[٢] الفخر الرازى حـــ١٠/ ٤١١ وانظر عجائب القرآن للنيسابورى حـــ٥/ ١٢٦ ولباب التأويل للخازن حـــ١/ ٣٨٨

[٣] تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار حـــ٥/ ٣٥٩ ط دار المعرفة الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣هـــ - ١٣٧٣ م

[٤] سورة النساء الأية : ١٠

[٥] سورة طه من الأية : ١١١

أن يكون الظالم من أهل الصلاة داخلاً تحت الوعيد . [١]

ومن الأحاديث ما روى عن أبى بكرة " رضى الله عنه " قال: قال رسول الله " صـــلى الله عليه وسلم " : " ومن قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها " . [٢]

قـــالوا : إذا كان قتل الكفار هكذا فما ظنك بقتل أولاد رسول الله " صلى الله عليه وسلم " [٣]

وأجيب بالمنع من أن هذه الصيغ للعموم ، بدليل صحة إدخال الكل والبعض عـــليها نحـــو كل من دخل دارى فله كذا أو بعض من دخل ، ولا يلزم منه تكريـــر ولا تـــناقض ، ولأن الأكـــثر قـــد يطلق عليه لفظ الكل ، ولاحتمال المخصصـــات وأما أصحابنا الذين قطعوا بالعفو فى حق البعض والتوقف فى حق البعض فقد تمسكوا بنحو قوله عز من قائل : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِـــهِ وَيَغْفِـــرُ مَـــا دُونَ ذَٰلِـــكَ لِمَن يَشَآءُ [٤] وبأن عمومات الوعد والوعيد لما تعارضـــتا فلابد من الترجيح لجانب الوعد بصرف التأويل إليه لأن العفو عن الوعيـــد مستحســـن فى العرف، وأهمال الوعد بالضد . والقرآن مملوء من

---

[١] الفخر الرازى حـــ٣/ ٢٠١

[٢] رواه النسائى حـــ٨/ ٣٩٣ ك القسامه ب (١٤، ١٥) تعظيم قتل المعاهد حديث رقم ٤٧٦٢ .

[٣] الفخر الرازى حـــ٣/ ٢٠٨

[٤] سورة النساء من الأية : ٤٨

قوله: " عفوا غفوراً ، رحيماً كريماً " وكذا الاخبار فى هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر [١]

وليـــس فى القرآن مايدل على انه تعالى بعيد عن الرحمة والكرم والعفو وكل ذلك يوجب رجحان جانب الوعد على جانب الوعيد [٢]

والأيات الدالة على كونه سبحانه عفوا غفورا قوله سبحانه " فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بُوجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا " [٣]

وقولـــه جل جلاله : " وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَاتَفْعَلُونَ " [٤]

وقو له عـــز وجل : " وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِكُمْ وَيَعفُواْ عَن كَـــثِيرٍ " [٥] ثم إن الأمة أجمعت على أن الله يعفو عن عباده وأجمعوا على أن من جملة اسمائه الغفور [٦]

فـــالعفو يكون – كما يقول الإمام الفخر الرازى – عبارة عن إسقاط العقاب عمن يحسن عقابه أوعمن لايحسن عقابه والقسم الثانى باطل ، لأن عقاب مالا يحســـن عقابه قبيح ، ومن ترك مثل هذا الفعل لايقال إنه عفا ، ألاى ترى أن الإنســـان اذا لم يظلم أحدا لايقال أنه عفا عنه ، وإنما يقال له عفا إذا كان له

---

[١] غرائب القرآن ط/٣٥٥ ط الحلبى – الطبعه الاولى سنه ١٣٨١/ ١٩٦٢

[٢] الفخر الرازى حـــ٣/ ٢٢٠

[٣] سورة النساء من الايه ٤٣

[٤] سورة الشورى الاية: ٢٥

[٥] / سورة الشورى الاية : ٣٠

[٦] الفخرالرازى حـــ٣/ ٢١٤

ان يعذبـــه فتركه ولهذا قال (وأن تعفوا أقرب للتقوى) [١] ولانه تعالى قال (وهـــو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عذ السيئات) [٢] فلو كان العفو عبارة عن إسقاط العقاب عن التائب لكان ذلك تكريراً من غير فائدة ، فعلمنا أن العفو عبارة عن إسقاط العقاب عمن يحسن عقابه ...وكذلك المغفرة ليست عبارة عن إسقاط العقاب عمن لايحسن عقابه وإنما عبارة عن إسقاط العقاب عمن يحسن عقابه لأن الله تعالى يذكر صفة المغفرة فى معرض الإمتنان على العـــباد ولو حلمناه على الأول لم يبق هذا المعنى لأن ترك القبيح لايكون منّة على العبد بل كأنه أحسن إلى نفسه فإنه لو فعله لاستحق الذم واللوم والخروج عـــن حد الإلهية فهو بترك القبائح لايستحق الثناء من العبد ولما بطل ذلك تعين حمله على الوجه الثانى وهو المطلوب . [٣]

ولعـــل شـــبهة تتبادر إلى الذهن بأن المراد بالعفو و المغفرة إنما هو تأخير العقـــاب من الدنيا إلى الأخرة . والجواب على ذلك أن العفو أصله من عفا أثـــره أى أزاله – واذا كان كذلك وجب أن يكون المسمى من العفو الإزالة لهـــذا قـــال الله تعالى : " فمن عفى له من أخيه شئ " [٤]. وليس المراد منه التأخير بل الإزالة وكذا قوله سبحانه : " وأن تعفوا أقرب للتقوى " [٥] وليس المراد منه التأخير إلى وقت معلوم بل الإسقاط المطلق ، ومما يدل على أن

---

[١] سورة البقرة من الاية : ٢٣٧

[٢] سورة الشورى من الاية : ٢٥

[٣] الفخر الرازى حـــ٣/ ٢١٥ بتصرف

[٤] سورة البقرة من الاية : ١٧٨

[٥] سورة البقرة من الاية : ٢٣٧

العفـــو لايتـــناول التأخير أن الغريم إذا أخر المطالبة لايقال أنه عفا عنه ولو أسقطه يقال أنه عفا عنه فثبت أن العفو لا يمكن تفسيره بالتأخير . [١]

وترجيح جانب الوعد كان أولى من ترجيح جانب الوعيد لعدة وجوه منها :-

- ان الوفاء بالوعد أدخل فى الكرم من الوفاء بالوعيد – وانه قد اشتهر فى الأخـــبار أن رحمـــة الله ســـابقة على غضبه وغالبة عليه فكان ترجيح عمومات الوعد أولى .
- أن الوعيد حق الله تعالى والوعد حق العبد وحق العبد أولى بالتحصيل مـــن حق الله تعالى ٠٠ وهذه العمومات نزلت فى حق الكفار فلا تكون قاطعـــة فى العمومات ٠٠٠ ثم إن عمومات الوعد أكثر والترجيح بكثرة الأدلة امر معتبر فى الشرع ٠
- قول الله تعالى : " مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا " [٢] ثم إنه تعالى زاد على العشرة فقال سبحانه : " كَمَـــثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ " [٣] ثم زاد عليه فقـــال : " وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ " [٤] وأما فى جانب السئية فقال : "ومـــن جاء بالسيئة فلايجزى إلا مثلها " وهذا فى غاية الدلالة على أن جانب الحسنة راجح عند الله تعالى على جانب السئية .

---

[١] الفخر الرازى حـــ٣ / ٢١٥

[٢] سورة الانعام من الاية : ١٦٠

[٣] سورة البقرة من الاية : ٢٦١

[٤] سورة البقرة من الاية : ٢٦١

- قــول الله تعــالى فى أيــة الوعد سورة النساء : " وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً " [١]

فقوله وعد الله حقا إنما ذكره للتأكيد ولم يقل فى شئ من المواضع وعيد الله حقا.

- قول الله تعالى : " وَمَن يَعْمَلْ سُوَءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُــوراً رَّحِيماً وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمــاً " [٢] والإســتغفار طلب المغفرة وهو غير التوبة فصرح ها هنا بأنــه سواء تاب أو لم يتب فاذا استغفر غفر الله له ولم يقل ومن يكسب إثمــا فإنه يجد الله معذبا معاقبا بل قال ٠ " فإنما يكسبه على نفسه " فدل هــذا على أن جانب الحسنة راجح ٠ ونظيره قوله تعالى : " إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا " [٣] ولم يقل وإن أسأتم أسأتم لها فكأنه تعالى أظهر إحسانه بان أعاده مرتين وستر عليه إساءته بأن لم يذكرها إلا مرة واحدة وكل ذلك يدل على أن جانب الحسنة راجح .

- قــول الله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَايَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَــآءُ" [٤] أعاد الله تعالى هذه الأية فى السورة الواحدة مرتين والإعادة لاتحســن إلا للــتأكيد ولم يذكر شيئا من أيات الوعيد على وجه الإعادة

---

[١] سورة النساء الاية : ١٢٢

[٢] سورة النساء الاية : ١١٠-١١١

[٣] سورة الاسراء من الاية : ٧

[٤] سورة النساء من الاية : ٤٨ ومن الاية : ١١٦

بلفظ واحد لا فى سورة واحدة ولا فى سورتين فدل على أن عناية الله بجانب الوعد على الحسنات والعفو عن السيئات أتم ... ثم إن هذا الإنسان أتى بأفضل الخيرات وهو الإيمان ولم يأت بما هو أقبح القبائح وهو الكفر بل أتى بالشر الذى هو فى طبقة القبائح وليس فى الغاية ، والسيد الذى له عبد ثم أتى عبده بأعظم الطاعات وأتى بمعصية متوسطة فلو رجح المولى[١] تلك المعصية المتوسطة على الطاعة العظيمة لعد هذا السيد لئيماً مؤذياً فكذا ها هنا . فلما لم يجز ذلك على الله ثبت أن الرجحان بجانب الوعد . [٢]

قال يحى بن معاذ الرازى . إلهى إذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة كيف لايهدم معصية ساعة [٣]

لعل أفة المعتزلة فى قضية الوعد والوعيد ووجوب الثواب والعقاب على الله تعالى يرجع سببها إلى اعتمادهم على الرأى وتعظيم العقل ، حتى إنهم ليقدمونه على النقل ، وهذا خطأ جسيم ، فإنما تضل الأمم عندما تقدم العقل على النقل وذلك لأن العقل ليس جديراً بأن يثبت ثواباً أوعقاباً ، وليس أهلاً لمعرفة ما يليق بجلال الله وبما أوجبه الله على العباد وأعده لهم ومن ثمَّ كانت نعمة إرسال الرسل ليبينوا للناس ما اختلفوا فيه .. يقول الإمام النووى " رحمه الله " : اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا ثيبت بالعقل ثواب ولاعقاب ولاإيجاب ولاتحريم وغيرهما من أنواع التكليف . ولا تثبت هذه

---

(١) أى مولى هذا العبد وهو السيد

(٢) الفخر الرازى حـ٣ / ٢١٩ : ٢٢٠ باختصار وتقديم وتأخير

(٣) المرجع السابق حـ٣/ ٢٢٠

كـــلها ولا غيرها إلا بالشرع ٠٠٠ وأن الله تعالى لايجب عليه شئ تعالى الله بـــل العـــالم مـــلكه والدنيا والأخرة فى سلطانه يفعل فيهما مايشاء فلو عذب المطيعيـــن والصـــالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه وإذا أكرمهم ونعمهـــم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعَّم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب المنافقين [١] ويخلدهم فى النار عدلا منه[٢]

وقد يتبادر إلى الذهن أن ثمة تعارض بين الأحاديث التى تنص على أن أحداً لا يستحق الجنة والثواب بطاعته كقوله " صلى الله عليه وسلم " : " لن يدخل أحـــدا منكم عمله الجنة ٠٠ الخ الحديث وبين الأيات الدالة على أن الأعمال يُدخَل بها الجنة كقوله : " ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " [٣]. وقوله سبحانه: "وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِىَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " [٤]

والحقيقة أن لا تعارض وإنما الأحاديث حجة لأهل السنة على ألا يستحق أحد الجـــنة بعملـــه بل يفضل الله ورحمته وهى لاتعارض الأيات حيث إن معنى الأيـــات – كمـــا يقول النووى – أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه

---

[١] اى المنافقين فى العقيدة

[٢] شرح صحيح مسلم للنووى حـــ١٧/ ١٦٠

[٣] سورة النحل من الأية : ٣٢

[٤] سورة الزخرف : ٧٢

لـــم يدخل بمجرد والعمل وهو مراد الأحاديث ويصح أنه دخل بالأعمال أى بسببها وهى من الرحمة [١]

وبعـــد .. فـــإن عـــذاب الله على الكافرين وبعض العصاة واقع لامحالة قال تعالى : " إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّالَهُ مِن دَافِعٍ " [٢]..

ولكـــن لانقـــول أنه واجب على الله ولا يحق لنا ذلك ، فليس لأحد أن يوجب على الله شيئاً .

وأر ى أن قـــول المعتزلة بوجوب الوعيد على الله تهكم ، وأنه قول ينقصه الدليـــل حيث إن نصوص القرآن الكريم تفيد جواز تخلف الوعيد الله تعالى ، وأنـــه يخـــتص بعـــض عباده برحمته ويغفر لمن يشاء منهم والأيات فى هذا المضـــمار كـــثيرة كلها تبشر وتبيّن أن مغفرة الله قد تصيب لفيفا من العباد وذلك مثل قوله سبحانه:"يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " [٣]

وقو له جـــل جلاله : " لِّلَّهِ مَافِي السَّمَٰوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِـــكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [٤]

وقو له عزوجل : " إِنَّ اللَّهَ لَايَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ " [٥] وقوله جل شأنه : " وأن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَارَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن

---

[١] شرح صحيح مسلم حـــ ١٧/ ١٦٠ - ١٦١

[٢] سورة الطور الأيتان ٧ : ٨

[٣] سورة البقرة من الاية : ١٠٥

[٤] سورة البقرة الاية : ٢٨٤

[٥] سورة النساء الاية : ٤٨

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " [١] وأيات غير ذلك كثيرة ..

وفى السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية – أحاديث صحيحة تفيد نفس المعنى مثل حديث أبى ذر الذى راوه الشيخان واللفظ لمسلم حيث يقول فيه رسول الله "صلى الله عليه وسلم . أتانى جبريل – عليه السلام – فبشرنى أنه من مات من أمتك لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق " [٢]

هذا ، وأننا لنجد فى الأيات التى تتحدث عن مشيئة الله فى تعذيب عباده أو المغفرة لهم قد تختم بمغفرة الله ورحمته كقوله تعالى :

"وَلِلَّهِ ومَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " [٣]

وقوله جل جلاله: " وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً " [٤] ولعل فى هذا ما يبين أن العبد العاصى إنما هو إلى مغفرة الله أقرب من عذابه حيث إن رحمة الله سبقت غضبه وليس تعذيبه على الله بواجب كما زعم المعتزلة

---

[١] سورة يونس الاية : ١٠٧

[٢] مسلم حـ٢/ ٩٢ كتاب الإيمان باب من مات لايشرك بالله دخل الجنة .

[٣] سورة ال عمران الاية : ١٢٩

[٤] سورة الفتح الاية : ١٤

الفصل الخامس

المنزلة بين المنزلتين

تمهيد :-

هذا الأصل شبيه بالأصل السابق " الوعد والوعيد " .

وإن كـــان المعتزلة يرون فى أصل الوعد والوعيد أن الثواب واجب على الله للمطيعين – وأن العقاب أيضاً واجب على الله للكافرين والعصاة من المسلمين فـــإنهم فى هـــذا الأصل : " المنزلة بين المنزلتين " يرون أن صاحب الكبيرة مخـــلد فى الـــنار لا يخرج منها أبداً ، ولا يموت فيها ولا يحى ، مثله كمثل الكافـــر ، إلا أن عذابـــه دون عذاب الكافر ، وأنه لا يسمى مؤمناً وكذلك لا يسمى كافراً ، وإنما يسمى فاسقاً ..

والمعـــتزلة – غفر الله لهم – أخطأوا فى كلا الأصلين . أما بيان خطائهم فى الوعد والوعيد ووجوبهم على الله تعذيب عبيده العصاة والكفرة فقد سبق ذكره . وأما خطاؤهم فى حكم مرتكب الكبيرة فهذا ما سأبينه فى هذا الفصل بمشيئة الله .

ومـــن الله نســـتمد العـــون والتيسير ، وندعوه أن يهدينا الصراط المستقيم ، صـــراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ..... آمين ،

المنزلة بين المنزلتين

إن المنزلة بين المنزلتين تعد من أهم أصول المعتزلة ولعلها كانت بداية تأسيس مذهبهم .. وبهذا الأصل سمى المعتزلة بهذا الإسم .

يبين ابن حزم سبب القول بالمنزلة بين المنزلتين فيقول فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل :

السبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصرى فقال يا إمام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقاداً ؟! فتفكر الحسن فى ذلك وقبل أن يجيب قال واصل ابن عطاء أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق[١] ولا كافر مطلق[٢] بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل إلى إسطوانة من إسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمى هو وأصحابه معتزلة ووجه تقريره أنه قال إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمى المرء مؤمناً وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمناً وليس هو بكافر مطلق أيضاً لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة

(١، ٢) لعل الصحيح مطلقاً

فيـــه لا وجه لإنكارها لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو فى النار خالداً فيها إذ ليس فى الأخرة إلا الفريقان فريق فى الجنة وفريق فى السعير[١] لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد أن كان موافقاً له فى القدر وإنكار الصفات[٢]

ويرى المعتزلة أن المعاصى قسمان : كبائر وصغائر واختلفوا فى تعريف كل منهما ، وإن كان أكثرهم على أن الكبيرة ما أتى فيها وعيد ، والصغيرة ما لم يـــأت فيها وعيد ، وقالوا إن بعض الكبائر تصل إلى حد الكفر ، فمن شبه الله بخلقه أو نسب إليه ظلم أو كذبه فى خبر فقد كفر وهناك كبائر أقل منها منزلة ، يســـمى مرتكـــبها فاســـقاً ، والفسق منزلة بين الكفر والإيمان ، ولهذا فإن الفاسق ليس مؤمناً ولا كافراً ، وإنما هو فى منزلة بين المنزلتين[٣] ..

والقـــول بأن صاحب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين لا خلاف فيه عند أهل الإعتزال بل هو : (اتفاقهم على دعواهم فى الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين وهى أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر[٤] ..) بل إنهم ليزعمون أن واصل بن عطاء لم يخرج عن إجماع الأمة فى قوله بالمنزلة بين المنزلتين .

فيقول أبو الحسين الخياط المعتزلى فى كتابه الإنتصار :

---

[١] دليله فى ذلك قوله تعالى : " وتنذِرَ يوم الجمع لا ريب فيه فريق الجنة وفريق فى السعير " ا لشورى من الآية ٧

[٢] الملل والنحل للشهرستانى حـــ١ / ٦٠ - ٦١ ط دار المعرفة بيروت - سنة ١٤٠٣ هـــ ، سنة ١٩٨٣ م

[٣] الملل والنحل للشهرستانى حـــ١ / ٥٢

[٤] المنية والأمل للقاضى عبد الجبار صـــ١٤

إن واصـــل بن عطاء "رحمه الله" لم يحدث قولاً لم تكن الأمة تقول به فيكون قـــد خـــرج من الإجماع ، ولكنه وجد الأمة مجمعة على تسمية أهل الكبائر بالفسق والفجور ، مختلفة فيما سوى ذلك من أسمائهم ، فأخذ بما أجمعوا عليه وأمســـك عمـــا اختلفوا فيه وتفسير ذلك أن الخوارج وأصحاب الحسن كلهم مجمعون والمرجئة على أن صاحب الكبيرة فاسق فاجر . ثم تفردت الخوارج وحدها فقالت : هو مع فسقه وفجوره كافر . وقالت المرجئة وحدها : هو مع فسقه وفجروه مؤمن . وقال الحسن ومن تابعه هو مع فسقه وفجوره منافق . فقـــال لهم واصل : قد أجمعتهم أن سميتم صاحب الكبيرة بالفسق والفجور ، فهو إسم له صحيح بإجماعكم وقد نطق القرآن به فى آية القاذف [١] وغيرها مـــن القـــرآن فوجـــب تسميته به . وما تفرد به كل فريق منكم من الأسماء فدعـــوى لا تقـــبل منه إلا ببينة من كتاب الله أو من سنة نبيه "صلى الله عليه وســـلم ". ثـــم قـــال واصـــل للخوارج : وجدت أحكام الكفار المجمع عليها المنصوصـــة فى القـــرآن كلها زائلة عن صاحب الكبيرة ، فوجب زوال اسم الكفـــر عنه بزوال حكمه ، لأن الحكم يتبع الإسم كما أن الإسم يتبع الفعل ، وأحكـــام الكفر المجمع عليها المنصوصة فى القرآن على ضربين ، قال الله عـــز وجل : (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَـــرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّىَ يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)[٢] . فهذا حكم الله فى أهل الكتاب وهو زائل

---

[١] لعله يقصد قول الله تعالى : " وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " النور آية ٤

[٢] سورة التوبة آية ٢٩

عن صاحب الكبيرة ، وقال : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً)[١] . فهذا حكم الله فى مشركى العرب وفى كل كافر سوى أهل الكتاب وهو زائل عن صاحب الكبيرة . ثم قد جاءت السنة المجتمع عليها أن أهل الكفر لا يوارثون[٢] ولا يدفنون فى مقابر أهل القبلة ، وليس يفعل ذلك بصاحب الكبيرة . وحكم الله فى المنافق أنه إن ستر نفاقه فلم يُعلم به وكان ظاهره الإسلام فهو عندنا مسلم له ما للمسلمين وعليه ما عليهم . وإن أظهر كفره استتيب فإن تاب وإلا قتل . وهذا الحكم زائل عن مرتكب الكبيرة . وحكم الله فى المؤمن الولاية والمحبة والوعد بالجنة . قال الله جل ذكره " اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ أَمَنُواْ "[٣] . وقال : " وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً "[٤] وقال : " وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارَ "[٥] . وحكم الله فى صاحب الكبيرة فى كتابه أن لعنه وبرىء منه وأعد له عذاباً عظيماً فقال " أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ "[٦] . وقال " وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ "[٧] وما أشبه ذلك من

---

(١) سورة محمد من الآية ٥

(٢) لعله يقصد قول النبى "صلى الله عليه وسلم" : (لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن) رواه البخارى حـ٧/ ٦٠٦ حديث رقم ٤٢٨٣ - ك المعازى ب أين ركز النبى "صلى الله عليه وسلم" الراية يوم الفتح ؟

(٣) سورة البقرة : من الأية ٢٥٧

(٤) سورة الأحزاب آية ٤٧

(٥) سورة التوبة من الآية ٧٢

(٦) سورة هود من الآية ١٨

(٧) سورة الإنفطار آية ١٤

القرآن ، فوجب أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بزوال أحكام المؤمن عنه فى كتاب الله ووجب إنه ليس بكافر بزوال أحكام الكفار عنه ووجب أنه ليس بمنافق فى زوال أحكام المنافقين عنه فى سنة رسول الله" صلى الله عليه وسلم" . ووجب أنه فاسق فاجر لإجماع الأمة على تسميته بذلك وبتسمية الله له به فى كتابه[١] .

هذا قول أبى الحسين الخياط – أحد علماء المعتزلة – وفى كلامه كثير من المغالطات والملاحظات – فزعمه أن المرجئة وحدها التى تقول إن مرتكب الكبيرة مؤمن غير صحيح وواضح الخطأ حيث إن أهل السنة لم ينفوا الإيمان عنه كما سيأتى بيانه بإذن الله تعالى .. وقد أنصف واصل عندما قال وجدت أحكام الكفار المجمع عليها المنصوصة فى القرآن كلها زائلة عن صاحب الكبيرة فوجب زوال اسم الكفر عنه بزوال حكمه .. وإضافة إلى قول واصل نقول : وإن نصوص القرآن أضفت اسم الإيمان على مرتكب الكبيرة ولم تنف عنه صفة الإيمان مثل قوله تعالى :

" وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ "[٢] فقد بقى الله على الطائفتين المتقاتلتين صفة الإيمان مع إن قتل النفس كبيرة من البكائر .. ومثل قوله تعالى : " يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ

---

[١] الإنتصار صـ١٥٢ - ١٥٣ أبو الحسين عبد الرحيم الخياط

[٢] سورة الحجرات من الآية ٩

وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ "(١)

فقد أبقى الله صفة الإيمان على القاتل والإخوة بينه وبين أهل القتيل ... وسوف يأتى الحديث عن هاتين الآيتين بشىء من التفصيل فى حينه إن شاء الله تعالى ...

ويرى أهل السنة : أن الكبيرة ما نهى الله عنه فى كتابه العزيز وما نهى عنه رسول الله – "صلى الله عليه وسلم" فى حديثه الشريف . مع ذكر الوعيد فى الآخرة أو عقوبة فى الدنيا .

قال ابن حجر – رحمه الله – : (إن كل ما توعد عليه باللعن أو العذاب أو شرع فيه حد فهو كبيرة . وهو المعتمد)(٢)

وقد بين الله فى كتابه أن الله يغفر الذنوب جميعاً – صغيرها وكبيرها – شريطة ألا يكون قد وقع صاحبها فى كبيرة الشرك بالله – قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ "(٣)

وكذلك ضمن الله لمن يجتنب الكبائر أن يكفّر عنه الصغائر من السيئات قال تعالى : " إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا "(٤) .. وقد أُختلف فى الكبائر من حيث العدد فالحديث ينص على أنها سبع .. عن أبى هريرة– رضى الله عنه – عن النبى – صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٨

(٢) فتح البارى فى صحيح البخارى جـ١٢ / ١٨٨

(٣) سورة النساء من الآية ١١٦

(٤) سورة النساء آية ٣١

سبع .. عن أبى هريرة- رضى الله عنه – عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : اجتنبوا السبع الموبقات .

قـــالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات "[١] .

ولكن بعض الأحاديث ذكرت كبائر غير الكبائر المذكورة فى هذا الحديث منه ما رواه مسلم بسنده عن أبى بكرة عن أبيه قال : كنا عند رسول الله – صلى الله عـــليه وســـلم – فقـــال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر – ثلاثاً – الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قول الزور "[٢] .

فـــإذا ما أضفنا شهادة الزور ، وعقوق الوالدين إلى السبع المذكورات آنفاً فى الحديث يكون مجموع الكبائر تسعاً وليس سبعاً . ثم إن هناك كبائر أخر مثل التسبب فى شتم الوالدين أو سبهما ..

فعن عبد الله بن عمرو بن العاصى أن رسول الله "صلى الله عليه وسلم : " قـــال : من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه[٣] .

وجاءت أحاديث تبين أن من الكبائر " النميمة وعدم الإستبراء[٤]

---

[١] البخارى جـــ١٢ / ١٨٨ كتاب الحدود باب رمى المحصنات حديث رقم ٦٨٥٧

[٢] مسلم حـــ٢ / ٨١ - ٨٣ - كتاب الإيمان باب أكبر الكبائر

[٣] المسلم حـــ٢ / ٨١ - ٨٣ - كتاب الإيمان باب أكبر الكبائر

[٤] عدم التستر أو الإستبراء حيث جاءت رواية (لا يستبرىء) فتح البارى حـــ١ / ٣٨٠

من البول [١] . وغير ذلك وهذا يدل على أن الكبائر ليست محصورة فى عدد معين ...قال النووى – رحمه الله – : قال العلماء – رحمهم الله – ولا انحصار للكبائر فى عدد مذكور ، وقد جاء عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن سئل عن الكبائر أسبع هى؟ فقال هى إلى سبعين ويروى إلى سبعمائة أقرب[٢] ..

وقال الذهبى – بعد ذكره كلام ابن عباس : وصدق والله ابن عباس ..

وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر ، والذى يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً عن هذه العظائم مما فيه حد فى الدنيا كالقتل والزنا والسرقة أو جاء فيه وعيد فى الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد أو لعن فاعله على لسان نبينا – صلى الله عليه وسلم – فإنه كبيرة ولابد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض ، ألا ترى أنه – صلى الله عليه وسلم – عد الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مخلد فى النار ولا يغفر له أبداً قال تعالى " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "[٣]

---

[١] حديث رواه البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : مر النبى"- صلى الله عليه وسلم - بحائط من حيطان المدينة - أو مكة - فسمع صوت إنسانين يعذبان فى قبورهما فقال النبى –صلى الله عليه وسلم - يعذبان وما يعذبان فى كبير - ثم قال - يلى - كان أحدهما لا يستتر من يوله . وكان الأخر يمشى بالنميمة " البخارى جـ١ / ٣٧٩ كتاب الوضوء باب من الكبائر أن لا يستتر من يوله .

[٢] شرح صحيح مسلم حـ٢ / ٨٤

[٣] انظر الكبائر للذهبى صـ٥،٦ ط الإرشاد والآية من سورة النساء ١١٦

والذى نراه . أن الكبائر : هى ما فيها حد فى الدنيا ، أوعيد فى الآخرة ، أو لُعن صاحبها على لسان نبينا " صلى الله عليه وسلم " ..

ووقـــع الإقتصار على هذه السبع لكونها من أفحش الكبائر مع كثرة وقوعها لاسيما فيما كانت عليه الجاهلية [١]

وبذلـــك يكـــون المعنى – والله أعلم – إن من أكبر الكبائر سبعاً – بدليل أن الروايات جاءت مختلفة وما ذكر فى بعضها لم يذكر فى البعض الأخر ...

أمـــا حكم مرتكب الكبيرة فلا خلاف عند أهل السنة على أنه مسلم ليس بكافر ولا بخالد فى النار خلود تأبيد ولو مات بغير توبة .

يقول أبو جعفر الطحاوى :

وأهـــل الكبائر من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – فى النار لا يخلدون ، إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين وهم فى مشـــيئته وحكمه ، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل فى كتابه (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ)[٢] وإن شاء عذبهم فى النار بعدله "[٣]

ويقـــول الإيـــجى – صـــاحب المواقف : إن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة مؤمن[٤]

واســـتدل المعتزلة على أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ببعض آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى :-

---

[١] شرح النووى حـــ٢ / ٨٤

[٢] سورة النساء من الآية ٤٨

[٣] العقيدة الطحاوية صـــ ٣٥٦ - ٣٥٧ ط مكتبة الدعوة الإسلامية

[٤] المواقف ٣٨٩

" الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون "[١]

يقول الزمخشرى فى تفسيره لهذه الآية : " فإن قلت" ما الإيمان الصحيح ؟ " قلت " أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله ، فمن أخل بالإعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق[٢] .

فالزمخشرى جعل التصديق من حظ العمل فمن اعتقد بقلبه ، وأعرب بلسانه ولكـــن أخـــل ببعض الواجبات أو وقع فى كبيرة من الكبائر فهذا لا يوصف بالمؤمن عند المعتزلة لأنهم يقررون :-

(أن الإيمان إجتماع التصديق والإعتقاد القلبى وأداء الواجبات فمن صدق بأن الله واحـــد وأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) رسوله ولم يقم بالفرائض لم يكن مؤمناً لأنه لم يستكمل خصال الخير[٣] .

هكـــذا يصرح المعتزلة بأن من لم يستكمل خصال الخير لا يوصف بالمؤمن وكذلك إذا ارتكب كبيرة من الكبائر .. ولا يخفى خطأ من اعتقد ذلك . حيث لا مغايرة بين ارتكاب الكبائر وا لصف بالإيمان .

قـــال تعـــالى : " وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَـــا عَـــلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُواْ الَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَتْ

---

[١] سورة البقرة ٣

[٢] الكشاف حـــ١ / ٢٢

[٣] الملل والنحل للشهرستانى حـــ١ / ٥٢ ط دار الفكر

فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ "[١]

فإن قتل المؤمن من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله وفى الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذى نفسى بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا[٢]

ورغم ذلك فإن الله لم ينزع عن أصحاب هذا الجرم صفة الإيمان .

يقول ابن كثير عند تفسيره هذه الآية :-

---

[١] سورة الحجرات الآيتان ٩-١٠

[٢] رواه النسائى حـ٧ / ٩٥ كتاب تحريم الدم باب تعظيم الدم حديث رقم ٣٩٩٧ وفى سنده إبراهيم بن مهاجر قال عنه النسائى ليس بالقوى ... قلت جاء من طرق اخرى متعددة على نفس المعنى ليس فيها إبراهيم بن مهاجر منها ما رواه الترمذى قال حدثنا ابو سلمة يحى بن خلف ، ومحمد بن عبد الله بن بزيع ، قالا حدثنا ابن أبىعدى عن شعبه ، عن يعلى بن عطاء عن ابيه عن عبد الله بن عمرو ان النبى " صلى الله عليه وسلم " قال : لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم " قال أبو عيسى : حديث عبد الله بن عمرو ، هكذا رواه ابن ابى عدى عن شعبه ، عن يعلى بن عطاء عن ابيه عبد الله بن عمرو عن النبى " صلى الله عليه وسلم " انظر الترمذى حـ٤/٧٤٧ : ٧٤٨ ك الديات /٧ ب : ماجاء فى تشديد قتل المؤمن . وجاء فى سنن النسائى ايضاً : أخبرنا محمد بن بشار قال : حدثنا محمد عن شعبه عن يعلى عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا " سنن النسائى حـ٧/٩٥ - ك تحريم الدم ب تعظيم الدم حديث رقم ٣٩٩٩ ط دار المعرفة الطبعة الخامسة .

فســماهم مؤمنين مع الإقتتال وبهذا استدل البخارى وغيره على أنه لا يخرج عــن الإيمان بالمعصية وإن عظمت ، لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم[١] ..

والآيــتان بدأتا بصفة الإيمان وختمتا بصفة الأخوة ، وهذا دليل قوى على أن المعصية لا تزيل صفة الإيمان وإن عظمت .

لذلــك قال العلماء : (فى هاتين الآيتين[٢] دليل على أن البغى لا يزيل اسم الإيمــان لأن الله تعــالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روى عــن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – وهو القدوة فى قتال أهل البغى وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم ؟ قال : لا ، من الشرك فروا . فقيل : أمنافقون هم ؟ قال : لا ، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا . قيل له : فما حالهم ؟ قال : إخواننا بغوا علينا[٣] ..

ومن الأدلة التى تبطل مزاعم المعتزلة وادعاءهم بأن مرتكب الكبيرة لا يسمى مؤمــناً قــول الله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُــرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْــرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ "[٤]

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير حـــ٧ / ٢٤٢

[٢] الآيتان ٩،١٠ من سورة الحجرات

[٣] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـــ١٦ / ٣٢٣ - ٣٢٤ وانظر تفسير الخازن حـــ٤ / ١٦٨ ط الاستقامة الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـــ - سنة ١٩٥٥ م

[٤] سورة البقرة الآية ١٧٨

بيـــنت الآية أن صفة الإيمان فى القاتل والمقتول ، وكذلك صفة الإخوة " فمن عفى له من أخيه شىء " .

يقول ابن حزم رحمه الله :-

إبتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان من كان فيهم من قاتل ومقتول ونص تعـــالى عـــلى أن القـــاتل عمـــداً وولى المقتول إخوان وقد قال تعالى " إنما المؤمنون أخوة "[١] فصح أن القاتل عمداً مؤمن بنص القرآن وحكم له بأخوة الإيمان ولا يكون للكافر مع المؤمن بتلك الإخوة ... ثم يبرهن ابن حزم على مـــا يقول مستشهداً بالآية التى ذكرنا آنفاً وهى قوله تعالى " وإن طائفتان من المؤمـــنين إقتتلوا فأصلحوا بينهما " . فيقول هذه الآية رافعة للشك جملة فى قو له تعـــالى إن الطائفة الباغية على الطائفة الأخرى من المؤمنين المأمور ســـائر المؤمنين بقتالها حتى تفىء إلى أمر الله تعالى إخوة للمؤمنين المقاتلين وهذا أمر لا يضل عنه إلا ضال والآيتان حجة قاطعة على المعتزلة المسقطة اسم الإيمان عن القاتل وعلى من أسقط عن صاحب الكبيرة إسم الإيمان[٢]

ويقول الماتريدى :- وقوله " ذلك تخفيف من ربكم ورحمة " فيه دلالة أن لا يقطع صاحب الكبيرة عن رحمة الله لأنه أخبر أن التخفيف رحمته فى الدنيا . فـــإذا لم يواسيهم فى الدنيا عن رحمته فلا يواسيهم فى الآخرة عنها ... وفى قو له " فمن عفى له من أخيه شىء " دلالة أن لا يزول اسم الإيمان بارتكابه الكبيرة لأنه سماه أخاً من غير إخوة نسب دل إنه أخوة فى الدين وكذلك قوله تعالى : " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا "

---

[١] سورة الحجرات من الآية ١٠

[٢] الفصل فى الملل والأهواء والنحل حـــ٣ / ٢٣٥ - ٢٣٦ ط دار المعرفة

أبقى لهم اسم الإيمان بعد البغى والقتل دل أن ارتكاب الكبيرة لا يخرجه عن الإيمان[١] .

ومما يستدل به على أن المعصية لا تسقط اسم الإيمان وإن عظمت – ما لم تكن شركاً – أنه لا يخلد فى النار إلا كافر ، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن وقد ثبت عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أن من سرق أو زنى فإنه يدخل الجنة كما جاء فى حديث أبى ذر[٢] – رضى الله عنه – فصح أن كلا من هذا الزانى والسارق يحمل صفة الإيمان وإلا ما دخل أحدهما الجنة أو كلاهما . لأن الجنة محرمة على الكافرين قال تعالى :-

" إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ " [٣] وقال سبحانه :-

" وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ "[٤]

وقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم " : " من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار وقلت أنا ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة "[٥] ..

---

[١] انظر تأويلات أهل السنة لأبى منصور الماتريدى صـ٣٤٥ ط الإرشاد - بغداد سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م

[٢] انظر صـ٣٣٩ - من فصل الوعد والوعيد

[٣] سورة المائدة من الآية ٧٢

[٤] سورة الأعراف الآية ٥٠

[٥] رواه مسلم حـ٢ / ٩٢ كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة

أمـــا قول الزمخشرى :- " من أخل بالعمل فهو فاسق " فإنه عند أهل السنة كذلك فاســـق ولكـــن الفسق لا يخرجه عن الإيمان[١] ولا يخلده فى النار حيث ما زال يحمل صفة المؤمنين .

فإن كان رأى الزمخشرى كذلك فلا خلاف . وإن كان يقصد - وأظنه كذلك[٢] - بالفاســـق أنـــه ليـــس بمؤمن ولا كافر كما هو مذهب المعتزلة فهذه أسماء سماها القدريـــة وهى -كمـــا يقول ابن المنير - ما أنزل الله بها من سلطان ومعتقد أهل الســـنة أن الموحـــد لله الـــذى لا خلل فى عقيدته مؤمن وإن ارتكب الكبائر وهذا الصـــحيح لغة وشرعاً أما لغة فإن الإيمان هو التصديق وهو مصدق وأما شرعاً فأقرب شاهد عليه هذه الآية[٣] فإنه لما عطف فيها العمل الصالح على الإيمان دل عـــلى أن الإيمـــان معقول بدونه ولو كان العمل الصالح من الإيمان لكان العطف تكرارا [٤]

قول الله تعالى : " أفنجعل المسلمين كالمجرمين " [٥] استدل المعتزلة بهذه الأية على ان مـــرتكب الكبيرة لا يعد مسلماً ولا مؤمناً ، ومن ثمَّ فلا يكون من أهل الجنة البتة فزعم القاضـــى عبد الجبار أن هذه الأية : " دليل واضح على أن وصف الإنسان بأنه مسلم ومجرم كالمتنافى فالفاسق لما كان مجرماً وجب ألا يكون مسلماً ويقول الجبائى : دلت الآية على أن المجرم لا يكون البتة فى الجنة ، لأنه تعالى

---

[١] الكشاف حـــ١ / ٥٨ حاشية الشيخ محمد المرزوقى

[٢] لأنه يقول فى موطن آخر :- والفاسق فى الشريعة الخارج عن أمر الله بإرتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين منزلة المؤمن والكافر . الكشاف جـــ١ / ٥٨

[٣] الآية هى قوله تعالى :-" الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون " سورة البقرة الآية ٣ .

[٤] هامش الكشاف حـــ١/٢٢ .

[٥] القلم الاية : ٣٥

أنكـــر حصول التسوية بينهما فى الثواب ، بل لعله يكون ثواب المجرم أزيد من ثواب المسلم إن كان المجرم أطول عمراً من المسلم ، وكانت طاعته غير محبطة [١] .

ورداً على هذا الزعم نقول :فى هذا التأويل نظر ، فإنه لا يرقى إلى القبول ، ولا أظنه مراد الآية التى تبين أن الإجرام معناه الكفر والمراد بالمجرمين هنا كفار مكة الذين نزلت فيهم الآية يقول صاحب لباب التأويل – رحمه الله – : أخبر الله بما أعده للمتقين فقال تعالى :- " إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم "[٢] أى عـــند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون إنا نعطى فى الآخـــرة أفضـــل ممـــا تعطون فقال الله تعالى تكذيباً للمشركين (أفنجعل المســـلمين كالمجـــرمين) يعنى أن التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون أفضل منه[٣]

ولما قال تعالى ذلك على سبيل الإستبعاد والإنكار قرر هذا الإستبعاد بأن قال لهم على طريق الإلتفات " ما لكم كيف تحكمون " يعنى هذا الحكم المعوج[٤] .

ولا خلاف بين المفسرين أن الآية نزلت فى الكافرين والمراد بالمجرمين كفار مكـــة كما قال ابن عباس ومقاتل وغيرهما [٥] وإنكار جعل الفريقين متشابهين كناية عن إعطاء المسلمين جزاء الخير فى الأخرة وحرمان المشركين منه ،

---

[١] الفخر الرازى حـ٣٠ /٦٦٧

[٢] سورة القلم : ٣٤

[٣] لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن حـــ٤ ، ٢٩٧ – ٢٩٨ ط الإستقامة

[٤] انظر الفخر الرازى حـــ٣٠ / ٦٦٨ وانظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة

[٥] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـــ١٨ / ٢٤٦

لأن نفى التساوى وارد فى معنى التضاد فى الخير والشر فى القرآن الكريم وكـــلام العرب قال تعالى : " أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُ "[١] وقال :" لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ "[٢] وقال :" أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ "[٣] وقال الحارثى :

سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

وإذا انـــتفى أن يكون للمشركين حظ فى جزاء الخير انتفى ما قالوه من أنهم أفضـــل حظاً فى الآخرة من المسلمين كما هو حالهم فى الدنيا بطريق فحوى الخطـــاب وقوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين كلام موجه إلى المشركين وهم المقصود بـــ" المجرمين " عُبر عنهم بطريق الإظهار دون ضمير الخطاب لما فى وصـــف المجـــرمين من المقابلة ليكون فى الوصفين إيماء إلى سبب نفى المماثلة بين الفريقين[٤] ..

ويقول صاحب الفتوحات الإلهية :-

الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنحيف فى الحكم فـــنجعل المسلمين كالمجرمين ... والإستفهام للتقريع والتوبيخ للكفارعلى هذا القـــول الذى قالوه وقد وبخوا وقرعوا بإستفهامات سبعة الأول هذا والثانى ما

---

(١) سورة السجدة الآية :١٨

(٢) سورة الحشر من الآية :٢٠

(٣) سورة ص الآية :٢٨

(٤) انظر تفسير التحرير والتنوير جـــ٢٩/ ٩٢ ط الدار التونسية

لكـــم والـــثالث كيـــف تحكمون والرابع أم لكم كتاب والخامس أم لكم أيمان والسادس أيهم بذلك زعيم والسابع أم لهم شركاء ...

ثـــم قال : ليس فى الآية إلا نفى المساواة ، والكفار ادعوا الأفضلية ... وإذا إنتفت المساواة انتفت الأفضلية بالأولى[١] .

إذاً المراد بالمجرمين الذين ذكرتهم الآية الكفار الذين لم يؤمنوا باليوم الآخر وقـــالوا على سبيل الإستبعاد إن كان هناك بعث وجزاء فإن الله سوف يعطينا أفضل منهم ..

يقول ابن حزم رحمه الله :-

قـــد علمـــنا أنه لا دار إلا الجنة أو النار ، وأن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون المســـلمون فقط ، ونص الله على أن النار لا يدخلها إلا المكذب المتولى[٢] .

قال تعالى :- " فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ لَا يَصْلَاهَآ إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ "[٣]

والمـــتولى المكذب كافر بلا خلاف فلا يخلد فى النار إلا كافر فقط وإذ ذلك كذلـــك فهـــؤلاء الذين سماهم الله عز وجل مجرمين وفاسقين وأخرجهم عن المؤمـــنين فهـــم كفـــار مشركون لا يجوز غير ذلك[٤] . وبذلك يصبح إدعاء

---

[١] الجمل ـــ٤ / ٣٨٨

[٢] لعل مراد ابن حزم ألا يدخلها خالداً خلود تأبيد لأن المسلم العاصى قد يدخلها ثم يخرج منها برحمة الله إلى الجنة ..

[٣] سورة الليل ١٤ - ١٦

[٤] الفصل فى الملل والأهواء والنحل حـــ٣ / ٢٣٢ ط دار المعرفة بيروت - لبنان سنة ١٤٠٣ هـــ ، سنة ١٩٨٣ م

المعتزلة باطلاً ، وحجتهم داحضة ، واستشهادهم بالآية فى غير محله ، والقول بأن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار مردود ..

أم قول الجبائى : دلت الآية على أن المجرم لا يكون البتة فى الجنة لأنه تعالى أنكر حصول التسوية بينهما فى الثواب ، بل لعله يكون ثواب المجرم أزيد من ثواب المسلم إن كان المجرم أطول عمراً من المسلم وكانت طاعته غير محبطة .

أقول : إن كان كذلك ولكن ذلك لم يكن حيث إن طاعته محبطة بنص القرآن الكريم قال تعالى : " لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ "[١]

وقد سبق أن المراد بالمجرمين مشركوا مكة كما قال ابن عباس وغيره .

هذا ، وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى سمت الكافرين مجرمين من ذلك قوله تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَتِنَا وَاستَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىَ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ "[٢] وقوله جل جلاله :-

" إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَا لَتَارِكُواْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ "[٣]

وفى القرآن الكريم أيضاً آيات كثيرة ذكر الله تعالى فيها المجرم فى مقابلة المؤمن مثل قوله تعالى :- " إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىَ . وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ

---

[١] سورة الزمر من الآية : ٦٥

[٢] سورة الأعراف الآية : ٤٠

[٣] سورة الصافات الآية : ٣٤ - ٣٦

العُـلَىٰ جَـنَّاتُ عَـدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ "[١] أى تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس:قال لا إله إلا الله .[٢] وهذا يدل على أن المجرم الذى لم يقلها . فإنه أنسب لقوله " لا يموت فيها ولا يحى " . أما الذى نطق بكلمة التوحيد (فلا يليق به أن يقال فى صفته أن له جهنم لا يموت فيها ولا يـحى ولو ارتكب الكبيرة)[٣] . يقول الطبرى :-إنه من يأت ربه من خلقه مجرماً مكتسباً الكفر به فإن له جهنم مأوى ومسكناً جزاء له على كفره ومن يأته مؤمناً موحداً لا يشرك به قد عمل ما أمره به ربه ، وانتهى عما نهاه عنه فأولئك لهم درجات الجنة العُـلَى[٤] ..وقو له تعالى : "يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ " [٥] اى بعلامات تظهر عليهم قـال الحسـن وقتادة ٠ يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون ثم يضيف ابن كثير فيقول: قلت : وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من اثار الوضوء ٠ [٦]

ويقول سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ يَضْحَكُونَ " [٧]

ويقول جل جلاله : " فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم فى رحمته ذلك الفوز المبين وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ٠"[٨]

---

[١] سورة طـه : ٧٤ – ٧٦

[٢] الكشاف حـ٢ / ٤٤١

[٣] الفخر الرازى حـ٢٠ / ٦٦١

[٤] تفسير الطبرى حـ٨ / ٤٨٤ – ٤٨٥

[٥] سورة الرحمن من الايه : ٤١

[٦] تفسير القران العظيم حـ٧/ ٣١٧

[٧] سورة المطففين : ٢٩

[٨] سورة الجاثية :٣٠/ ٣١

كل هذا يؤكد أن كلمة المجرم والمجرمين إنما يراد بها أهل الكفر حيث جاء فى مقابلها أهل الايمان ... وليس المراد صاحب الذنوب والكبائر كما يزعم المعتزلة ... حيث إن صفة الإجرام تطلق على أعتى أنواع الكفر قال تعالى:

" فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ " (١)

وهى نزلت فى مسليمة الكذاب (٢) وكذلك وصف الله فرعون وملاءه بأنهم مجرمون وهم أشد الناس كفراً وعتواً فقال سبحانه : " ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ." (٣)

هذا . وقد وصف القران الكريم الامم الغابرة – بسبب كفرهم – بوصف الإجرام وسماهم بالمجرمين مما يدل على أن كلمة المجرمين فى القرآن تعود على الكافرين لا المسلمين وذلك مثل قوله تعالى : عن قوم لوط :

" قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ " (٤)

وقوله سبحانه عن قوم عاد :

" فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ " (٥)

---

(١) سورة يونس أية : ١٧

(٢) تفسير القران العظيم حـ٤/ ٩٣

(٣) سورة يونس ايه : ٧٥

(٤) سورة الذاريات ٣١- ٣٢

(٥) سورة الاحقاف من الاية : ٢٥

وقوله جل جلال : "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ". (١) فالله تعالى أهلكهم لأنهم كانوا مجرمين كما ذكرت الآيات، ومعلوم ان عذاب الله بالهلاك انما ينزل على العباد لكفرهم وعنادهم لا لاقترافهم المعاصى وهم على التوحيد قال تعالى: " إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ " . (٢)

وقال سبحانه: " وَمَاكَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ " . (٣)

وقال جل جلاله : " وَمَاكُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ". (٤)

وقال جل شانه : " وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" . (٥)

* * *

ومن الأيات التى استدل بها المعتزلة على خلود صاحب الكبيرة فى النار – قوله تعالى : " إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ". (٦)

حيث يقول القاضى عبد الجبار : يدل على الوعيد والخلود لأنه لم يخص مجرما من مجرم وبيّن أنهم خالدون فى النار والخلود هو الدوام الذى لاانقطاع له . (٧)

---

(١) سورة يونس اية : ١٣

(٢) سورة طه اية : ٤٨

(٣) سورة هود ايه : ١١٧

(٤) سورة القصص من الاية : ٥٩

(٥) سورة الانفال من الاية : ٣٣

(٦) سورة الزخرف الاية : ٧٤

(٧) متشابه القران حـ٢/ ٦٠٩ط مكتبه دار التراث

وقبل أن نبدأ فى الرد عليهم فى هذه الأية ننبه أن الأية السابقة التى قمنا بدحض شبهاتهم فيها كانت عن المجرمين أيضا فما قيل فى الأية السابقة ردا عليهم يقال فى هذة الاية.. وزيادة على ذلك تقول فى هذه الأية بخصوصها لاخلاف بين علماء أهل السنة على أن المراد بالمجرمين فى هذه الأية أهل الكفر والشرك الجاحدون توحيد الله وعبادته .

يقول الخازن : إن المجرمين يعنى المشركين .[١]

ويقول الطبرى فى تفسيره لهذه الاية يقول تعالى ذكره " ان المجرمين " اجترموا فى الدنيا الكفر بالله فاجترموا به فى الاخرة " فى عذاب جهنم خالدون " هم فيه ماكثون وماظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما اخبرناكم ولكن كانوا هم الظالمين بعبادتهم فى الدنيا غير من كان عليهم عبادتُه، وكفرهم بالله وجحودهم توحيده . [٢]

ثم إن ماقبل هذه الأية ومابعدها يؤكد أن المراد بالمجرمين الكفرة الجاحدون لاعصاة المسلمين . يقول الفخر الرازى – رحمه الله – :

إن ماقبل هذه الأية ومابعدها يدل على أن المراد من لفظ المجرمين ها هنا الكفار ، أما ماقبل هذه الأية فلأنه قال: " يَاعِبَادِ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَاأَنتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ أَمَنُواْ بِأَيَاتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ" .[٣] فهذا يدل على أن كل من أمن بأيات الله وكانوا مسلمين فإنهم يدخلون تحت قوله : " ياعباد لاخوف عليكم

---

[١] لباب التأويل حـ٤ / ١١٠ ط الاستقامة الطبعة الاولى سنه ١٩٧٤- ١٩٥٥ .

[٢] تفسير الطبرى حـ١١/٢٢٨ – وانظر القاسمى حـ١٤/ ٥٢٨٦

[٣] الزخرف ٦٨ : ٦٩ .

اليـــوم ولاأنتم تحزنون الذين أمنوا بأيانتا وكانوا مسلمين ٠"والفاسق من أهل الصلاة أمن بالله تعالى وبأياته وأ سلم فوجب أن يكون داخلا تحت الوعد ٠ ووجـــب أن يكـــون خارجا عن هذا الوعيد ٠ وأما مابعد هذه فهو قوله – لقد جئـــناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون والمراد بالحق هنا إما الاسلام وإما القرآن ، و الرجل المسلم لايكره الإسلام ولا القرآن فثبت أن ماقبل هذه الاية ومابعدها يدل على أن المراد من المجرمين الكفار ٠[١]

ومـــن المعلوم أن القرآن يفسر بعضه بعضاً وأن النظر إلى ما قبل الأية وما بعدهـــا أمـــر ضـــروري لمعرفة مراد الأية وهو لازم للمفسر. يقول الفخر الـــرازي : ليـــس الرجل من يرى وجه الإستدلال فيذكره ، إنما الرجل الذي يـــنظر فيما قبل الكلام وفيما بعده ٠ [٢]وهذا قول حسن فإن كثيراً من الآيات يبيـــنها مـــا بعدها مثل قوله تعالى : " إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً " [٣]

فقوله سبحانه: " هلوعاً " يفسر بالجزع في الشر والمنع والشح في الخير – فعـــن ابـــن عباس "رضي الله عنهما " قال : تفسيره ما بعده (إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً) وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلباً عن الهلع فقال فسره الله تعالى ولا يكون تفسيراً أبين من تفسيره إذا ناله شر

---

[١] الفخر الرازى حـــ٢٧/ ١١٩: ١٢٠

[٢] المرجع السابق حـــ٢٧ : ١٢١

[٣] سورة المعارج ١٩: ٢١

أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس .[١]

قول الله تعالى " وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا" [٢] استدل المعتزلة بهذه الأية على أن فساق أهل الملة من مرتكبى الكبيرة مخلدون فى النار دون ماخروج منها ..وقد وجد المعتزلة بغيتهم فى هذه الأية واستغلوا لفظ (أبدا) فرصة ليردوا على من يحمل الخلود على المكث الطويل وحيث جاء لفظ الأبد صريحا فمن ثمَّ ظنوا أن دليلهم قوى ..!!

يقول الفخر الرازى : استدل جمهور المعتزلة بهذه الأية على أن فساق أهل الصلاة مخلدون فى النار وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار ، قالوا وهذا العموم أقوى فى الدلالة على هذا المطلوب من سائر العمومات لأن سائر العمومات ما جاء فيها قوله (أبدا) فالمخالف يحمل الخلود على المكث الطويل اما ها هنا فقد جاء لفظ الأبد فيكون ذلك صريحا فى إسقاط الإحتمال الذى ذكره المخالف[٣] ويرى القاضى عبد الجبار-أن لا فرق بين الكافر والفاسق وإنما الجميع خالد فى نار جهنم فيقول : بعد ذكره هذه الأية -يدل على ما يقوله المعتزلة فى الوعيد لأنه تعالى أوجب لمن هذا وصفه الخلود فى النار ولم يخص الكافر من الفاسق . [٤]

---

[١] انظر تفسير النسفى حـ٤/ ٢٩١- ٢٩٢ ط دار احياء الكتب العربية وانظر تفسيرالقران العظيم لابن كثير حـ ٨/ ١٢٤ .

[٢] سورة الجن من الاية : ٢٣

[٣] الفخر الرازى حـ٣٠ / ٧٨٣

[٤] متشابه القران حـ ٢ /٦٦٨

وليس المراد بمعصيه الله ورسول عند علماء أهل السنة والجماعة مجرد الوقوع فى الكبيرة مع توحيد الله والإيمان برسله . ولكن الأية تحمل على الجحود والتكذيب وهذا من صفات الكافرين لا المسلمين يقول الطبرى فى تفسيره هذه الأية :

ومن يعص الله فيما أمره ونهاه ، ويكذب به ورسوله ، فجحد رسالاته ، فإن له نار جهنم يصلاها خالدين فيها أبدا ماكثين فيها أبدا الى غير نهاية [١].

وما استشهد به المعتزلة وظنوه دليلا قويا على خلود صاحب الكبيرة فى جهنم وهو لفظ (ابدا) كان دليلا عند غيرهم على أن الأية تتحدث عن المشركين لاعصاة المسلمين ، يقول القرطبى رحمه الله :

قو له أبداً دليل على أن العصيان هنا هو الشرك ، لأن الذين خرجوا من الدينا على الإيمان يلحقهم العفو لامحالة .[٢]

ومن الأشياء التى يستعان بها فى التفسير أسباب التزول وذكر الواقعة التى من أجلها ورد الحكم، فان تخصيص العموم – كما يقول الفخر الرازى – بالواقعة التى لأجلها ورد ذلك العموم عرفٌ مشهور ، فإن المرآة إذا أرادت أن تخرج من الدار ساعة فقال الزوج إن خرجت فأنت طالق يقيد ذلك اليمين بتلك الساعة المعينة حتى أنها لوخرجت فى يوم آخر لم تطلّق فها هنا أجرى الحديث فى التبليغ عن الله تعالى ، ثم قال : (ومن يعص الله ورسوله) يعنى جبريل أى ومن يعص الله فى تبليغ رسالته وأداء وحيه فان له نار جهنم ، وإذا كان ما ذكرناه محتملا سقط وجه الإستدلال ، وقوله ومن يعص الله

---

[١] تفسير الطبرى حـ١٢/ ٢٩٨

[٢] الجامع لاحكام القران حـ١٩/ ٢٧

ورســـوله) أنما يتناول من عصى الله ورسوله بجميع أنواع المعاصى وذلك هـــو الكافـــر ونحن نقول بأن الكافر يبقى فى النار مؤيداً ، وإنما قلنا أن قوله ومـــن يعصِ الله ورسوله إنما يتناول من عصى الله بجميع أنواع المعاصى لأن قوله (ومن يعص الله) يصح استثناء جميع أنواع المعاصى عنه مثل أن يقال ومن يعص الله إلا فى الكفر وإلا فى الزنا وإلا فى شرب الخمر . ومن مذهـــب القائلين بالوعيد أن حكم الإستثناء إخراج ما لولاه لكان داخلا تحت اللفظ وإذا كان كذلك وجب أن يكون قوله (ومن يعص الله) متناولا لمن أتى بكل المعاصى – والذى يكون كذلك هو الكافر ، فالأية مختصة بالكافر على هذا التقدير [١].

هـــذا ، وإلى جـــانب ما استدل به المعتزلة على مذهبهم من القران الكريم كـــانت لهم أدلة عقليه أوردوها من أجل الإنتصار لهذا المذهب حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة لايكون مؤمنا إذ يستحيل أن يكون المرء مذنبا ومؤمنا فى ان واحد ، لأن الإيمان شئ محمود ، والذنب شئ سيئ مذموم فقالوا :

" المؤمن محمود محسن ، ولى لله عزوجل ، والمذنب مذموم سيئ عدو لله ومن المحال أن يكون إنسان واحد محموداً مذموماً محسناً سيئاً عدواً لله ولياً له معا " [٢]

ويرد ابن حزم على هذه الشبهة فيقول :

---

[١] تفسير الفخر الرازى حـــ ٣٠/٧٨٥

[٢] الفصـــل فى المـــلل والأهواء والنحل حـــ٣/٢٣٢ ط دار المعرفة بيروت لبنان سنـــة ١٤٠٣هـــ – ١٩٨٣م

وهـــذا الـــذى أنكروه لا نكرة فيه بل هو أمر موجود مشاهد فمن أحسن من وجه وأساء من وجه أخر كمن صلى ثم زنى فهو محسن محمود ولى الله فيما أحســـن فيه من صلاة ، وهو مسئ مذموم عدو لله فيما أساء فيه من الزنا – قال الله عز وجل :

(وأخـــرون اعـــترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وأخر سئيا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم)[١] .

فبا لضرورة ندرى أن العمل الذى شهد الله عز وجل أنه سئ فإن عامله فيه مذمـــوم مسئ عاصٍ لله تعالى [٢] وفى السنة ما يؤيد كلام ابن حزم – رحمه الله– فقـــد ثبـــت ان رســـول الله "صلى الله عليه وسلم" مدح أبا ذر فقال : ماأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر [٣].

وفى روايـــة : ماأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق ولا أوفى من أبى ذر : شبه عيسى ابن مريم –عليه السلام –

فقال عمر بن الخطاب كالحاسد : يارسول الله افتعرف ذلك له ؟ قال نعم فاعرفوه له[٤]

ثم أخطأ أبو ذر يوما فى حق رجل وعايره

---

[١] سورة التوبة أية : ١٠٢

[٢] الفصل فى الملل والأهواء والنحل حـــ٣/ ٢٣٢

[٣] رواه الترمذى حـــ١٠/ ٢٨٢ كتاب المناقب / ٣٦ – باب مناقب ابى ذر "رضى الله عنه " وقال : حديث حسن .

[٤] الـــترمذى حـــ١٠/ ٢٨٣ ك المناقب ٣٦ – ب مناقب ابى ذر –رضى الله عنه – قال حديث حسن غريب من هذا الوجه .

بأمـــه [١] فقال له رسول الله "صلى الله عليه وسلم" :أعايرته بأمه ؟ قال نعم يارسول الله – قال عليه الصلاة والسلام : (إنك امرء فيك جاهلية) [٢]

والصـــحابة – رضـــوان الله عـــليهم– خرجوا للجهاد فى غزوة أحد فكانوا محسنين يستحقون بهذا العمل المدح والثناء .... فلما خالفوا أمر رسول الله " صـــلى الله عليه وسلم " ونزلوا من فوق الجبل ومنهم من فر لم يكونوا كذلك لذلـــك عاتبهم الله فقال سبحانه : "أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ" [٣]

وقـــال ســـبحانه : "إِنَّ الَّذِيـــنَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ [٤]

ثم يقال لأهل الإعتزال :

مـــاتقولون إن عارضتكم المرجئة بكلامكم نفسه فقالوا من المحال أن يكون إنسان واحد محمودا مذموماً محسناً سئياً عدواً لله ولياً له معاً ثم أرادوا تغليب الحمد والإحسان والولاية وإسقاط الذم والإساءة والعداوة كما أردتم أنتم بهذه القضـــية نفسها تغليب الذم والإساءة والعدواة وإسقاط الحمد والإحسان والولاية

---

[١] الرجل هو بلال بن رباح – رضى الله عنه – قال له أبو ذر يا ابن السواء – انظر فتح البارى حـــ١/ ١٠٨ .

[٢] رواه البخارى ونصه " قال أبو ذر سابيت رجلا فعيرته بأمه فقال لى النبى "صلى الله عليه وسلم " يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك إمرء فيك جاهلية ." حـــ١/ ١٠٦ك الايمان ب المعاصى من أمر الجاهلية – حديث رقم :٣٠

[٣] سورة آل عمران من الأية : ١٦٥

[٤] سورة ال عمران أيـــــة : ١٥٥

بمـــا ينفصـــلون عـــنهم ... فإن قال المعتزلة أن الشرط فى حمده وإحسانه وولايـــته أن تجتنب الكبائر قلنا لهم فإن عارضتكم المرجئة فقالت إن الشرط فى ذمـــه وإساءته ولعنه وعداوته ترك شهادة التوحيد ، فان قالت المعتزلة أن الله قـــد ذم المعاصـــى وتوعد عليها ٠ قيل لهم فان المرجئة تقول لكم إن الله تعالى قد حمد الحسنات ووعد عليها وأراد بذلك تغليب الحمد كما أردتم تغليب الـــذم فـــان ذكرتم أيات الوعيد ذكروا أيات الرحمة... ٠ وهذا مالا مخلص للمعتزلة منه ولا للمرجئة ايضا . فوضح بهذا أن كلتا الطائفتين مخطئة وأن الحـــق هو جمع كل ما تعلقت به كلتا الطائفتين من النصوص التى فى القرآن والســـنن ويكـــفى من هذا كله قول الله عز وجل :" أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ " ٠ (١)

وقوله تعالى : " الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ" (٢)

وقو له سبحانه : "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (٣) وقوله جل جلاله: " مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا " (٤)

وقوله : " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ " (٥)

---

(١) سورة ال عمران من الأية :١٩٥

(٢) سورة غافر من الأية : ١٧

(٣) سورة الزلزلة الأيتان : ٧ : ٨

(٤) سورة الأنعام من الأية :١٦٠

(٥) سورة الأنبياء الأية : ٤٧

فصـــح بهذا كله أنه لايخرجه عن إسم الإيمان إلا الكفر ولا يخرجه عن إسم الكفر إلا الإيمـــان وأن الاعمال حسنها حسن إيمان [١] وقبيحها قبيح ليس إيمانا والموازنة تقضى عـــلى ذلـــك ولايحبط الأعمال إلا الشرك بالله قال تعالى : " لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَـــلُكَ وَلَـــتَكُونَنَّ مِـــنَ الْخَاسِرِينَ " [٢] ومما يبطل كلام المعتزلة وزعمهم أن صاحب الكـــبيرة مخلد فى النار قوله الله تعالى :" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْـــنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ "[٣] فان الله ذكر القتل – وهو كبيرة – وذكر أن الفتنة أكبر منه والمـــراد بالفتـــنة فى الأية الشرك أو الكفر بالله أى الشرك بالله أكبر من القتل ٠ وقال مجاهد وغيره : الفتنة هنا الكفر ، أى كفركم أكبرمن قتلنا أولئك . [٤] قال الماتريدى : لـــو أوجـــب القـــتل التخـــليد لكان التساوى بين الكفر والقتل ولا يكون الكفر أكبر من القـــتل [٥] وبمـــا أن المشرك خالد فى النار خلود تأبيد حابط عمله فإن صاحب الكبيرة لايخـــلد فى النارخلود تأبيد كمايخلد المشرك والكافر ، ولا يحبط عمله كما يحبط عمل المشرك.والمؤمن إذا وقع منه فسق – كبيرة أوغيرها فمن المحال أن يبطل

---

[١] لعلها : إيماناً

[٢] الفصـــل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم حـــ٣/ ٢٣٢ – ٢٣٣ ط دار المعرفه بيروت لبناء الأية رقم ٦٥ من سورة الزمر ٠

[٣] سورة البقرة من الاية : ٢١٧

[٤] انظـــر تفسير الطبرى حـــ٢/ ٥١١ – وانظر الكشاف للزمخشرى حـــ١/ ١٣١ – وانظر الجامع لأحكام القران للقرطبى حـــ٣/ ٤٦ ٠

[٥] انظر تاويلات أهل السنة صـــ ٤٤٧ : ٤٤٨ ٠

هـــذا الفسق سائر أعماله الصالحة من صلاة وجهاد وغير ذلك والسنة النبوية الصحيحة تذكر لنا بعض الذين اقترفوا بعض الكبائر – ولم تبطل تلك الكبائر عمـــلهم الصـــالح بل كان عملهم الصالح كفارة لذنوبهم وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يثنى عليهم خيرا – مثال ذلك :

ماحدث من حاطب بن أبى بلعته "رضى الله عنه" وقد شهد بدرا :

فقد روى البخارى ومسلم – واللفظ للبخارى ،عن عبيد الله بن أبى رافع قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول : يعثنى رسول الله– صلى الله عليه وسلم – أنـــا والزبير والمقداد بن الأسود وقال : انطلقوا حتى تأتوا رَوضَة خاخ فان بهـــا ظعيـــنة [١] ومعها كتاب فخذوه منها – فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، حتى انتهيـــنا إلى الروضـــة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا أخرجى الكتاب فقالت ما مـــعى كـــتاب ، فقلـــنا لـــتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب ، فاخرجته من عقاصها [٢] فأتينا به رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فاذا فيه :

مـــن حاطب بن أبى بلتعه إلى أناس من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله– صـــلى الله عـــليه وســـلم – فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ياحاطب ما هذا ؟ قال يارسول الله لاتعجل علىَّ إنى كنت امرءاً ملصقاً فى قـــريش ، ولم أكن من أنفُسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فاحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن

---

[١] الظعينة – بالظاء المعجمة المرآة – فتح البارى حـــ٦ / ١٦٧

[٢] عِقاصـــها – بكســـر العين جمع عقيصة وهو الشعر المضفور شرح صحيح مسلم للنووى حـــ١٦/ ٥٦

أتخـــذ عـــندهم يداً يحمون بها قرابتى ، ومافعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضا بالكفـــر بعد الإسلام – فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم " قد صدقكم ٠ فقـــال عمـــر : يارسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق ٠ قال : إنه قد شـــهد بـــدرا ٠ ومـــا يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم [١]

فالذى فعله حاطب بن أبى بلتعه – رضى الله عنه – شئ ليس بالهين بل هو ذنب كبير – قال النوى رحمه الله :وهذا الجنس كبيرة قطعاً لأنه يتضمن إيذاء النـــبى – صلى الله عليه وسلم – وهو كبيرة بلاشك لقوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٢] لذلك أراد عمـــر بن الخطاب – رضى الله عنه ٠ أن يضرب عنقه لكن رسول الله – صـــلى الله عـــليه وسلم – أزال تهمة النفاق عن حاطب وأبقى عليه صفة الإيمان وقطع فى حديث أخر أنه ناجٍ من النار و ليس من أهلها ٠ روى مسلم بسنده – (ان عبداً لحاطب جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يشكو حاطباً فقال يارسول الله ليدّخلنّ حاطب النار فقال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " كذبت لايدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية [٣]

---

[١] الـــبخارى حـــ١/ ١٦٦-١٦٧ كـــتاب الجهاد والسير باب الجاسوس حديث رقم ٣٠٠٧

[٢] شرح صحيح مسلم حـــ١٦/ ٥٥ والأية رقم ٥٧ من سورة الأحزاب .

[٣] مســـلم حـــ١٦/ ٥٧ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حاطب بن ابى بلتعه واهل بدر " رضى الله عنهم ٠"

وهذا يدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن لاتسقط عنه صفة الإيمان كما يزعم المعـــتزلة ٠ فـــإن قيل إن حاطباً - رضى الله عنه- شهد بدراً ومن ثمَّ فهو مؤمن وإن ارتكب كبيرة قلنا إن من الصحابة من أرتكب كبيرة ولم يكن من أهـــل بدر وشهد له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأعلى درجات الإيمان وهى محبة الله ورسوله -فقد روى البخارى بسنده -" عن عمربن الخطاب - رضى الله عنه - أن رجلا كان على عهد البنى - صلى الله عليه وسلم- كان اســـمه عبد الله وكان يُلَقب حمارا وكان يُضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -وكان البنى - صلى الله عليه وسلم -قد جلده فى الشراب ، فأُوتى به يوما فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما اكثر ما يؤتى به ! فقـــال البنى - صلى الله عليه وسلم - لاتلعنوه ، فوالله ماعلمتُ أنه يحب الله ورسوله٠[1]

---

[1] الـــبخارى حـــ١٢/ ٧٧ كتاب الحدود باب مايكره من لعن شارب الخمر ، وأنه ليس بخـــارج من الملة-حديث رقم ٦٧٨٠- وقوله فوالله ماعلمت انه يحب الله ورسوله : اختلف فى تأويله فقال بعضهم :

الـــرواية بفـــتح الهمزة " فى أنه" على ان "ما" نافية يحيل المعنى الى ضده وقيل ما موصـــولة وإنه بكسر الهمزة مبتدا وقيل بفتحها وهو مفعول علمت - فعلى هذا علمت بمعـــنى عـــرفت وانه خبر الموصول .... وقيل ما زائدة اى فوالله علمت أنه والهمزة على هذا مفتوحة وقيل يحتمل أن يكون المفعول محذوفا أى ماعلمت عليه أو فيه سوءا ، ثـــم اســـتأنف فقال : إنه يحب الله ورسوله ... وقال الطيبى : وجعل ما نافية أظهر لاقتضـــاء القســـم ان يلتقى بحرف النفى وبإن وباللام خلاف الموصولة ، ولان الجملة القسمية جئ بها مؤكدة لمعنى النفى مقررة للإنكار، ويؤيده أنه وقع فى شرح السنه - فـــوالله ماعـــلمت إلا انه .... - فمعنى الحصر فى هذه الرواية بمنزلة تاء الخطاب فى//

وشهادة الرسول له بمحبة الله ورسوله دليل على أنه مؤمن . قال تعالى : "يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [١] بخلاف الكافر فإنه لانصيب له فى فى محبة الله ورسوله . قال تعالى-: فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ الْكَافِرِينَ [٢]

ويلزم المعتزلة إن لم يصرحوا بإيمان مرتكب الكبيرة ، وأنه من أهل الجنة أن يصرحوا بكفره ، كما صرحوا بخلوده فى النار ، وبناء عليه يكون كل العصاة كفرة ، لأن الله قال : " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" [٣] فان كل عامل بالمعصية سواء عفا عن ظالم أوحكم على برئ فإنه لم يحكم بما أنزل الله .. ولكن الصواب خلاف ذلك فإنه وإن كان كل من لم يحكم بما أنزل الله عاملا بالمعصية ، ولكن ليس كل عامل بالمعصية كافراً أومنزوعة منه صفة الإيمان . ويؤيد هذا أن الله جمع الكفر والظلم والفسق فى قضية واحدة فقال : " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ " [٤] وقال : " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " [٥] وقال : " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ " [٦]

//الرواية الاخرى لإرادة مزيد الإنكار على الخاطب - انظر فتح البارى لابن حجر حـ ٧٩/١٢

[١] سورة المائدة من الأية : ٥٤

[٢] سورة ال عمران من الاية : ٣٢

[٣، ٤] سورة المائدة من الاية : ٤٤

[٥] سورة المائدة من الاية ٤٥

[٦] سورة المائدة من الاية ٤٧

فمن الأيات يتضح أن ليس كل من لم يحكم بما أنزل الله كافرا ٠ .. بل منهم من يحمل صفة الإيمان وإن كان به فسق أو ظلم ... وأن هذا الظلم قد تشمله مغفرة الله قال تعالى :- " وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ " [١] فبعض الظلم مغفور بنص القران ٠ يقول ابن حزم – رحمه الله ٠

وأما نحن فنقول كل من كفر فهو فاسق ظالم عاصٍ ، وليس كل فاسق ظالم عاصٍ كافرا بل قد يكون مؤمنا .[٢]

وفى التنزيل مايؤيد كلام ابن حزم . قال تعالى : " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ "[٣] وقال سبحانه : " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " [٤] فكل كافر ظالم ، وكذلك كل مشرك وليس كل ظالم كافراً ...وقد روى عن عطاء بن دينار أنه قال الحمد الله الذى قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون .. [٥]

---

[١] سورة الرعد من الاية : ٦

[٢] الفصل فى الملل والأهواء والنحل حـ٣/ ٢٣٤ ط دار المعرفه بيروت سنه ١٤٠٣ / ١٩٨٣ ٠

[٣] سورة البقرة من الأية : ٢٥٤

[٤] سورة لقمان من الأية : ٥٣

[٥] تفسير الطيرى حـ٣ /٨ وانظر نفسير القران العظيم لابن كيثر حـ١/ ٣٨٣ – وانظر الجامع لاحكام القران للقرطبى حـ٣/ ٢٦٨

وإلا مااســـتحق مغفـــرة الله وقد نص القرآن الكريم على غفران ذنوب بعض الذين ظلموا كما ذكرنا منذ قليل والحمد لله رب العالمين .

واستدل المعتزلة على خلود صاحب الكبيرة فى النار – بقوله تعالى :

" وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ " (١)

فقـــالوا : صاحب الكبيرة فاجر ، والفجار كلهم فى الجحيم ، لأن لفظ الجحيم إذا دخـــل عليه الألف واللام أفاد الإستغراق .. ولما كان اسم الفاجر يتناول الكافر والمسلم صاحب الكبيرة ثبت بقاء أصحاب الكبائر أبدا فى النار ، وثبت أن الشفاعة للمطيعين لا لأهل الكبائر . (٢)

ويرد الفخر الرازى على مزاعمهم فيقول :

إن دلالة ألفاظ العموم على الإستغراق دلالة ظنية ضعيفة والمسألة قطعية . والتمســـك بالدليل الظنى فى المطلوب القطعى غير جائز... فيحتمل أن يكون اللفظ ههنا عائدا الى الكافرين الذين تقدم ذكرهم من المكذبين بيوم الدين .(٣) ولو سلمنا ان العموم يفيد القطع ، فإنا لانسلم أن صاحب الكبيرة فاجر لان الله جعل ذلك فى حق الكفار . فقال سبحانه : أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) سورة الانفطار اية : ١٤

(٢) مفـــاتيح الغيب حـــ٣١/ ٢٦١ : ٢٦٢ – والقول " بأن الشفاعة للمطيعين لا لأهل الكبائر" خطأ من أخطاء المعتزلة الشنيعة والتى سوف نرد عليه فى حينه بعون الله ومشيئته

(٣) المرجع السابق ح٣١ /٢٦٢ .

الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ " [١]

لذلك حمل أهل السنة المعنى فى الأية على الكافرين لاغيرهم .

يقول الطبرى :

وإن الفجار الذين كفروا بربهم لفى حجيم ... ويقول فى قوله : " وماهم عنها بغائبين " وماهؤلاء الفجار من الجحيم بخارجين أبدا فغائبين عنها ولكنهم فيها مخلدون ماكثون ، وكذلك الأبرار فى النعيم ، وذلك نحو قوله " وماهم منها بمخرجين ". [٢]

ويقول ابن كثير : " وماهم عنها بغائبين "اى لايغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت او الراحة ولو يوماً واحداً . [٣]

وكلام ابن كثير يدل على أن الفجار أهل الكفر لأصحاب الكبائر فالذين لايخفف عنهم من عذابها الكافرون لاعصاة المسلمين – قال تعالى :

" وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَايُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَايُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ . " [٤]

---

[١] سورة عبس اية : ٤٢

[٢] تفسير الطبرى حـ١٢/ ٥١٨ – والأية رقم : ٤٨ من سورة الحجر .

[٣] تفسير القران العظيم لابن كثير حـ٨ / ١٩٥ .

[٤] سورة فاطر أية : ٣٦

وكذلـــك الذيـــن لايجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة إنما هم أهل الكفر الذين قال الله فيهم : " وَنَادَوْاْ يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ " [١] ولـــو سلمنا أن لفظ الفجار يطلق على الكفار وعصاة المسلمين فإن هذه الأية لا تشمل إلا الكافرين لقوله تعالى : " وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ " [٢] فإن هذا لـــلكافرلا للمســـلم العاصى لان : (مجموع الفجار لايكونون غائبين ، ونحن نقول بموجبه ، فأن أحد نوعى الفجار وهم الكفار لايغيبون " [٣]

ولـــو سلمنا بأن هذه الأية فيها تهديد عظيم للعصاة من المسلمين – ويستأنس فى هـــذا بما روى بين سليمان بن عبد الملك وأبى حازم الذى قال له اعرض عمـــلك على كتاب الله قال فى أى مكان من كتاب الله – قال : " إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى حجيم [٤]

---

[١] سورة الزخرف أية : ٧٧

[٢] سورة الأنفطار أية : ١٦

[٣] مفاتيح الغيب حـــ٣١/ ٢٦٣

[٤] روى أن سليمان بن عبد الملك (احد أمراء بنى أمية) مر بالمدينة وهو يريد مكة فقال لابى حازم كيف القدوم على الله غدا ؟ قال أما المحسن فكالغائب يقدم من سفره على أهله وأما المسئ فكالابق يقدم على مولاه ، فبكى (اى سليمان) ثم قال : ليت شعرى مالنا عند الله فقال أبو حازم أعرض عملك على كتاب الله ، قال فى أى مكان من كتاب الله ؟ قال : " ان الأبرار لفى نعيم وأن الفجار لفى جحيم " الفخر الرازى حـــ٣١/ ٢٦٣- ٢٦٤ .

نقول لو كانت فى عصاة المسلمين فإن غاية الأمر أنها تثبت استحقاق الوعيد والـــتعذيب للعصـــاة ، ولكن ثبوت الإستحقاق لاينا فى عفو ا لله ومغفرته ، ولايجب أن تحمل على كل العصاة ... ثم إنه إذا حملت أيات الوعيد – كالأية الـــتى معنا وغيرها – على عمومها وحكم بموجب ذلك على داخلى جهنم من عصاة المسلمين بالخلود الأبدى ، والعذاب السرمدى فأين شفاعة رسول الله " صلىالله عليه وسلم " للعصاة من أمته ؟؟!!

هـــذه الشفاعة التى بها يخرج العصاة من عذاب النار ويدخلون الجنة ، وهل يُسعف بالشفاعة التائبون عن معاصيهم فقط أم من تاب ومن لم يتب ؟

وقول المعتزلة : أن الشفاعة للمطيعين فقط لا لأهل الكبائر قول باطل مردود لأنـــه يخـــالف أحـــاديث كـــثيرة صحيحة وردت فى إثبات الشفاعة صراحة لمرتكبى الكبيرة .

فعـــن أنس بن مالك "رضى الله عنه" قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وســـلم ". " شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى "[1] قال الطيبى – رحمه الله – أى شفاعتى التى تنجى الهالكين مختصة بأهل الكبائر[2] ..

---

[2] الترمذى حـــ٧/ ١٧ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع /١١ باب ماجاء فى الشفاعة – وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

[1] تحفة الأحوذى حـــ٧ / ١٧ لإمام عبد الرحمن الميباركفورى

وقال ابن تيميه رحمه الله :

وأمـــا دعاؤة وشفاعتة فى الدنيا فلم ينكره أحد من أهل القبلة ٠ وأما الشفاعة يوم القيامة فمذهب أهل السنة والجماعة وهم الصحابة والتابعون لهم بأحسان وســـائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم ، أن له شفاعات يوم القيامة خاصة وعامـــة وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر ، ولاينـــتفع بشـــفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون ، دون أهل الشرك ، ولو كان المشرك محبا له معظماً له لم تنقذه شفاعته من النار - وأنما ينجيه من النار الـــتوحيد والإيمـــان به ولهذالماكان ابُوطالب وغيره يحبونه ولم يقروا بالتوحيد الذى جاء به لم يكن أن يخرجوا من النار بشفاعته ولابغيرها٠ [1]

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة تثبت خروج المذنبين من النار ودخولهم الجنة بفضل شفاعة رسول الله "صلى الله عليه وسلم ٠" نذكر منها الاتى :-

روى البخارى بسنده عن قتادة عن أنس "رضى الله عنه "أن النبى "صلى الله عليه وسلم -"قال : يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا ، فيأتون أدم فيقولون أنت أدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنتة وأسجد لك ملائكتـه وعلمك أسماء كل شئ ٠ لتشـــفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال فيقول لست هناكم قال ويذكر خطيئته التى أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها ولكن ائتوا نوحا

---

[1] مجموع الفتاوى جـ ١ / ١٥٣ - ١٥٤ بغير طبعة

أول نبى بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض – فيأتون نوحا ٠ فيقول لست هناكم.

ويذكـــر خطيئـــته التى أصاب سؤاله ربه بغير علم ، ولكن ائتوا إبراهيم خـــليل الـــرحمن ٠ قال فياتون إبراهيم – فيقول : إنى لست هناكم ٠ ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن ائتوا موس عبدا أتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيّا ، قال فيأتون موس فيقول : إنى لست هناكم ٠ ويذكر خطيئته التى أصاب قتله الـــنفس ٠ ولكن ،ائتأوا عيسى عبد الله ورسوله ، وروح الله وكلمته ٠ قال : فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ٠ ولكن ائتوا محمدا – صلى الله عليه وسلم – عـــبدا غفرالله له ماتقدم من ذبنه وماتأخر ٠ فيأتونى فأستأذن على ربى فى دار ، فيؤذن لى عليه – فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى فيقـــول : ارفـــع محمد وقل يسمع واشفع تشفَّع ، وسل تعط ٠ قال فأرفع رأســـى فأثـــنى عـــلى ربى بثناء وتحميد يعلمنيه ٠ فيحد لى حدا فأخر ج فأدخلهم الجنة

قـــال: قنادة وسمعته أيضا يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأستاذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه.فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعـــتى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقول : أرفع محمد ، وقل يسمع ، واشـــفع تشـــفَّع وسل تعط قال فأرفع رأسى ، فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلّمـــنيه – قـــال : ثم اشفع فيحد لى حدا فأخرج فأدخلهم الجنة ، قال : قتادة وســـمعته يقـــول فأخـــرج فاخرجهم من النارفأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثه – فأســـتأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه فإذا رأتيه وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ، ثم يقول : ارفع محمد وقل يسمع ، واشفع تشفع وسل

تعط ٠ قال : فأرفع رأسى – فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه ، قال: ثم أشـــفع فيحـــد لى حدا فأخرج٠ فأدخلهم الجنة – قال قنادة : وقد سمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى فى النار إلامن حبسه القرآن ٠ أى وجب عليه الخلود ثم تلاالأية :

"عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا " [١] قال:وهذا المقام الذى وُعِدَه نبيكم "صلى الله عليه وسلم " ٠[٢]

فهـــذا الحديـــث يعـــد دليـــلا قاطعاً وبرهاناً ساطعاً وحجة قوية على أن من المســـلمين من يخرج من النار بشفاعة الرسول "صلى الله عليه وسلم ٠" ولا مجال للإجتهاد فى هذا حيث جاء النص صريحاً "فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة " وليس كما يزعم المعتزلة أن من يدخل النار لايخرج منها بل الصحيح والـــثابت أنـــه يخرج بشفاعة الرسول الله "صلى الله عليه وسلم " – ودعوته المســـتجابة الـــتى أرجأها " صلىالله عليه وسلم" الى يوم القيامة لتكون نجاة للمذنبين وإن اقترفوا الكبائر ماداموا ماتوا على التوحيد .

ففى الصحيحين والترمذى واللفظ لمسلم – عن أبى هريرة "رضى الله عنه " قـــال : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم " لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل

---

[١] سورة الأسراء من الأية : ٧٩

[٢] البخارى حـــ١٣/ ٤٣٢ ك التوحيد ب قوله تعالى:"وجوه يؤمنذ ناضرة الى ربها ناظرة"حديث رقم ٧٤٤٠

كـــل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شـــاء الله مـــن مـــات من أمتى لايشرك بالله شيئاً .[١] وعن عوف بن مالك الأشـــجعى[٢] قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم " أتانى أت من عند ربى فخيـــرنى بيـــن أن يُدخـــل نصفَ أمتى الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لايشرك بالله شيئا .[٣]

وعـــن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال قيل " [٤] : يارسول الله ٠ من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : رسول الله" صلى الله عليه وسلم "٠ لقـــد ظنـــنت ٠ ياأبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما

---

[١] مسلم حـــ٣ / ٧٤ ك الإيمان ب الشفاعة – وانظر صحيح البخارى حـــ١١/٩٩ كتاب الدعوات باب لكل نبى دعوةمستجابة حديث رقم ٦٣٠٤ ، ٦٣٠٥وانظر سنن الترمذى حـــ١٠/ ٦٤٠٦٣ كتاب الدعوات باب فضل لاحول ولا قوة الا بالله حديث ٣٦٠٢

[٢] صحابى مشهور ٠ من مسلمة الفتح سكن دمشق ومات سنة ثلاث وسبعين – تحفة الأحوذى حـــ٧/ ١٧٦

[٣] الترمذى حـــ٧/ ١٧٦ كتاب صفه القيامة والرقائق والورع باب ما جاء فى الشفاعة حديث رقم ٤٢٤١– سكت عنه الترمذى وذكر أنه جاء من طرق أخرى .

[٤] قوله قيل يارسول الله – قال ابن حجر لعلها كانت قلت فتصحفت ، فقد أخرجه المصنف فى الرقاق كذلك ٠ فتح البارى حـــ١/ ٢٣٣ ٠

رأيت من حرصك على الحديث ، اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لااله الاالله خالصا من قلبه ، أو نفسه. [١]

قال ابن حجر -رحمه الله -- :

(... فإنـــه - صـــلى الله عليه وسلم - يشفع فى الخلق لإراحتهم من هول الموقف ، ويشفع فى بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها ، وفى بعضـــهم بعدم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها ، وفى بعضهم بدخول الجنة بغير حساب ، وفى بعضهم برفع الدرجات فيها) [٢]

فـــبعد ثبوت هذه الاحاديث الصحيحة التى تنص صراحة على وجود شفاعة الرســـول - صلى الله عليه وسلم - فى الأخرة وأنها لأصحاب الكبائر وأنهم ليســـوا مخلدين فى النار لم يكن هناك خلاف بين الأمة على جواز الشفاعة يوم القيامـــة ، وأن بهـــذه الشفاعة يخرج فريق من مذنبى الأمة من النار ، وبها أيضـــا يـــنقذ فريق من دخول النار وقد وجبت له ... قال القاضى عياض " رحمـــه الله " : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعاً بصريح قوله تعالى :"يَوْمِئِذٍ لَاتَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلاً"[٣]

---

[١] صحيح البخارى حـــ١/ ٢٣٣ كتاب العلم - باب الحرص على الحديث - حديث رقم ٩٩

[٢] فتح البارئ بشرح صحيح البخارى حـــ١/ ٢٣٤

[٣] سورة طه أية:١٠٩

وقو له : " وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ " [١] وأمثالهما وبخبر الصادق " صلى الله وعليه وسلم " وقد جاءت الأثار التى بلغت بمجموعها حد التواتر بصحة الشفاعة فى الأخرة لمذنبى المؤمنين وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها .... والشفاعة خمسة أقسام :

أولها : مختصة بنبينا " صلى الله وعليه وسلم " ٠ وهى الأراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب .

الثانية : فى إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه وردت أيضا لنبينا – صلى الله عليه وسلم

الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا "صلى الله عليه وسلم " ومن شاء الله تعالى .

الرابعة : فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا محمد " صلى‌الله عليه وسلم " والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ثم يُخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما فى الحديث " لايبقى فيها إلا الكافرون ٠"

الخامسة : فى زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها [٣]

وهذه التى يكتفى بها المعتزلة ولاينكرونها ، ولكن ينكرون غيرها

---

[١] الانبياء من الايه ٢٨

[٢] شرح صحيح مسلم للنووى حـ٣/ ٣٥ - ٣٦

يقـــول القاضى عبد الجبار : " إن الذى عندنا أن هذه الشفاعة تثبت للمؤمنين دون الفاســـفين... ، وليس صحيحا مايقوله: الجاهلون[١] من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين ومحل المؤمنين [٢].

ونقول إذا كان المؤمن عند المعتزلة هو الذى يعمل الصالحات مع إيمانه بالله ومـــن ثمَّ وجب على الله أن يدخله الجنة بعمله لابرحمة الله وفضله فما أثر الشـــفاعة وما جاجته الى أن يشفع فيه احد ؟! وقد أصبح دخوله الجنة واجبا

---

[١] يقصد بالجاهلين أهل السنة والجماعة - وهذا خطا فادح من القاضى عبد الجبار - غفرالله له - لان خروج المعذبين من النار ودخولهم الجنة ثابت بأصح الاحاديث - كما سبق ذكره فى هذا الفصل . واضافه الى ما ذكر نذكر ما رواه الشيخـان والترمتدى وغيرهم واللفظ للبخارى ان رسول الله " صلىالله عليه وسلم" قال : " يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن بُرَّة من خير . ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير " البخارى حـــ١/ ١٢٧ ك الإيمان ب زيادة ا لإيمان ونقصانه حديث رقم ٤٤ وانظر صحيح مسلم حـــ٣/ ٣٩ ك الإيمانب أخرأهل النار خروجاً وانظر الترمذى حـــ٧/ ٣٥٧- ٣٥٨ ك صفة جهنم ب ماجاء أن للنار نفسين وذكر من يخرج من النار .

[٢] المحيط بالتكليف السفر التاسع والعشرون اللوحة (- ٦ب) من المصورة بدار الكتب المصرية نقلا من كتاب المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية صـــ٦٠ للدكتور محمد عمارة .

عـــلى الله عـــلى حد زعمهم الخاطئ ..هذا ، وما أنكره المعتزلة من شفاعة النبى – صلى الله عليه وسلم – للمذنبين حق ثابت بأحاديث صحيحة لايصح حملها إلاعلى المذنبين من أهل الملة وإلا فعلى أىٍّ يحمل الحديث المذكور أنفا " شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى " ؟

فـــان قيل المراد بأصحاب الكبائر المشركون لأن الشرك أكبر الكبائر قلنا إن أهل الشرك ليسوا من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – .

وأن قالوا المراد بأصحاب الكبائر الذين تابوا من كبيرتهم قبل الموت قلنا إن التائبين قبل الموت يتوب الله عليهم ويدخلهم الجنة قال تعالى :

"إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَيُظْلَمُونَ شَيْئًا " (١)

بل إن سيئاتهم يبدلها حسنات كما قال سبحانه :

إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيمًا (٢).

ثم إن صاحب الكبيرة الذى تاب من كبيرته لايسمى صاحب كبيرة ، وإنما يعـــد مـــن الطائعين التائبين وقد يجوز أن يقال عنه أنه كان صاحب كبيرة – كـــالذى يكـــون كافرا ثم يدخل فى دين الله فيسمى مسلماً ويقال عنه إنه كان كافـــرا ثم أسلم – ولو أن إنسانا عاش مائة سنة كافرا وقبل موته بسنة واحدة

---

(١) مريم الأية : ٦٠

(٢) الفرقان الأية : ٧٠

أسلم وصلح عمله يكون من المسلمين ولايخلد فى نار جهنم – فكيف لو عاش عمره كله مسلمًا ولكنه أذنب ذنباً وهو على عقيدة التوحيد

أيليق برحمة الله التى وسعت كل شئ أن يكون فى جهنم خالداً فيها أبداً ؟!

وفى السنة النبوية ما يثبت أن المسلم العاصى أمره مفوض إلى الله إن شاء غفر الله له برحمته ، وإن شاء عذبه بعدله ..

فعن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : خمس صلوات افترضهن الله على عباده ، فمن جاء بهن لم ينتقص منهن شيئا استخفافاً بحقهن فإن الله جاعل له يوم القيامة عهدا أن يدخله الجنة ، ومن جاء بهن قد انتقص منهن شيئا استخفافا بحقهن لم يكن له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له " . [١]

وفى رواية ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة . [٢] فأداء المسلم لصلواته المفروضة يدخله الجنة ولو أثم، وتركه

---

[١] رواه ابن ماجه حـ١ / ٤٤٩ ك اقامة الصلاة (١٩٤) باب حديث رقم ١٤٠١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى

[٢] سنن النسائى حـ١/ ٢٤٩ ك الصلاة ب فضل الصلوات الخمس حديث رقم ٤٦٠ ط دار المعرفة بيروت لبنان

لايحتم تعذيبه بالنار فضلا عن خلوده فيها [١] – مالم ينكر مشروعيتها فيكون حينئذ كافراً لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة .

وبناءً على ما ذكر أقول : إن مذهب المعتزلة فى مرتكب الكبيرة لايصح ولا يتسنى لنا أن نقبله لأن القرآن الكريم يبطله ، والسنة الصحيحة ترده ، والعقل السليم لايقبله ولا يستسيغه .

والأدلـــة العقلية التى احتجوا بها غير مسلَّم بها حيث إنهم حملوا أيات الوعيد على عمومها مثل قوله تعالى :

" وإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ " [٢] وقوله سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرا ." [٣] وهذا لايصح .

يقـــول أبوالحسن الأشعرى – رحمه الله – حول هاتين الأيتين وأمثالهما من أيات الوعيد فى القران الكريم :

لايقضى بهذه الأيات على بعضٍ ولا على كلٍ إذ كان يقع ذلك تارة على الكل وتـــارة على البعض ولو جاز لزاعم أن يزعم أن الصورة إنما هى للكل حتى تـــأئى دلالـــة البعض لم يكن هذا الزاعم بزعمه أولى ممن قال : صورة هذا

---

[١] أفعال العباد فى القران الكريم عبد العزيز المجذوب صـــ٤٧٣– ٤٧٤ ط الدار العربية للكتاب .

[٢] سورة الانفطار اية : ١٤

[٣] سورة النساء اية : ١٠

القـــول توجب القضاء على البعض إلى أن تقوم دلالة على الكل . فلما تكافأ القائلان وجب أن يكون القولان جميعاً ملغيين [١]

ومعـــنى هذا أن الأمر يعود إلى علمه تعالى ومشيئته لا إلى أحكامنا العقلية النسبية ٠ ومنه قول الشاعر:

ومن لم يصانع فى أمور كيثرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

وقوله :

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لم يظلم الناس يظلم

فـــليس كـــل من لم يصانع كذلك ، ولا كل مسالم لا يظلم الناس يلحقه ظلم الناس حتما وقد يقول الواحد منا جاءنى من أحببت وانما يعنى واحدا ٠[٢]

هـــذا وإن قـــول المعتزلة فى مرتكب الكبيرة لهو أغرب من قول الخوارج الذيـــن قـــالوا بكفره وخروجه عن ملة الإسلام ومن ثمَّ فهو عندهم حلال الدم مخـــلد فى النار ...وإن قول المعتزلة فى مرتكب الكبيرة ليس أقل خطأً من قـــول المرجـــئة الذين قالوا لايضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ومن ثمَّ فلا عقاب لمسلم وأن فجر وفسق!

---

[١] اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع أبو الحسن الاشعرى صـــ ١٢٧- ١٢٨ نقلا من أفعال العباد فى القرآن صـــ ٤٧٤

[٢] أفعال العباد فى القرآن عبد العزيز المجذوب صـــ ٤٧٤ ط الدار العربية للكتاب ٠ والشاعر زهير بن أبى سلمى ٠

ومـــن دواعى الإستغراب فى مذهب المعتزلة إنهم يرون أن صاحب الكبيرة ليـــس بمؤمـــن ولايدخـــل الجنة ولكن يدخل النار ويخلد فيها أبداً ورغم ذلك يقولون إنه ليس بكافر !فكيف يكون هذا ؟

وإنه لمن بدع القول ألا يكون مؤمناً ولا كافراً ويخلد فى النار ولا يدخل الجنة.

فـــاذا كان نفى الإيمان حجبه عن الجنة .. فلماذا لم يحجبه نفى الكفر عن دخلوه النار أو خلوده فيها ؟!

وإن كان كما يزعمون أنه لايستحق صفة الإيمان لما ارتكب من فواحش ولا يوصـــف بالكفر لانه ينطلق بالشهادتين وفيه بعض صفات الخير والعقل يحتم بأنـــه لايســـتحق دخول الجنة لما بدر منه من ذنوب فكذلك لايستحق الخلود الأبـــدى فى الـــنار لما ثبت منه من توحيد الله والإيمان برسالة سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم "

ويقولون ليس فى الأخرة إلا فريق فى الجنة وفريق فى السعير وهذا حق . ولكن إذا كان مرتكب الكبيرة لا يكون مع فريق أهل الجنة لأنه فعل كذا وكذا من الذنوب فلماذا يكون مع فريق الجحيم وهو الذى ينطلق بالشهادتين ويفعل كثيرا من الخير ؟!

والجديـــر بالذكر ان المعتزلة يقدسون العقل ويقدمونه على النقل فلماذا غاب عقلهم فى هذه القضية وهى واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار . علاوة عـــلى أن الأيات القرآنية مبينة أن الخالدين فى جهنم أبداً هم أهل الكفر وأن الأحـــاديث النبوية الصحيحة ظاهرة وناطقة بأن أهل الملة خالدين فى الجنة

ولـــو اقترفوا جل الفواحش ، وأكبر الكبائر شريطة ألا يقعوا فى الشرك الذى هو محبط للعمل .

ولكن أهل الإعتزال عن هذا وذاك غافلون .. فنعوذ بالله من كل غفلة وكبوة، وهفوة وزلة ..

ونســـأله أن يهديـــنا الصـــراط المســـتقيم صراط الله الذى له مافى السموات والأرض .

الفصل السادس

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

تمهيد :

الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر من القضايا التى احتلت حيزاً كبيراً فى الرسالات السماوية بصفة عامة وفى رسالة سيدنا محمد " صلى الله عـــليه وسلم " بصفة خاصة حيث جعل الله من مهامه "صلى الله عليه وسلم" الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال تعالى :

"الَّذِيـــنَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ .. " (١)

وفى التـــنزيل ما يشير إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الأمـــة الإســـلامى قال تعالى :"وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (٢)

وفى حديـــث هـــرقل مـــا يفيـــد أن النبى " صلى الله عليه وسلم " كان يأمر بالمعـــروف ويـــنهى عن المنكر فقد سأل هرقل أبا سفيان – وكان أبو سفيان كافراً يومئذ ماذا يأمركم ؟؟

---

(١) سورة الأعراف من الأية : ٥٧

(٢) سورة ال عمران أية : ١٠٤

قال أبوسفيان : قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركو به شيئاً ، واتركوا ما يقول أباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .[١]

ومن ثمَّ يعد من يقوم بهذه المهمة العظيمة مقتدياً برسول الله " صلى الله عليه وسلم " يقول الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه : إحياء علوم الدين :

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين . وهو الذى ابتعث الله به النبيين أجمعين ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد .[٢]

والمعتزلة لا يخالفون أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مبدأ مقرر فى الدين ، وواجب على المسلمين لنشر الدعوة ، والضرب على يد الخارجين عن منهج الدين . ولكنهم خالفوا أهل السنة والجماعة فى كيفية التغير حيث جعلوا تغير المنكر بالقلب أولاً فإن لم يكف فباللسان وإن لم يكف فباليد ثم بالسيف إن لم تكف اليد ... وهم فى ذلك لا يفرقون بين صاحب السلطان وغيره .

وهذا ما سنناقشه بمشيئة الله تعالى ..

---

[١] صحيح البخارى حـ١/٤٢ ك بدء الوحى ب كيف كان بدء الوحى حديث رقم (٧)

[٢] إحياء علوم الدين حـ٢/٣٠٦ ط دار الحديث

التعريف الإصطلاحى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

معناهما لغة : -

المعروف : اسم لكل فعل يُعرفُ بالعقل أو الشرع حسنُهُ

والمـــنكر : كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه ، أو تتوقف فى استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة وإلى ذلك قصد (الآمِرُون بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ) [١]

والإنكار : وهو الجحود وهو ضد العرفان يقال أنكرت كذا ونكرْتُ وأصله أن يـــرد عـــلى القلب ما لا يتصوره قال تعالى : " فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ " [٢]

وقد يستعمل ذلك فيما ينكربااللسان وسبب الإنكارباللسان هوالإنكاربالقلب . [٣]

معناهما فى الإصطلاح : هناك كثير من الإصطلاحات فى تحديد ماهية كل من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نذكر بعضا منها ولا نذكر كل الإصطلاحات مراعاة للتخفيف .

---

[١] سورة التوبة من الأية : ١١٢

[٢] سورة هود من الأية : ٧٠

[٣] معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهانى صـــ٣١٧ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان - وانظر المختار الصحاح صـــ٦٧٩ باب النون كلمة "نكد" حرف: ن ك ر -

يقـــول العلامـــة أبو بكر الجصاصى : المعروف ما أمر الله به ، والمنكر ما نهى الله عنه . [١]

ويقـــول الإمام ابن جرير الطبرى : وأصل المعروف ما كان معروفاً فعله ، جميلاً مستحسناً ، غير مستقبح فى أهل الإيمان بالله ، وإنما سميت طاعة الله معـــروفاً، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله وأصل المنكر ما أنكـــره الله ، ورأوه قـــبيحاً فعله ، ولذلك سميت معصية الله منكراً لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ، ويستعظمون رُكوبها .[٢]

ويقـــول العلامة الصاوى : المراد بالمعروف ما طلبه الشرع إما على سبيل الوجـــوب كالصـــلوات الخمـــس ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، أو الندب كالـــنوافل وصدقات التطوع . والمنكر المراد به ما نهى عنه الشرع إما على سبيل الحرمة كالزنا والسرقة أو على سبيل الكراهية .[٣]

ويـــرى شيخ الإسلام ابن تيمية – تعريفاً قريباً من هذا التعريف ولكنه أوجز فى ألفاظه فقال – رحمه الله –المراد بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : هو الأمر بواجبات الشرع ، والنهى عن محرماته [٤]

---

[١] أحكام القرآن حـــ٢/٣٥ ط دار الكتب

[٢] تفسير الطبرى جـــ٣ / ٥٤٥

[٣] حاشية الصاوى على الجلالين حـــ١/٥٢ المطبعة الأزهرية بمصر

[٤] اقتضاء الصراط المستقيم صـــ١٩

ونلاحظ فى تعريف ابن تيمية جانباً من القصور خالف به تعريف الصاوى المتقدم حيث قصر ابن تيمية المعروف على الواجب فعله وأهمل المندوب ، وقصر المنكر على المحرم فعله وأهمل المكروه .

وفى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عقاب للعباد ، وخراب للبلاد ، ورد للدعاء لأن الله لا يتقبل دعاء أهل اللهو والعبث الغافلين عن ذكره التاركين منهجه .

ولكن يتقبل من أهل التقوى والصلاح قال تعالى :

" إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ " [١] وعن حذيفة بن اليمن "رضى الله عنه " عن النبى " صلى الله عليه وسلم " قال : " والذى نفسى بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم " [٢]

وذلك لأن من سنن الله فى خلقه أن يرسل إليهم الرسل والأنبياء فيبينوا لهم سبيل الهدى والرشاد فيقتدون بهم ، ثم يأتى بعدهم خلوف يغيرون ويبدلون ويفسدون فى الأرض ، فيجب على أهل الإيمان أن يجاهدوا هؤلاء ويأمروهم

---

[١] المائدة من الأية : ٢٧

[٢] رواه الترمذى حـ٦/٣٩١ كتاب الفتن / ٩ باب ما جاء ف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حديث رقم : ٢١٦٩ وقال أبو عيسى : حديث حسن

بالمعـــروف وينهوهم عن المنكر بالوسائل المشروعة وهى اليد أو اللسان أو القلب ..

فعـــن عبد الله بن مسعود _ رضى الله عنه – أن رسول الله " صلى الله عليه وســـلم "قال : ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصـــحاب يـــأخذون بســـنته ويقتدون بأمره ثم أنها تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوف يقولـــون مـــا لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومـــن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل [١]

ومـــن ثمَّ لم يكن خلاف بين الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال القرطبى _ رحمه الله – :-

أجمـــع المسلمون أن المنكر واجب تغيره على كل من قدر عليه ، وأنه إذا لم يـــلحقه بتغيره إلا اللوم الذى لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغيره ، فإن لم يقدر فبلسانه ، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك . وإذا أنكـــر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطيع سوى ذلك .. والأحاديث عـــن النـــبى " صلى الله عليه وسلم " فى تأكيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كثيرة جداً ولكنها مقيدة بالإستطاعة ...

---

[١] رواه مسلم حـــ٢/٢٧ ك الإيمان ب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ...

قـــال الحسن : إنما يُكلَّم مؤمن يرجى أو جاهل يعلَّم ، فأما من وضع سيفه أو سوطه فقال : إتقنى إتقنى فما لك وله ..

وقال بن مسعود – رضى الله عنه –بحسب المرء إذا رأى منكراً لا يستطيع تغيره أن يُعلم الله من قلبه أنه له كاره [١]

وكـــلام ابن مسعود موافق لحديث رسول " صلى الله عليه وسلم " ومن رأى مـــنكم مـــنكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان فإنه يرى أن التغير بالقلب أن يكرهه ويشهد الله على ذلك .

والأن نذكر رأى المعتزلة فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

يـــرى أهل الإعتزال أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الأخرين ويشترطون فى الآمر بالمعرف والناهى عن المـــنكر أن يكـــون عالمـــاً حكيماً ذا خبره فى ترتيب الأمر والنهى . فيقول صـــاحب الكشـــاف فى قوـــله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " [٢]

مـــن للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكرمن فروض الكفايات ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر فى إقامته وكيف يباشر ، فإن الجاهل ربما نهى عن معروفٍ وأمر بمنكر وربما

---

[١] الجامع لأحكام القرآن حـــ٤/٤٨

[٢] سورة آل عمران أية : ١٠٤

عـــرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر علىمن لا يزيده إنكاره إلا تماديـــا أو عـــلى من الإنكار عليه عبث كالإنكار على أصحاب المآصر والجلادين وأضرا بهم [١] "

وهذا رأى نرى له من جانبنا التأييد والقبول وأن الزمخشرى قد أصاب حيث جعـــل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لذوى العلم والخبرة حتى لا تكون فتنة منبثقة من التعصب لرأى ما وجهل ببقية الأراء ومن ثمَّ تنعم الفوضى ، ويكـــثر الهـــرج والمرج ، ويسود الرعب ويلتبس على العوام الأمر بعد أن إنخلط الحابل بالنابل .

وقد أحسن القاضى عبد الجبار – رحمه الله – إذ جعل للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شرائط يجب بوجودها ، ويسقط بزوالها من هذه الشروط :

أن يعلم أن المأموربه معروف ،وأن المنهى عنه منكر ، لأنه لو لم يعلم ذلك لا يأمن أن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ...

أن يعلم أن ذلك لايؤدى إلى مضرة أعظم منه فإنه لوعلم أو غلب فى ظنه أن نهيه عن شرب الخمر يؤدى إلى قتل جماعة من المسلمين أو إحراق محله لم يجب ؛ وكما لا يجب لايحسن ..[٢]

---

[١] الكشاف حـــ١/٢٠٨

[٢] شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار صـــ١٤٢:١٤٣

كما يرى المعتزلة أن تغيير المنكر يبدأ بالسهل ثم الصعب

فيقول الزمخشرى :- فإن (قلت) كيف يباشر الإنكار؟ (قلت) يبتدىء بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب لأن الغرض كف المنكر قال الله تعالى..(فأصلحوا بينهما)... ثم قال : فقاتلوا [١]وكذلك القاضى عبد الجبار فإنه يرى رأى الزمخشرى حيث قال : واعلم أن المقصود بالامر بالمعروف ، إيقاع المعروف ، وبالنهى عن المنكر زوال المنكر، فإذا ارتفع الغرض بالأمر بالسهل لم يجز العدول عنه إلى الأمر الصعب ، وهذا مما يعلم عقلا وشرعا [٢]أما عقلا فلأن الواحد منا إذا امكنه تحصيل الغرض بالأمر السهل لايجوز العدول عنه إلى الأمر الصعب ، وأما الشرع فهو قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله .[٣])

ونلاحظ مما تقدم أن فيما ذكره كل من الزمخشرى والقاضى عبد الجبار قضيتين:

القضية الأولى : أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب كفائى إذا

---

[١] الكشاف حـ١/٢٠٨ والأية رقم ٩من سورة الحجرات

[٢] هذا من أخطاء المعتزلة وهو تقديم العقل على النقل وسوف نرد عليه فى حينه- إن شاء الله تعالى .

[٣] شرح الأصول الخمسة صـ١٤٤ والأية فى سورة الحجرات ٩

قام به البعض سقط عن الباقين بفهم ذلك من قول الزمخشرى (من للتبعيض) وكذلك الشروط التى اشترطها كل من الزمخشرى والقاضى عبد الجبار فيمن يقوم بهذا الأمر ..

ونحن نؤيد رأيهما كممثل رأى المعتزلة فى ذلك فإن أهل السنة يرون هذا الحكم يقولون به .

القضية الثانية : وهى تتعلق بكيفية مباشرة النهى عن المنكر حيث يفهم من كلامهما وما صرحا به أن الناهى عن المنكر يبدأ بالسهل والأخف متدرجاً إلى أعلى فيبدأ بالتغيير بالقلب ثم اللسان ثم باليد ثم بالسيف وهذا ما لا يقول به أهل السنة والجماعة فهم يرون بان يبدأ باليد أولاً ثم باللسان ثم بالقلب كما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم- واللفظ له – والترمذى والنسائى

عن أبى سعيد – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يقول : " من رأى منكم منكراً فاليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان " [1]

---

[1] مسلم حـ٢/٢٢: ٢٥ ك الإيمان ب وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وانظر الترمذى حـ٦ /٣٩٣ : ٣٩٤ ك الفتن ب ما جاء فى تغير المنكر باليد وباللسان وبلقلب حديث رقم ٢١٧٢ - وانظر النسائى حـ٨/ ٤٨٦ ك الإيمان ب تفاضل أهل الإيمان حديث رقم ٥٠٢٤

فـــفى هـــذا الحديـــث اشارة إلى أن التغيير يبدء باليد فإن لم يكن فى وسعه فباللسان فإن لم يستطع فإنه ينكر ذلك بقلبه .

يقـــول الـــنووى – رحمه الله – :-وأما صفة النهى ومراتبه فقد قال النبى " صـــلى الله عليه وسلم " فى هذا الحديث الصحيح فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه معناه فليكرهه بقلبه وليس ذلك بإزالةٍ وتغيير منه للمنكر ولكنه هو الذى فى وسعه .[١]

وقيـــل فى الـــتغيير بالقلب بألا يرضى به ، وينكر فى باطنه على متعاطيه ، فيكـــون تغيـــراً معنوياً ، إذ ليس فى وسعه إلا هذا القدر من التغيير ، وقيل : الـــتقدير : فلينكره بقلبه ، لأن التغيير لا يتصور بالقلب . فيكون التركيب من باب : علفتها تبنا وماءً بارداً .[٢] أى وسقيتها ماءً بارداً .

وكـــان تغييـــر المنكر باليد ثم باللسان ثم بالقلب لتفاوت بنى البشر من حيث المســـتوى العـــلمى أو المسئولية ، فمنهم من أوتى قسطاً من العلم فمسئوليته الـــتغير باللســـان، ومنهم أوتى الحكم فمسئوليته التغيير باليد ومن لم تكن له ســـلطة يحتمى بها فى التغيير ، ولا علم يحتج به فإنه ينكر بقلبه وبذلك يكون قد أدى ما عليه وسقط عنه الوزر ..

---

[١] شرح النووى حـــ٢/٢٥

[٢] تحفة الأحوذى حـــ٦/٣٩٤

يقول القرطبى – رحمه الله – :

قـــال العلماء : الأمر بالمعروف باليد على الأمراء ، وباللسان على العلماء ، وبالقلب على الضعفاء ، بعض عوام الناس [١]

والمعـــتزلة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حاولوا أن يحملوا الناس عـــلى إعتناق أرائهم بالحجة والبرهان ، أو الشدة وقوة السلطان ... وهم فى ذلـــك لم يفرقوا بين الأصول الدينية المجمع عليها وعقائدهم الإعتزالية[٢] ... التى أجمعوا عليها هم دون سواهم ، ولقد سبق الحديث عن قضية خلق القرآن ومحـــنة الإمـــام أحمـــد بن حنبل – رضى الله عنه – وقتل كثير من العلماء وسجن بعضهم لهذا السبب الذى لم يقله إلا المعتزلة .

ولا يخـــفى خطـــأ هذا الفهم ، فإن البون شاسع بين من يخالف فى الأصول الديـــنية الثابـــتة المعـــلومة من الدين بالضرورة وبين غيرها من الفروع أو الأشياء التى نحن غير مكلفين بها ، فلا ينبغى لصاحب سلطان ولا لغيره أن يقـــتل مـــن يخالفه لا سيما إن كان الذى يخالفه عالماً مجتهداً ، فإن المجتهد مأجور فى حالتى الخطأ والصواب . فقد روى البخارى بسنده – واللفظ له – والـــترمذى والنســـائى عـــن عمـــرو بـــن العـــاص **رضـــى الله عـــنه** –

---

[١] الجامع لاحكام القرآن جـــ٤ / ٤٩

[٢] تاريخ المذاهب الاسلامية الامام محمد ابو زهرة صـــ١٢٢-١٢٣ – وانظر التفسير والمفسرون جـــ١/ ٣٥ االدكتور الذهبى

أنه سمع رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يقول : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر[١]

هـــذا ، ومن أخطاء المعتزلة فى قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أنهم قدموا العقل على الشرع – وهذا منهجهم فى قضاياهم .. فذهب أبو على الجـــبائى – وهو من علمائهم – إلى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعـــلم عقلاً..[٢] وقد سبق ذكر مقولة القاضى عبد الجبار فى حديثه عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (هذا ما يعلم عقلاً وشرعاً) فنرى القاضى قدم العقل على الشرع كما أن الجبائى ذكر القول بمعرفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عن طريق العقل فقط .

وهذا من الأخطاء الشنيعة التى وقع فيها أهل الإعتزال والتى فيها فساد الدين والدنيـــا قال ابن القيم – رحمه الله – : ففساد الدنيا والدين من تقديم المتشابه على المحكم وتقديم الرأى على الشرع . [٣]

---

[١] البخارى حـــ١٣/٣٣٠ ك الإعتصام بالكتاب والسنة ب أجر الحاكم إذا اجتهد - الترمذى حـــ٤/٦٣٦ ك الأحكام ب ما جاء فى القاضى يصيب ويخطئ حديث رقم ١٣٢٦ - النسائى حـــ٨ / ٦١٥ ك أداب القضاء ب الإصابة فى الحكم حديث رقم ٥٣٩٦

[٢] شرح الأصول الخمسة صـــ١٤٤

[٣] انظر اعلام الموقعين حـــ٢/٢٣٠ ط دار الحديث

والمعـــتزلة إذ جعلوا معرفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر – وغيره يعـــرف عقلاً لا شرعاً أو يعرف عقلاً ثم شرعاً فإنهم بذلك خالفوا ما أجمع المسلمون عليه من أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب بالشرع لابالعقل[١]

ومن المسلَّم به أن أهل السنة:" لا يعدلون عن النص الصريح ولا يعارضونه بمعقول ولا قول فلان ، كما قال البخارى رحمه الله – سمعت الحميدى يقول:

كـــنا عـــند الشافعى رحمه الله – فأتاه رجل فسأله عن مسألة ، فقال قضى فيها رسول الله " صلى الله عليه وسلم " كذا وكذا ، فقال الرجل للشافعى : ما تقـــول أنـــت ؟ ! فقـــال : سبحان الله ! ترانى فى كنيسة ! ترانى فى بيعة ! تـــرانى عـــلى وسطى زنَّار؟! [٢]أقول لك قضى فيها رسول الله " صلى الله عـــليه وســـلم " وأنت تقول : ما تقول أنت ؟! ونظائر ذلك فى كلام السلف كثير، وقال تعالى :" وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِـــنْ أَمْرِهِمْ " [٣]

---

[١] شرح النووى حـــ٢/٢٢

[٢] الزنار للنصارى المختار الصحاح صـــ٢٧٦

[٣] شرح العقيدة الطحاوية صـــ٣٣٩ ط مكتبة الدعوة الإسلامية والأية من سورة الأحزاب : ٢٦

ومما يدل على اهتمام السلف الصالح رضوان عليهم بالنقل: أنه يقدم على العقل حيث لا اجتهاد للعقل إذا وجد النقل وهو النص الصريح .

وأن خبر الواحد يفيد العلم اليقينى ..

قال صاحب شرح العقيدة الطحاوية :

وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول ،عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقينى عند جماهير الأمة ، وهو أحد قسمى المتواترولم يكن بين سلف الأمة فى ذلك نزاع . كخبر عمر بن الخطاب – رضى الله عنه –: " إنما الأعمال بالنيات "[١]وخبر ابن عمر – رضى الله عنهما – : " نهى عن بيع الولاء وهبته " [٢] وخبر أبى هريرة – رضى الله عنه – لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها "[٣] **وأمثال ذلك** .

---

[١] رواه البخارى حـ١/١٥ ك بدء الوحى (ب) كيف بدء الوحى إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم " حديث رقم : ١

[٢] روای مسلم حـ١٠/١٤٨ ك النكاح ب النهى عن بيع الولاء وهبته ونصه (عن ابن عمر رضى الله عنهما) ان رسول الله " صلى الله عليه وسلم " نهى عن بيع الولاء وعن هبته "

[٣] مسلم حـ٩/١٩٢ - ك النكاح ب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها . وانظر سنن النسائى حـ/ ٤٠٤ "ك" النكاح ب الجمع بين المرأة وعمتها حديث رقم : ٣٢٨٨ .

وهو نظير خبر الذى أتى مسجد قباء [١] وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة فاستداروا إليها . [٢]

والمعـــتزلة فى الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يفرقوا بين صاحب سلطان وغيره .. [٣] وإنما أجازو الخروج على الأئمة بالقتال .[٤]

قـــلت : نهى رسول الله " صلى الله عليه وسلم " عن الخروج على الأمراء وإن بدر منهم بعض التجاوز حيث إن الواجب ألا ننازع الأمر أهله .

عن عبادةعن أبيه عن جده قالِ بايعنا رسول الله "صلى الله عليه وسلم" على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أَثَرَة علينا وعلى

---

[١] والذى اتى بالخبر إلى مسجد قباء هو عباد بن بشر وقيل عياد بن شهيك انظر فتح البارئ حـــ١ /١٢٠ والحديث رواه البخارى ونصه على البراء (اى ابن عازب) أن النبى " صلى الله عليه وسلم " كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله - من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت وأن صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله " صلى الله عليه وسلم " قبل مكة فداروا - كما هم- قبل البيت " البخارى حـــ١/١١٨ ك الإيمان ب الصلاة من الإيمان حديث : ٤٠

[٢] شرح الطحاوية صـــ٣٣٩ : ٣٤٠

[٣] التفسير والمفسرون للدكتور الذهبى حـــ١/٣٥٠

[٤] شرح الطحاوية حـــ٢٧٤

أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائـــم .. وفى روايـــة وأن لا ننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفراً بَوَاحاً عندكم من الله فيه برهان [١]

وسئل رسول الله "صلى الله عليه وسلم" : " يا نبى الله أرأيت أن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعون حقنا فما تأمرنا .. قال : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم .[٢]

ومـــا دام الأمـــراء يؤدون الصلاة فلا يجب الخروج عليهم وإن رأى الناس منهم ما ينكرون ..

فـــإن من أنكر فقد سلم ولكن الجرم على من رضى وتابع – فعن أم سلمة – رضـــى الله عـــنها – أن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " قال : ستكون إمـــراء فـــتعرفون وتـــنكرون فمـــن عرف برئ ومن أنكر سلم ولكن من رضـــىوتابع قالوا أفلا نقاتلهم قال لا ماصلوا [٣].. وفى روية فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم [٤]

---

[١] رواه مسلم حـــ١٢/٢٢٨ ك الإمارة ب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية .

[٢] مسلم حـــ١٢/٢٣٦ ك الإمارة ب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن

[٣] مسلم حـــ١٢/٢٤٣ ك الإمارة ب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وانظر الترمذى حـــ٦/٥٤١ ك الفتن حديث رقم ٢٢٦٥ وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح .

[٤] مسلم حـــ١٢/ ٢٤٤ ك الإمارة ب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع

وهذا الكره لا يحمل صاحبه على أن ينزع يد الطاعة ويشق الصف ويخرج على الأمير ..

فعن عوف بن مالك عن رسول الله " صلى الله عليه وسلم "قال خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضـــونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قيل يا رسول الله أفلا ننابذهم بالســـيف فقال لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة . [١]

فلا شك أن هذه الأحاديث الصحيحة تبين أن الخروج على الأئمة لا يجوز ما دامـــوا يقيمـــون الصلاة ، ولم يكن لدينا كفر بواح لنا فيه من الله سلطان .. وإن وقـــع منهم بعض الظلم لبعض الرعية ، أو حدث منهم بعض التقاعس عن واجبهم .

قـــال ابـــن تيميـــة – رحمه الله – : من أصول أهل السنة والجماعة : لزوم الجماعـــة وتـــرك قتال الأئمة ، وترك القتال فى الفتن . وأما أهل الأهواء كالمعـــتزلة فيـــرون القتال للأئمة من أصول دينهم .. وتجعل المعتزلة من أصـــول دينهم خمسة .. منها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى فيه قتال الأئمة .[٢]

---

[١] مسلم حـــ١٢/٢٤٤ ك الإمارة ب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع

[٢] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابن تيمية صـــ٩ مكتبة التوفيقية

ولا يخـــفى أن الخروج على الأئمة قد لا يخلو من الفوضى والهمجية اللتين تؤديان إلى الفتن وإزهاق الأرواح .. والأمر الذى يجعل المرء يتريس كثيراً ويتأنى حتى لا تكون فتنة وقتها يطول ، وشرها لا يزول ، ويموت فيها خلق كثير ..

ولا شـــك أن الصـــبر على والٍ ظلوم خير من فتنة تدوم .. واختيار أخف الضررين شئ معتبر فى دين الله ..

قـــال القرطبى . قال سهل بن عبد الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجـــب عـــلى الســـلطان وعلى العلماء الذين يأتونه ، وليس على الناس أن يأمـــروا الســـلطان، لأن ذلـــك لازم له واجب عليه ، ولا يأمروا العلماء فإن الحجة قد وجبت عليهم .[1]

فمن ثمَّ نرى أن أهل الإعتزال قد جانبهم الصواب حيث جعلوا الخروج على الإمـــام جائـــزاً من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إحتكاما إلى العقل الذى اطلقوا له العنان كاملاً والذى جرَّ بهم إلى أخطاء كثيرة ، هدموا بها كثيراً من محاسن الدين وأصوله ، وأنزلوا متاعب على المسلمين لم تعد عـــليهم بكثير من الخير ، بل أجلبت عليهم كماً من القلاقل ، وفتحت الباب للجدل ووضع الدسائس ، من الزنادقة وأهل الخبائث ..

---

[1] الجامع لأحكام القرآن حـــ١٢/٧٣

ولعـــل أســـوأ ما انتحله المعتزلة انهم – وتحت السلطان العقلى المطلق – أنكـــروا كـــثيراً من الأحاديث الصحيحة التى هى فى أعلى درجات الصحة ومـــنها ما رواه الشيخان البخارى ومسلم – رضى الله عنهما – لا لشئ إلا لأنهـــا لا تتفق مع قواعدهم المذهبية وأسسهم الإعتزالية مثل حديث الرؤية الـــذى رواه الشيخان وغيرهما الذى يبشر المؤمنين صراحة – برؤية ربهم يـــوم القيامـــة كما يرون القمر ليلة بدر والشمس فى رابعة النهار [1]، ولكن أهـــل الأهواء لا يتدبرون ولا يفقهون ، ولبعض أحاديث رسول الله " صلى الله عليه وسلم " ينكرون ويجادلون !

وكذلـــك لـــم يلتفتوا إلى الحديث الصحيح الذى ينص على أن أحداً لا يدخل الجـــنة بعمله ، لكن برحمة الله وفضله – وهو فى الصحيحين – كما ذكرناه مـــن قـــبل – ولو رجعوا إليه ما وقعوا فى خطائهم الجسيم وهو زعمهم أن العبد يدخل الجنة بعمله لا برحمة الله وفضله – بل إنهم أوجبوا على الله أن يدخله الجنة – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ..

ونظـــراً لأن بحـــور السنة تتلاطم أمواجاً ، وكثرة الداخلين فيها افواجاً وجد المعـــتزلة وغيـــرهم سبيلا إلى رد ما صح من أحاديث وذكر ما لم يصح ، بخـــلاف القـــرآن الكـــريم فإنه لم يكن فى الأستطاعة أن تصل إليه يد من المعتزلة أو غيرهم – **إلا أنهم لم يتورعوا عن تفسير القرآن حسب** أهوائهم

---

[1] الحديث سبق تخريجه فى مبحث الرؤية والقضية مذكورة هناك بالتفصيل

ومعـــتقداتهم وإن كـــان هذا التفسير لم يرد عن رسول الله " صلى الله عليه وســـلم " أو أحد من أصحابه الكرام – رضى الله عنهم – ، بل ولو كان فى الســـنة مـــا يخالف هذا التفسير الأِعتزالى ، أو فى قواعد اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ..

وحجـــتهم فى تفاسيرهم جلها مردها إلى أبيات من الشعر وقد يكون محرفا عن موضعه . وبعض الحكايات والأمثال .

فـــنجد الزمخشرى وهو من أشهر علمائهم يقول : فى قوله تعالى : " وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا " [١] بنصب لفظ الجلالة وهى قراءة غير صحيحة ولا تتفق وقواعـــد الـــلغة العربية كما سبق أن ذكرنا ذلك ولكن لجأ إليها الزمخشرى حتى لا يصادم نظم القرآن عقيدته ، ويخالف هواه .

وكذالـــك الجبائى وهو أحد علمائهم أيضاً – عندما يتعرض لقوله تعالى : " "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ " [٢]

يجـــد أن مذهـــبه القـــائل بوجوب الصلاح والأصلح على الله لا يتفق وهذا الظاهـــر مـــن معنى الجعل ، حيث أن الأية حجة ودليل على أن الله خالق الخير والشر .

---

[١] سورة النساء من الأية : ١٦٤

[٢] سورة الفرقان من الأية : ٣١

فـــنرى الجـــبائى وغيره من المعتزلة يتخلصون من هذه الضائقة فيفسرون "جعل" بمعنى بيَّن فيقول الجبائى : المراد من الجعل التبين ، فإنه تعالى لما بين أنهم أعداؤه جاز أن يقول : جعلناهم أعداءه [١]

ثم يستدل بقول الشاعر :

جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا على ثبت من أمرهم حين يمموا [٢]

وبعد .. فهذه أصول المعتزلة الخمسة التى اتخذوها دينا ، ومن لم يقل بها لم يكن معتزلياً ، ولقد لاحظنا من خلال هذه الأصول جهلهم بكيفية الإستشهاد ، والحكم على الأشياء ، وجرأتهم على الله وعلى الأيات والأحاديث ، إذ أنهم يـــردون الحديـــث الصحيح ويصرفون الأيات إلى ما يستحسنون ويحملون التأويل على ما ينتحلون .. وهم بذلك كما قال ابو جعفر الطحاوى :

لبَّســـوا الحق بالباطل ، إذ شأن البدع هذا ، اشتمالها على حق وباطل ، وهم مشـــبهة الأفعـــال لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه وما يقبح من العباد يقبح منه . وقالوا يجب عليه أن يفعـــل كذا ولا يجوز له ان يفعل كذا ، بمقتضى ذلك القياس الفاسد " فإن الســـيد مـــن بنى أدم لو رأى عبيده تزنى بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعدَّ إما مستحسناً للقبيح ، وإما عاجزاً فكيف يصح قياس أفعاله سبحانه وتعالى على

---

[١] الفخر الرازى حـــ٢٣/ ٤٠

[٢] التفسير والمفسرون للدكتور الذهبى حـــ١/٣٥٠

أفعال عباده ؟! وأما العدل فستروا تحته نفى القدر ، وقالوا : أن الله لا يخلق الشـــر ولا يقضى به ، إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوْراً !! والله تعالى عادل لا يجور . ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون فى ملكه ما لا يريده ، فيريد الشئ ولا يكون ، وأما التوحيد فستروا تحته القول بخلق القرآن ، إذ لو كان غير مخلوق لزم تعدّد القدماء !! ويلزمهم على هذا القـــول الفاســـد أن عـــلمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة ، أو التناقض وأما الوعيد ، فقالوا : إذا أوعد بعض عبيده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده ، لأنه لا يخلف الميعاد ، فلا يعفو عمن يشاء ، ولا يغفر لمن يريد . عـــندهم . وأما المنزلة بين المنزلتين فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل فى الكفر ! وأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإنهم قالوا : علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به ، وأن نلزمه بما يلزمنا ومن خلال ذلك أجازوا الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا ..[1] وقد رددنا على كل شـــبهة من هذه الشبه فى موضعها عند الحديث عن كل أهل أصل من هذه الأصول الخمسة ..

وبعـــد ، فإن المعتزلة سلكوا هذا المسلك ، وأعطوا العقل سلطاناً واسعاً به فسروا الأيات القرأنية ، ومن خلاله أصدروا الأحكام الشرعية – أنهم فعلوا ذلك من أجل أن يبعدوا – كما يزعمون – كل الأساطير الخرافية عن محيط

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية صـــ٥٢٩ بتلخص

الحقـــائق الدينية ، وليربطوا بين القرآن وبين عقيدتهم التى يرون أنها قامت عـــلى الـــتوحيد الخالص من كل شائبة ، ولما كان هذا المسلك مخالفاً تماماً لمعـــتقدات أهـــل الســـنة لم يكن لأهل السنة أن يقفوا موقف التسليم له ، أو الرضـــا بـــه ، أو السكوت عنه بل ثاروا عليهم ورموهم بالعبارات اللاذعة واتهموهـــم بتحريف النصوص عن مواضعها تمشياً مع هواهم ، وميلا إلى عقيدتهـــم .. ومن الخير أن نذكر أراء بعض علماء أهل السنة فى تفاسير المعتزلة ، ونكتفى بذكر أراء ثلاثة من العلماء لهم شأن عظيم ، وباع كبير عند جمهور المسلمين وهم الإمام أبو الحسن الأشعرى ، العلامة ابن تيمية ، والعلامة ابن القيم ..

حكم الإمام ابى الحسن الأشعرى على تفسير المعتزلة

يـــرى أبو الحسن الأشعرى – شيخ أهل السنة والجماعة ان تفسير المعتزلة زيـــغ وضـــلال . وإنه منبثق عن هوى لا عن دليل أو برهان حيث يقول – رحمه الله : " أما بعد ، فإن أهل الزيغ والتضليل تأولوا القرآن على أرائهم ، وفسروه على أهوائهم . تفسيراً لم ينزل الله به سلطاناً ، ولا أوضح به برهاناً ، ولا رواه عـــن رســـول رب العالمين ولا عن أهل بيته الطيبين ، ولا عن السلف المتقدمين ، من الصحابة والتابعين ، إفتراء على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين . وإنما أخذوا تفسيرهم عن أبى الهذيل بياع العلف ومتبعيه ، وعن إبراهيم نظام الخرز ومقلديه ، وعن الفوطى وناصريه وعن المنسوب إلى قرية جُبى ومنتحليه ، وعن جعفر بن مبشر القصبى ومتعصبيه .. فإنهم

قـــادة الضـــلال ، من المعتزلة الجهال . الذين قلدوهم فى دينهم ، وجعلوهم معولهم الذى عليه يعولون ، وركنهم الذى إليه يستندون .[١]

حكم ابن تيمية على تفسير المعتزلة

وكذلك نجد العالم الفقيه ابن تيمية – رحمه الله – يصف المعتزلة بإنهم كانوا فى تفســيراتهم – بعيديــن عن طريق الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين فيقول عنهم فى كتابة – مقدمة فى أصول التفسير "

إن مــثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه ، وليس لهم سلف مــن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين لا فى رأيهم ولا فى تفســيرهم ، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجــوه كثيرة . وذلك من جهتين : تارة من العلماء بفساد قولهم ، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلاً على قولهم أو جواباً على المعارض لهــم . ومــن هــؤلاء من يكن حسن العبارة فصيحاً ويدس البدع فى كلامه وأكــثر الناس لا يعلمون ، كصاحب الكشاف ونحوه ، حتى أنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله ، وقد رأيت مــن العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر فى كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التى يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدى لذلك .[٢]

---

[١] التفسير والمفسرون صـــ١٦٤ نقلاً من تبين كذب المفترى صـــ١٣٩

[٢] مقدمة فى أصول التفسير صـــ٣٨ المطبعة السلفية ومكتبتها .

حكم ابن القيم على تفسير المعتزلة :

حكـــم ابـــن القيم حكماً قاسياً على تفسير المعـــتزلة حيـــث قال : إنه ذبالة الأذهان ونخالة [١] الأفكار وعفارة الأراء ووســـاس الصـــدور فملأوا به الأوراق سواداً والقلوب شكوكاً والعالم فساداً وكـــل من له مسكة من عقل يعلم ان فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الـــرأى عـــلى الـــوحى والهوى على العقل ، وما استحكم هذان ا لأصلان الفاســـدان فى قلب إلا استحكم هلاكه وفى أمة إلا وفسد أمرها أتم فساد ... فكـــم نـــفى بهـــذه الأراء من حق وأثبت بها من باطل وأميت بها من هدى وأوحى بها من ضلاله . [٢]

---

[١] النخالة ما يخرج من الدقيق بعد غربلته - انظر المختار الصحاح باب النون كلمة (ن خ ل) صـــ٦٥١

[٢] أعلام الموقعين حـــ١/٥٧

الحكم على عقيدة المعتزلة

إن الباحث فى كتب المعتزلة القارئ لها قراءة متأنية يرى أن المعتزلة كان لهـم رأى فى صفات الله يخالف ما قال به أهل السنة والجماعة ، وحكموا عـلى أحاديث صحيحة بالضعف أو الوضع . وأصدروا أحكاماً على عصاة المسلمين لم ينزل الله بها من سلطان ، وهذا منبعه التعصب الشديد الممقوت مع اتباع الهوى المذموم .

ولعل سؤالاً يجول فى خلد القارئ ..

هل أفعال المعتزلة تؤدى بهم إلى الكفر ؟؟

والحـق أن أهل السنة والجماعة لا يرون كلمة الكفر سهلة حتى تطلق على كل مرتكب لذنب ما ، أو على كل من خالفهم الرأى .

يقـول الإمام النووى – رحمه الله – واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع وأن من حجد ما يُعْلم من دين الإسلام ضرورة حُكِم بردته وكفره إلا ان يكون قريب عهد بالإسلام أو نشـأ بـبادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك فإن استمر حكم بكفـره وكـذا حكـم مـن استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التى يعلم تحريمها ضررة . [1]

---

[1] انظر شرح النووى حـ١/١٥٠

ويقـــول الإمـــام المحدث الفقية الحافظ أبو جعفر الطحاوى صاحب العقيدة الطحاوية : " ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبى " صلى الله عليه وسلم " معترفين ، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين " [١] وقال رحمه الله : " ولا نكفر احداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله " [٢]

ويقول الأستاذ حسن البنا "رحمه الله " :-

لانكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض – برأى أومعصية إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة أو كذب بصريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أوعمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر[٣].

وقال صاحب جوهرة التوحيد (الشيخ إبراهيم اللقانى).

ومن المعلوم ضرورة جَحَدَ من ديننا يقتل كفراً ليس حد

ومثل هذا من نفى لمجـــمع أو اســـتباح كالـــزنا فلتسمع

ويقول شارح الجوهرة :- الشيخ إبراهيم البيجورى :- والمعنى من جحد أمرا معلوما من أدلة ديننا يشبه ، الضرورة بحيث يعرفه خواص المسلمين وعوامهم ، كوجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا وشرب الخمر ونحوها،

---

[١] العقيدة الطحاوية صـــ٢٩٠ ـ ٢٩١

[٢] المرجع السابق صـــ٢٩٥

[٣] رسالة التعاليم صـــ٩ ـ١٠/ ط رمسيس بالإسكندرية .

يقتل لأجل كفره.[١]

إذاً ليـــس بمجرد الوقوع فى الذنب – وإن جل – يكفر المسلم ولكن الجحود والإنكـــار والإعتراض على رب العزة هذا يؤدى به إلى الكفر ويجعله حلال الدم .

ولعل أقوى الأدلة على صحة هذا القول ما جاء فى القرآن الكريم من قصة أدم عـــليه السلام – وإبليس عليه لعنة الله فكل من أبينا أدم وإبليس قد عصى ربه ولكن الحكم يختلف ..

أمـــا أبونا أدم – "عليه السلام " – فإنه لم يستحل ماوقع منه من معصية لرب العـــالمين وإن كان قد خالف أمر الله جل جلاله ولكن لم يكن كافراً، بل نال التوبة ومنح النبوة قال تعالى :-

"وعصى أدم ربه فغوى . ثم اجتياه ربه فتاب عليه وهدى" [٢].

أمـــا إبليس عليه لعنة الله – فإنه أبدا الإعتزاض على حكم الله ، ورد الأمر على الله ولم يسجد لأدم عنادا لله فحاقت عليه اللعنة إلى يوم الدين [٣].

---

[١] انظر شرح البيجورى على الجوهرة لشيخ الإسلام إبراهيم البيجورى صـــ٢٤٢ط المطبعة العربية الحديثة .

[٢] سورة طه –١٢١– ١٢٢

[٣] يظهر إعتراف أدم بأنه أخطأ من قوله تعالى : " قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " الأعراف أية :٢٣ //

قال تعالى :" قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين" .[١]

فمـــن هذا المنطلق لانستطيع ان نصف المعتزلة بالكفر ، بل هم بعيدون عن الكفر وإن كنا لا نرفع عنهم اللوم ، ولانقبل لهم العذر وإنما أمرهم إلى الله رب العالمين فهو أعلم بالنوايا وهو بالعباد خبير بصير .

يقول ابن حزم – "رحمه الله ":

ولكـــن المعتزلة معذورون بالجهل عذرا يبعدهم عن الكفر ولا يخرجهم عن الإيمان لاعذرا يسقط عنهم الملامة لأن التعلم لهم معروض ممكن ، ولكن لا هادى لمن أضل الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان [٢]

نعم هم مسلمون ولكن لم يحسن إسلامهم قال تعالى :-

ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلا [٣].

// أمـــا إبليس فيظهر عناده وإعتراضه على الله من قوله تعالى : قال يا إبليس مالك الا تكون مع الساجدين ـ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من" حمإمسنون " الحجر أيتان ٣٣:٣٢

[١] سورة ص ايتان ٧٨:٧٧

[٢] الفضل فى الملل والأهواء والنحل حـــ٢/ ١٧٩.

[٣] سورة النساء أية :- ١٢٥.

فالايـــة تفيـــد أن كمال الإيمان لا يحصل الإ عند تفويض جميع الأمور إلى الخالق وإظهار التبرى من الحول والقوة . وفى الأية تنبيه على فساد طريقة مـــن اســـتعان بغير الله ، فإن المشركين كانوا يستعينون بالأصنام ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، والدهرية والطبيعيون يستعينون بالأفلاك والكواكب وغيـــرها ، أمـــا المعتزلة فهم فى الحقيقة ما أسلمت وجوههم لله لأنهم يرون الطاعة الموجبة لثوابهم من أنفسهم ، والمعصية الموجبة لعقابهم من انفسهم ، فهم فى الحقيقة لايرجون إلا أنفسهم ولا يخافون إلا أنفسهم [١]

والفرق واضح ، والبون شاسع بينهم وبين أهل السنة الذين فوضوا الأمر لله، واعتقدوا أنه لاموجد ولا مؤثر إلا الله سبحانه وتعالى ، وانقطع رجاؤهم عن كل شئ سوى الله تعالى ، ولقد حذر علماؤنا من اتباع الحق لأنه يوافق ما نهوى ونحب ، ونشتهى ونعتقد ، ولكن نتبع الحق لأنه حق ، والحق أحق أن يتبع ولا نخالف الحق لأنه لايوافق هوانا .

قـــال عمـــر بن عبد العزيز – "رضى الله عنه " : لاتكن ممن يتبع الحق إذا وافـــق هواه ، ويخالفه إذا خالف هواه ، فإذاً أنت لاتثاب على ما وافقته من الحق ، وتعاقب على ما تركته منه ، لأنك إنما اتبعت هواك فى الموضعين[٢].

وقد بين " النبى صلى الله عليه وسلم " – أن الأعمال بالنيات وأن لكل إمرئ

---

[١] تفسير الفخر الرازى حـــ١٠ / ٤٦٢- ٤٦٣

[٢] شرح العقيدة الطحاوية صـــ٥٣٠

مـــا نـــوى [١] والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته ، فالاعتقاد القوى يتبع علم ذلك وتصديقه ، فإن كان تابعاً للإيمان كان من الإيمان ، كما أن العمل الصالح إذا كان عن نية صالحة كان صالحا ، وإلا فلا[٢].

لذلـــك كان أئمة السلف رحمهم الله يحرصون أن يكون العمل خالصا له وأن يكون له أصل من الكتاب أو السنة .

فهذا الفضيل بن عياض " رضى الله عنه " يبن ان أحسن العمل هو أخلصه وأصوبه . فقيل له يا أباعلى ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل – وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل – حـــتى يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله . والصواب : أن يكون علـــى السنة [٣] .

قلت : صدق الفضيل ودليل صدقه قوله " البنى صلى الله عليه وسلم " . إن الله لايقبل من العمل الإ ما كان له خالصا وابتغى به وجهه [٤] .

---

[١] الحديث رواه البخارى حـــ١/ ١٥ وكتاب بدء الوحى باب كيف بدء الوحى حديث رقم ١ ونصه " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ مانوى ".

[٢] شرح العقيدة الطحاوية صـــ٥٣٠

[٣] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابن تيميه صـــ٥٣

[٤] النسائى حـــ٦/ ٣٣٣ كتاب الجهاد باب من غزا يلتمس الأجر والذكر حديث رقم ٣١٤٠ ونصه " جاء رجل إلى النبى " صلى الله عليه وسلم" فقال :

هذا ، وإن كان المعتزلة قد أسهبوا فى علم الكلام ، وبالغوا فى الحديث عما يتعلق بالأعراض والأجسام ، الأمر الذى أغضب عليهم علماء الأمة حتى إن أبا حنيفه " رحمه الله " لما سئل عن الكلام فى الأعراض والأجسام قال:- لعن الله عمرو بن عبيد هو فتح على الناس الكلام فى هذا [١]- وعمرو ابن عبيد من أشهر علماء المعتزله وأول من انضم إلى واصل بن عطاء ووافقه الرأى – كما مر من قبل .

فإن كان هذا مما يؤخذ على المعتزلة إلا أنه لايخفى أن للمعتزلة جهداً مشكورا فى وقوفهم ضد خصوم الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس والدهرين وغير هؤلاء الذين (دخلوا الإسلام ورؤسهم ممتلئة بكل ما فى هذه الأديان من تعاليم جرت فى نفوسهم مجرى الدم فى العروق ، ومنهم من كان يظهر الإسلام ويبطن غيره: إما خوفا ورهبة أو رجاء نفع دنيوى ، وإما بقصد الفساد والإفساد ، وتضليل المسلمين ، وقد أخذ ذلك الفريق ينشر بين المسلمين ما يشككهم فى عقائدهم ، وظهر ثمار غرسهم فى فرق هادمة للإسلام [٢] تحمل اسمه ظاهرا وهى معاول هدمه فى الحقيقه ، فظهرت "

أرايت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ، ما له ؟ فقال رسول الله " صلى الله عليه وسلم" : لاشئ له فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله "صلى الله عليه وسلم " لاشئ له ، ثم قال : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه " .

[١] شرح العقيده الطحاوية صـ٥٣٢

[٢] لعل الافضل أن يقال تحاول هدمه

المجسمة " "والرافضة " التى تقول بحلول الإله فى جسم بعض الأئمة ، و"الزنادقه" وقد تصدى للدفاع عن الإسلام أمام هؤلاء فرقة درست المعقول وفهمت المنقول، فكانت المعتزلة ، تجردوا للدفاع عن الدين ، وما كانت الأصول الخمسة التى تضافروا على تأييدها، وتأزروا على نصرها إلا وليدة المناقشات الحادة التى كانت تقوم بينهم وبين مخالفيهم والتوحيد الذى اعتقدوه كان للرد على المشبهة [١]والعدل كان للرد على الجهمية [٢] والوعد كان للرد على المرجئة [٣] والمنزلة بين المنزلتين ردوا به على المرجئة والخوارج [٤] فوجود هذه الفرق دعا المعتزلة أن يتسلحوا بسلاح عدوهم فجادلوهم جدالا، وردوا هجمات القائلين بالجبر والمنكرين لله وما أثاره اليهود والنصارى والمجوس من شكوك ، ونشطوا لهذا العمل نشاطا بديعا) . [٥]

---

[١] المشبهة : هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق فى صفاته – انظر شرح الطحاوية صـ٥٢٨

[٢] الجهمية : هم المنتسبون إلىجهم ابن صفوان السمرقندى – انظر شرح الطحاوية صـ٥٣٠

[٣] المرجئة الذين يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

[٤]الخوارج الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة كافر ويرون أنه مخلد فى النار أيدا .

[٥] انظر فجر الإسلام للاستاذ / احمد أمين حـ١/ ٢٢٩ – ٣٠٠ الطبعة الثانية عشرة مكتبه النهضة المصرية ، وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد ابو زهرة صـ١٢٤- ١٢٥ .

وفى عهد المهدى ظهر (المقنع الخراسانى) وكان يقول بتناسخ الأرواح ، واستغوى طائفة من الناس وسار إلى ماوراء النهر . فلاقى " المهدى " عناء فى التغـــلب عليه ، ولذلك أغوى بالزندقة والزنادقة ، فكان يتعقبهم ليقضى عليهم بسيف السلطان ، ولكن السيف لايقضى على رأى ، ولا يميت مذهبا ، ولذلـــك شجع المعتزلة وغيرهم للرد على الزنادقة وأخذهم بالحجة ، وكشف شبهاتهم . وفضح ضلالاتهم ، فمضوا فى ذلك غير وانين[١].

وبذلك يكون قد وجد خلفاء بنى العباس فىالمعتزلة سيفاً مسلولا على الزندقة فـــلم يفـــلوه بـــل شجعوهم على الإستمرار فى نهجهم وقد درس المعتزلة الفلسفة اليونانية . وتأثروا بها فى آرائهم ، وأخذوا عنها كثيراً فى استدلالهم.

وقد دفعهم إلى دراسة هذه الفلسفة أمران: -

أحدهما : أنهم وجدوا فيها ما يرضى نهمهم العقلى وشغفهم الفكرى ، وجعلوا فيها مراناً عقلياً جعلهم يلحنون بالحجة فى قوة .

ثانيها :- أن الفلاسفة وغيرهم لما هاجموا بعض المبادئ الإسلامية تصدى هؤلاء للرد عليهم ، واستخدموا بعض طرقهم فى النظر والجدل ، وتعـــلموا كيثرا منها ليستطيعوا أن ينالوا الفوز عليهم ، فكانوا بحق فلاسفة المسلمين [٢].

---

[١] تاريخ المذاهب الإسلامية صـــ١٢٥

[٢] تاريخ المذاهب الإسلامية محمد ابوزهرة صـــ١٢٤-١٢٥

غفرالله لعلماء المعتزلةلما وقعوا فيه من خطأ، وأثابهم على ما قدموا للإسلام من خير . وكلٌ يؤخذ ويرد عليه ولا عصمة إلا للمعصوم "صلى الله عليه وسلم " . ولقد أخذ المسلون الكثير من علم المعتزلة لاسيما كتاب الكشاف للزمخشـــرى ومـــا فيـــه مـــن المواقف البلاغية اللهم إلاما فيه من الأفكار الإعتزالية التى أشرنا إلى بعضها فى حينه .

والذى يمكن أن تقوله : إن المعتزلة ربما أرادوا – فيما ذهبوا إليه من أفكار واســـتدوا إليه من أصول – تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ووصفه سبحانه بما هو أهل له فبالغوا فى ذلك بحسن نيه ، وإنما الأعمال بالنيات .

لماذا نشـــطت المـــعتزلة ؟

ولماذا أفل نشاطها ؟

كـــانت فـــرقة المعـــتزلة من أكثر الفرق الإسلامية نشاطا – فهى نشأت فى البصـــرة وســـرعان ما انتشرت فى العراق ، ثم استفحل أمرها لاسيما فى العصـــر العباس حيث إنها احتلت أفكارهم وعقائدهم مكانة عظيمة لدى كثير من الخلق ، وأخذ الجدل مأخذا كبيرا بينهم وتكونت لهم مدرستان .. فما سر نشاط هذه الفرقة دون غيرها من الفرق التى ظهرت فى ذلك الوقت ؟.

يـــرى العلامـــة ابوالحسن الأشعرى :- " رحمه الله " أن هناك ثلاثة أمور عاونت المعتزلة على هذا النشاط .

أولها :- أن "الله تعالى " قيض لهم فى كل طبقة من طبقاتهم قوما من أهل البراعة واللَّسَن ، فواصل بن عطاء من أوسع الناس عقلاً وأغزرهم علماً ، وأقدرهم على الجدل والمناظرة ، وأسرعهم بديهة فى استحضار آيات القـــرآن الكريم التى يؤيد ظاهرها مذهبه وفى تأويل ما لا يتفق مع ما يدعو إليـــه ، وهـــو مع ذلك – أعلم الناس بكلام غالية [1]الشيعة ومارقة الخوارج وكـــلام الـــزنادقة والدهرية والمرجئة وسائر المخالقين ، وأقدرهم على الرد عليهم ، وأبوالهذيل العلاف " نسيج وحده وواحد دهره فى البيان ومعرفة جيد

---

[1] أى غلاوة الشيعة

الكلام " وهو الذى يقول عنه المبرد "ما رأيت أفصح من أبى الهذيل والجاحظ وكـــان ابوالهذيل أحسن مناظرة ، شهدته فى مجلس وقد استشهد فى جملة كلامـــه بـــثلاثمائة بيـــت " وقد امتلأت حياته بالمناظرة والجدل مع الزنادقة والشُّكَّاك والمجوس والثنوية ، وروُوا أنه أسلم على يده أكثر من ثلاثة ألاف رجل "وقد تكلم وحَّاج خصومه وفَلَجَ عليهم [١]وهو ابن خمس عشرة سنة " ثم إبـــراهيم بن سَيَّار النظام شيخ أبى عثمان الجاحظ إمام أهل الأدب وأوسعهم إطلاعا، وهو أية من آيات الله تعالى فى النبوغ وحدة الذهن وصفاء القريحة وســـعة الإطـــلاع والغوص على المعانى الدقيقة ثم صوغها فى أبرع قالب وأجمل بيان ، وغير هؤلاء ممن لا يحصيهم العد ولاياتى عليهم الحساب .

الامر الثانى :- إتصالهم بالخلفاء والآمراء ، وإستطاعتهم – بما فتحوا من خلابة [٢] وقوة عارضة – أن يؤثروا فيهم ، وأن يحرزوا عندهم منازل مرموقة ، وأن يستعدوهم على خصومهم إن أرادوا .. فقد كان أبو الهذيل العلاف استاذ أمير المؤمنين المأمون . وكان النظام متصلا بمحمد بن على ابن سليمان أحد امراء البيت العباس [٣] وأحمد بن أبى دؤاد قاضى المعتصم

---

[١]اى ظهروانتصر عليهم .

[٢]الخلابـــة : الخديعـــة باللســـان – ورجـــل خلاب وخلبوت خدّاع كذاب – المختار الصحاح صـــ١٨٣باب الخاء – كلمة خلب

[١]سبق أن ذكرنا أن عمروبن عبيد – زعيم المعتزلة –كان قربيا من أمير المؤمنين أبى

وهـــو الـــذى كـــتب المأمون عنه إلى أخيه المعتصم فى وصيته عند الموت "وأبوعبد الله أحمد ابن أبى دؤاد لايفارقك الشركة فى المشورة فى كل أمرك فإنه موضع ذلك [١]

وقد كان ابن دؤاد رأس الفتنة فى محنة خلق القرآن .

الأمر الثالث : – تعاون هؤلاء الناس على ماهم بسبيله ، وصلة بعضهم بـــبعض الصلة الوثيقة العروة ، وعطف بعضهم على بعض ، حـــتى ضـــرب الأدبـــاء المثل بتآلفهم – كتب أبو محمد العلوى إلى أبى بكر الخـــوارزمى يقـــول : إن إعـــتداده به إعتداد العلوى بالشيعى ، والمعتزلى بالمعتزلى[٢] .

وأرى أن هناك أشياء أخرى كانت سبباً فى ظهور فكر المعتزلة .

فإن الظروف التى نشأ فيها فكر الإعتزال لم تكن طبيعية .. فالخوارج جعلوا مـــرتكب الكـــبيرة كافـــرا خارجاً عن دين الله حلال الدم مخلداً فى الجحيم،

جعفر المنصور وصديقه ، وأن أمير المؤمنين عرض عليه جائزة سخية ولكن عمراً ترفع عنها وقال فيه أمير المومنين : كلكم يطلب صيد إلاعمرو بن عبيد وانـــه كـــان يطلب من أمير المومنين الا يدعوه إلى لقائه ، بل انه ليتكلم فى شأن ولى العهـــد امـــام الخـــليفه بما لم يكن ابو جعفر ليحتمله لولا ما يكنه لعمرو بن عبيد من التجلية والإكرام..

[١] مقالات الإسلامين حـــ١/ ٢١-٢٢

[٢] مقالات الإسلامين حـــ١/ ٢٢-وانظر المنية والأمل صـــ١٠٤

والمرجئة لم يروا بأسا بأى معصية وإن كبرت أوتعددت فالمؤمن عندهم لا تضـــره المعصية كما أن الكافر لا تنفعه الطاعة . ولم يسترح الناس لأىٍّ من الفريقين حيث وجدوا ما يدعو إلى اليأس فى فكر الخوارج – كما أنهم وجدوا مـــا يدعـــو إلى الفوضـــى فى فكـــر المرجئة ، وإلى أمن مكر الله ومن ثمَّ يصبحون خاسرين..

فـــلما ظهـــرت المعتزلة ولم يكفِّروا صاحب الكبيرة (المسلم العاصى) ولم يعفـــوه من شديد العذاب فكانوا كأنهم وسط بين الطائفتين وطبيعة الناس أنهم يصبون إلى الشئ الوسط ..

وربما وجد المعتزلة ضالتهم وأقنعوا الناس . وهم بارعون فى الإقناع بأنهم على الصواب إذ لم يكفِّروا مسلما كما فعل الخوارج ولم يستهينوا ويستخفوا بالمعاصى ومحارم الله كما فعل المرجئة ..

ظهـــور الظـــلم لاسيما فى بعض أمراء بنى أمية وبعض بنى العباس – تلك الفـــترة التى بَعُد فيها الناس عن عدل الصحابة الكرام وعن سماحة الإسلام ، وعـــدل شريعته ، وحكمة خلافته – فإنها وإن كانت قائمة ولكنها خلافة كان فيهـــا دخن – كان بعض الأمراء وأتباعهم يعللون ظلمهم وإقترافهم المعاصى بأنـــه قضاء وقدر وأن هذا الظلم إرادة الله ... وغير ذلك من الكلمات التى تكون حقا ولكن أريد بها باطل – فلما قال المعتزلة إن الله لايريد الظلم وأن هـــذه المعاصى انما وقعت بإرادة الإنسان لا بإرادة الله وجد المظلمون متنفساً لهم ، وشيئا يتعلقون فيه ويحتجون به ، لأن المظلوم يجد الظالم أبغض الناس

إليه ومن ثمَّ يود لو يكون مخلدا فى النار لاعذر له فيما ظلم فوجدوا ذلك فى فكر الإعتزال ..

وبهذا أكون بفضل الله تعالى ، ثم بجهدى المتواضع قد أتممت رسالتى – ولم يبق سوى الخاتمة .. والتى أسأل الله حسنها...

الخاتمة

ها أنا ذا قد انتهيت بتوفيق الله تعالى وعنايته – ثم مساعدة استاذى الجليل من إعداد بحثى المتواضع .

فـــإذا كـــنت قد وفقت فبفضل الله تعالى وعونه ، وإن كان قد وقع منى الزلل فإنمـــا هى طـــبيعة البشـــر الذين من شأنهم الإصابة والخطأ ولا عصمة إلا للأنـــبياء عـــليهم الصلاة والسلام – وقد توصلت من خلال بحثى إلى النقاط التالية :

إن المعتزلة :

١- اقاموا التفسير على أصولهم الخمسة .

٢- انكروا ما يعارضهم من الأحاديث الصحيحة ..

٣- تصرفوا فى القراءات المتواترة المنافية لمذهبهم بما لا يصح ..

٤- إدعوّ أن كل محاولاتهم فى التفسير مراد الله ..

٥- للمبدأ اللغوى أهمية عندهم فى التفسير لا سيما فيما يتعارض من ظاهر الأيات مع مبادئهم ..

٦- تمسكوا بالفروض المجازية إذا بدا ظاهر القرآن غريباً..

٧- كـــانت عـــندهم جرأة مذمومة فى التقوّل على الله جل جلاله ووصف رسوله "صلى الله عليه وسلم " بما لا يليق به ..

تلك هى بعض النقاط التى توصلت إليها أثناء كتابتى لهذا البحث إلى جانب ما ذكـــر فى طياتـــه وإذا كان لابد من توصيات اسدى بها إلى من يقرآون فى الفرق الإسلامية فها هى توصياتى لهم :-

١- الإهـــتمام بدراســـة الفرق الإسلامية حتى نعرف جهد علمائنا من أهل السنة والجماعة فى الرد على تلك الفرق الضالة ..

٢- على المسلمين المعاصرين ان يعالجوا الخلل الذى يصيب عقول بعض المـــثقفين المعاصرين ، ففى علاج الفرق الضالة السالفة علاج للفرق الضـــالة المعاصرة – لاسيما أن الضلال يتوارث حيناً بعد حين .. وقد رأيـــنا فى عصرنا من يكفّر الموحدين ، ويتطاول على علماء الدين ، وربما كان لا يعرف الواجب من المندوب ، ولا الحرام من المكروه ..

٣- على المسلمين أن ينتبهوا لتلك الثقافات التى ابتكرها بعض المنحرفين فاقـــتدوا بالمعـــتزلة فى إنكار سنة رسول الله " صلى الله عليه وسلم " زاعميـــن أن فى القـــرآن ما يغنى عن السنة وهذه فرية باطلة أرادها أعداء الإسلام كى يقضوا على الأصل الثانى من التشريع .

والمعلوم بداهة أن المسلم لا يستغنى بأى حال من الأحوال فى فهمه للقرآن عن السنة المطهرة – ولا ادل على ذلك من قوله تعالى :

" وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون" [١]

---

[١] سورة النحل من الأية : ٤٤

٤- أن يتصـــدر للتفسير من هم أهل لذلك من علماء المسلمين الذين تتوافر فيهم شروط التفسير ولا ينبغى لكل ناعق أن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى بحجة أنه وصل إلى درجة علمية ما ..

٥- فى وســائل الإعــلام المختلفة – مقروءة أو مسموعة أو مرئية – ما يلاحــظ ممــن يــتعرض لأبداء بعض الأحكام الشرعية معتمدين على أرائهــم وعقولهــم مخــالفين لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة فينبغى أن نقف لهؤلاء بالمرصاد ، وأن نرد عليهم بما يفحمهم ويبطل حججهم – إلى غير ذلك من وصايا أخرى ..

قائمة المراجع

أهـــم المراجع

١ القرآن الكريم

٢ أحمد بن حنبل والمحنة للإستاذ Malber m,Pahor

٣ إحياء علوم الدين لابى حامد الغزالى – ط دار الحديث

٤ أعلام الموقعين ... لابن القيم طبعة دار الحديث

٥ أفعال العباد فى القرآن د/ عبد العزيز المجذوب ط الدار العربية للكتاب

٦ إقتداء الصراط المستقيم لابن تيمية – ط

٧ الإبانة عن اصول الديانة لابى الحسن الأشعرى – ط دار ابن زيدون

٨ الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الإعتقاد لإمام الحرمين ابى المعالى الجوينى – ط- السعادة بمصر

٩ الأسماء والصفات للبيهقى – ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

١٠ الإعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للحافظ البيهقى – بدون طبعة

١١ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابن تيمية – ط المكتبة التوفيقية

١٢ الإنتصار لابى الحسين الخياط – ط دار الندوة الآسلامية بيروت – لبنان

١٣ الإنصاف على الكشاف لابن المنير– ط المكتبة التجارية الكبرى

١٤ البحر المحيط لابن حيان – ط مكتبة ومطابع النصر الحديثة

١٥ البداية والنهاية لابن كثير– ط دار المعرفة بيروت

١٦ التبصير فى الدين لأبى المظفر الإسفرايني – ط الأنوار

١٧ التحرير والتنوير الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – ط الدار التونسية

١٨	التفسير الكبير "المسمى بمفاتح الغيب" للفخر الرازى – ط دار الغد
١٩	التفسير والمفسرون للدكتور / محمد حسين الذهبى
٢٠	التوحيد واثبات صفات الرب للإمام محمد بن خزيمة – ط دار الشروق
٢١	الجامع لأحكام القرآن للقرطبى – ط دار الكتب العربية
٢٢	الخطط المقريزية لابى عباس المقريزى – ط المكتبة الثقافية الدينية
٢٣	الصواعق المرسلة لابن القيم – ط دار إحياء الكتب العربية
٢٤	العقائد الإسلامية للشيخ / السيد سابق ط الفتح للإعلام
٢٥	العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه الأندلسى – ط دار الفكر
٢٦	العقيدة الواسطية لابن تيمية ط مؤسسة الطباعة والصحافة
٢٧	الفتوحات الإلهية للجمل – ط دار الفكر بيروت
٢٨	الفرق بين الفرق – ط دار الجيل
٢٩	الفصل فى الملل والأهواء والنحل – لابن حزم – ط دار المعرفة
٣٠	الكبائر للذهبى – ط الإرشاد
٣١	الكشاف للزمخشرى – ط المكتبة التجارية الكبرى
٣٢	المسند للإمام أحمد – ط المكتب الإسلامى – بيروت
٣٣	المعتزلة د/ وردانى عبد الراضى عبد الله دار الأمانة
٣٤	المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية د/ محمد عمارة ط دار الشروق
٣٥	الملل والنحل للشهر ستانى – ط دار المعرفة بيروت ، لبنان
٣٦	المنية والأمل تأليف القاضى عبد الجبار – ط دار المعرفة
٣٧	النجوم الزاهرة للعلامة ابى المحاسن – ط نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
٣٨	تأويلات أهل السنة للماتريدى – ط الإرشاد – بغداد
٣٩	تاريخ الأمم والملوك للطبرى – ط الأعلمى للمطبوعات بيروت لبنان

٤٠ تاريخ الخطيب البغدادى – ط دار الكتاب العربى

٤١ تاريخ الخلفاء للسيوطى – ط السعادة

٤٢ تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة – ط دار الفكر العربى

٤٣ تحفة الأحوزى للترمذى – ط التراث العربى

٤٤ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار – محمد رشيد رضا – ط دار المعرفة

٤٥ تفسير القرآن العظيم لابن كثير – ط مكتبة الإيمان

٤٦ تفسير المراغى للشيخ أحمد مصطفى المراغى – ط الحلبى

٤٧ تفسير النسفى للنسفى – ط إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى

٤٨ تفسير روح البيان للشيخ اسماعيل حقى البرسوى – ط دار الفكر

٤٩ تنزية القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار– ط دار النهضة الحديثة

٥٠ جامع البيان فى تأويل القرآن للطبرى – ط دار الغد

٥١ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى – ط دار مصر للطباعة

٥٢ حادى الرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم – ط مكتبة نهضة مصر

٥٣ حاشية الصاوى على الجلالين – ط المطبعة الأزهرية

٥٤ حاشية محمد بن على الصبان على شرح الأشمونى – ط المكتبة التجارية الكبرى

٥٥ ديوان الإمام الشافعى – ط دار المنار

٥٦ رسالة التعاليم للأستاذ/ حسن البنا – ط رمسيس

٥٧ رياض الصالحين للنووى – ط دار التراث العربى الطبعة الثانية

٥٨ سنن ابن ماجة – ط دار الكتب العلمية

٥٩ سنن ابى داود – ط دار الكتب العلمية

٦٠ سنن الترمـــذى – ط دار التراث العربى

٦١ سنن الدار قطنى – ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٦٢ سنن النسائى للنسائى – ط دار المعرفة

٦٣ سير اعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبى ط مؤسسة الرسالة

٦٤ شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار – ط دار الإستقلال الكبرى

٦٥ شرح البيجورى على الجوهرة – ط الطبعة العربية الحديثة

٦٦ شرح العقيدة الطحاوية – ط مكتبة الدعوة الإسلامية حققها وراقبها جماعة من العلماء

٦٧ شرح المواقف للقاضى عبد الرحمن الإيجى مكتبة المتنبى

٦٨ شرح النووى – ط المطبعة المصرية ومكتبتها

٦٩ شهداء الصحابة للاستاذ محمد فهمى – ط دار الاعتصام

٧٠ صحيح البخارى – ط الريان

٧١ صحيح مسلم – ط المطبعة المصرية ومكتبتها

٧٢ ضحى الإسلام لأحمد أمين – ط مكتبة النهضة المصرية

٧٣ طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكى ط – الحسينية

٧٤ طبقات المفسرين للداودى – ط مكتبة وهبه

٧٥ طبقات المفسرين للسيوطى – ط دار الكتب بيروت – لبنان

٧٦ ظهر الإسلام لآحمد أمين – ط دار مكتبة النهضة المصرية

٧٧ عقائد السلف للأئمة أحمد بن حنبل والبخارى وابن قتيبه تحقيق د/ سامى النشار

٧٨ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى – ط الحلبى

٧٩ فتح البارى لابن حجر العسقلانى – ط الريان

٨٠ فجر الإسلام لأحمد أمين – ط مكتبة النهضة المصرية

٨١ فيض المجيد فى انواع التوحيد مصطفى سلامة –ط دار ام القرى

٨٢ كلمات القرآن للشيخ حسنين مخلوف – ط دار المعارف

٨٣ لباب التاويل فى معانى التنزيل للخازن – ط الإستقامة بالقاهرة

٨٤ لسان العرب لابن منظور – ط دار المعارف

٨٥ لسان الميزان لأبن حجر – ط مجلس دار المعارف النظامية

٨٦ متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار – ط دار التراث

٨٧ مجلة كلية أصول الدين والدعوة فرع اسيوط العدد الرابع عشر ١٤١٦هـ – ١٩٩٦ م

٨٨ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – ط دار الكتاب العربى بيروت – لبنان

٨٩ مجموع الفتاوى لابن تيمية بدون طبعة

٩٠ محاسن التاويل للقاسمى – ط دار إحياء الكتب العربية

٩١ مختار الصحاح للإمام ابى بكر الرازى – ط المطبعة الأميرية

٩٢ مروج الذهب للمسعودى – ط دار المعرفة بيروت

٩٣ معانى القرآن وإعرابه للزجاج – ط دار الحديث

٩٤ معجم مفردات القرآن الكريم – الراغب الاصفهان– ط دار الكتب العلمية بيروت

٩٥ مقالات الإسلاميين ابو الحسن الأشعرى – ط السعادة

٩٦ مقدمة اصول التفسير لابن تيمية – ط المطبعة السلفية –

٩٧ من قضايا علم الكلام د/ عبد الفتاح أحمد الفاوى ط مؤسسة الرسالة

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم تحقيق سيد إبراهيم – ط دار الحديث

٩٨	منهاج السنة النبوية لابن تيمية – ط دار الكتب العلمية
٩٩	موطأ مالك – ط دار إحياء الكتاب العربى
١٠٠	ميزان الإعتدال فى نقد الرجال للذهبى – ط دار الفكر العربى
١٠١	نيل الأوطار محمد بن على الشوكانى – ط دار التراث
١٠٢	وفيات الأعيان – ط دار الثقافة بيروت – لبنان
١٠٣	شذرات الذهب فى أخبار من ذهب – عبد الحى بن العماد الحنبلى – ط دار التراث
١٠٤	الدرر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى – ط الحلبى
١٠٥	مجلة كلية أصول الدين والدعوة العدد الرابع عشر سنة ١٤١٦هـ
١٠٦	أحكام القرآن للشافعى – ط دار الكتب العلمية
١٠٧	أحكام القرآن لأبى بكر الجصاص – ط دار الكتب
١٠٨	تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك – ط دار الكتاب العربى
١٠٩	العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه الأندلسى – ط دار الفكر
١١٠	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعودى – ط مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد
١١١	تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى – ط دار صادر
١١٢	روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى للألوسى – ط دار إحياء التراث العربى

الفهرست

الفهرست

الموضوع	الصفحة
تمهيد	١
الفصل الأول : نشأة المعتزلة	
المبحث الأول	
نشأة المعتزلة	٥
سبب تسميتهم بالمعتزلة	١٢
التسميات الأخرى للمعتزلة	١٥
المبحث الثانى	
فرق المعتزلة	١٦
مدرسة المعتزلة	٧٣
الزمخشرى	٨٠
القاضى عبد الجبار	٨٥
الفصل الثانى : التوحيد	
المبحث الأول	
مذهب المعتزلة فى رؤية البارى	٩٣
أدلة المعتزلة النقلية على نفى الرؤية	٩٤
استعظام سؤال الرؤية	١٠٥
هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه جل جلاله	١١٧
شبهات اخرى للمعتزلة فى نفى رؤية الله	١٤٠
تتطع المعتزلة	١٤٧

أدلة المعتزلة العقلية على نفى الرؤية ١٦٩

المبحث الثانى

الصفات ليست شيئاً غير الذات ١٨٤

المبحث الثالث

خلق القرآن ٢٠٤

بداية القول بخلق القرآن ٢٠٥

الجانب السياسى ٢٠٥

المأمون ومسألة خلق القرآن ٢٠٩

سياسة المأمون فى حمله الناس على القول بخلق القرآن ٢١٢

المعتصم يواصل المحنة ويمتحن الناس ٢٢٢

الواثق والمحنة ٢٣١

الجانب العلمى العقدى ٢٤٩

قول الله تعالى : " وكلم الله موسى تكليماً " ٢٤٩

قول الله تعالى : " فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن " ٢٥٨

قول الله تعالى : " ويوم يحشر اعداء الله إلى النار فهم يوزعون " ٢٦٥

قول الله تعالى : " إنا جعلناه قرآناً عربياً " ٢٧٠

الفصل الثالث : العدل

المبحث الأول

العبد خالق لأفعال نفسه ٢٧٨

المبحث الثانى

الله لا يريد الشر والقبائح ٢٩٤

شبهة المعتزلة حول المشيئة ٣٠٩

المبحث الثالث

وجوب فعل الصلاح على الله لعباده ٣٢٠

الفصل الرابع

الوعد والوعيد ٣٣١

الفصل الخامس

المنزلة بين المنزلتين ٣٦٦

الفصل السادس

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٤١٩

التعريف الأصطلاحى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٤٢١

الحكم على عقيدة المعتزلة ٤٤٥

لماذا نشطت المعتزلة ولماذا أفل نشاطها ٤٥٥

الخاتمة ٤٦٠

أهم المراجع ٤٦٣

الفهرست ٤٦٩